الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

التخصص: لسانيات تطبيقية

المقالة النسوّية الجزائريّة في صحافة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين وأثرها في الإحياء اللّغوي -جمع ودراسة-

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبة:
بشرى شيخاوي

إشراف الأستاذ:
عبد الحفيظ شريف

لجنة المناقشة:

1.	أ. د/ بوعلام طهراوي	جامعة البويرة	رئيسا
2.	د/ عبد الحفيظ شريف	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
3.	د/ عبد القادر توائي	جامعة البويرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022 – 2023م

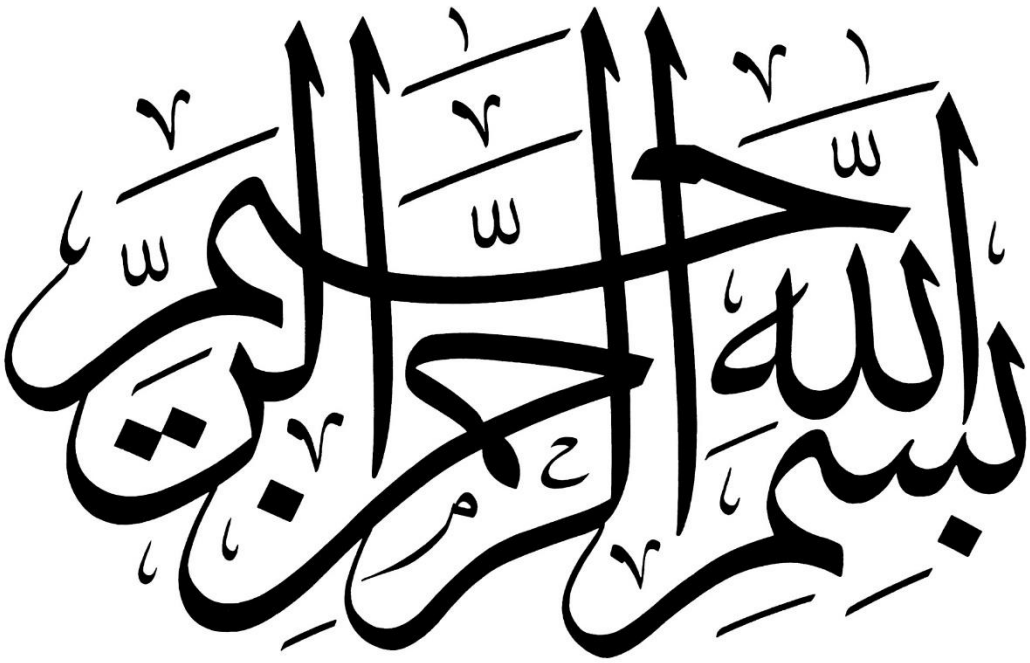
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

- إلى نَبضاتِ قَلبي وخَفقَاته؛ وعَينَيَّ البَصيرتَين؛ وجَمال أيَّامي ونَعيمِها؛ أمّي نبعِ الحَنان وَأبي رَمزِ العطاء والأمان؛

حفظهما الله وأطال عمرَيهما.

- إلى أختي غاليتي ووحيدتي – حفظها الله -؛
- إلى إخوتي أحبَّتي – حفظهم اللّه -؛
- إلى لآلئ بيتنا؛ الصّغار: محمّد إسلام؛ زكرياء عبد الله؛ هبة الله لجين؛ عبد الله إسحاق؛ إلياس عبد الله؛
- إلى كلِّ عائلتي الكبيرة "شيخاوِي"
- إلى شُهداء وشَهيداتِ وطني- رحمهم الله -

بُشْرَى

شُكر وعرفَان

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾

[الأحقاف: 15]

الحمد لله الَّذي وفَّقَني وأكرَمني وأعزَّني ويسَّر أمْرِي وسَدَّدَ خَطْوِي وعَلَّمني ونَفعَني بِما كنتُ لا أَعلمَهُ؛ فلَهُ الحمد حتَّى يبلغَ الحمدُ منتهاه.

أتقدَّم بِخَالص شُكرِي وتَبجِيلي وتقْديرِي لأُستاذِي وَحَاضِن بحثِي وَمُشرِفِي؛ الأُستَاذ شريف عبد الحفيظ حفظَهُ الله وحفِظَ لَهُ أهلَهُ وَوَلَدَهُ، من خِيرَةِ أَساتذَة كلّيّتي؛ والَّذي تَشرَّفتُ به أُستاذًا ومشرفًا لِي؛ لنبُلِ أَخْلاقِهِ وَطِيبِ مُعَاملَتِهِ وَحُسْنِ إِرْشَادِهِ؛ فَأَسْأَلُ اللهَ العَظِيمِ أَنْ يَذْكُرَهُ فِي المَلَإِ الأَعْلَى؛ وَأَنْ يُوَفِّقَه الله لِما يحُبُّ وَيرضَى؛ وأَنْ يسدّدَ خَطوَهُ للأَهدَافِ الجَلِيلَة.

خَالِصُ شكري وامتِنَانِي لِكُلّ منْ كَانَ سَبَبًا في نجَاحِي ودَعمني وَسَاندَني وَوَقَفَ مَعِي منْ قريبٍ وبَعِيد.

بُشْرَى

مقدِّمة

مقدّمة: الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصَّلاة والسَّلام على النَّبي الأكرم، المبعوث رحمة للعالمين، أمَّا بعد:

لا زال البحثُ في أدبيَّات ومنجزات الجزائر الحديثَة مجالا خصبًا لمزيد من الأبحاث والدّراسات. وإذْ تزخر السَّاحة الأدبيَّة والكتابَة الجزائريَّة بكثيرٍ من الدّراساتِ الأكاديميَّة التي تابعت أعمَال روَّاد حركة الإحياء في الجزائر فإنَّ جهودًا أخرى لا تَزال مغمورة وسط رُكام علميٍّ وأدبيٍّ متميّز، وأمام هذا الوضع ارتأيت أنْ أسهم بكشف اللّثام عن نشاطٍ صحفيٍّ له خصوصياته في نشأته وتطوُّره وأعلامه ومواضيعه؛ ذلكم هو النَّشاط الصُّحفي النّسويّ في الجزائر الحديثة.

وضبطا لحدودِ البحث، اخترت ما كان من ذلك في صحافة جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريّين، وتحديدًا في جريدة "البصائر" بسلسلتَيْها؛ وقد كان ذلك تحت عنوان "**المقالة النسوية الجزائرية في صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها في الإحياء اللُّغوي – جمع ودراسة –**" وهو موضُوع له قسطٌ من التَّراثية والتَّاريخية التي تُعبّر عن جهود المرأة الجزائريَّة المسلمة في رعاية جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريّين؛ فقد برزت إلى الوجود ثلَّة من نساء جزائريات عُرف عنهنَّ نضالُهنَّ بالقلم، وتصويرهن للقضايا الاجتماعية، في إطار مشروع الإمام عبد الحميد بن باديس الذي نادَى –فيما نادى به– من وجوب تعليم المرأة وإخراجها من واقعها الذي لا تحسدُ عليه، ففتح المدارس الحرَّة لتعليم البنت الجزائرية، فأظهرت إبداعها وأصبحت معلِّمة وصحفية، وكانت جريدة "البصائر" منبرا حملت نضال المرأة الجزائرية في سبيل تحرير عقول النّساء الجزائريَّات من الأوهام. فاستحضرت هذه المقالات النّسويَّة وأخرجتها من أدراج التَّخزين الطَّوعيّ في المكتبات العامّة والخاصَّة؛

وحاولتُ قدر المستطاع إحياء تداولها من خلال تجميعها، وتيسير تداولها، فتصير نصوصا من تراثنا وتاريخنا حيَّة لا تموت وكي لا يُهمل جهد نسوة مناضلات إصلاحيَّات سجَّلن حضورهن بشكل فريد، فكان من الضروري تجميع الشتات المتناثر والمنسي في جريدة البصائر بسلسلتيها الأولى والثانية وكذلك إحياء الكتابة النسوية التي لم نكد نعرف عنها شيئا.

أسباب اختيّار الموضوع: خضت غمار هذا الموضوع الذي أعتقد أنَّه على درجة من التَّفرُّد والجِدَةِ، مدفوعة إليه بالرَّغبة في السَّبق والإضافة العلميَّة، ثمَّ لاعتبارات أذكر منها:

دوافع ذاتيَّة: ومنطلقها اهتمامي الكبير بالمواضيع النّسويَّة ذات الطَّابع الاجتماعي والثَّقافي والتَّعليمي في البلاد الجزائريَّة، وخاصَّة ما كان منه من أعمال التَّيَّار الإصلاحي المتمثّل في جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريّين، وهو ما يحيل على متابعة السّياقات التّاريخية ومعرفةِ اهتمامات الفتاة الجزائريَّة في ظروف تاريخيَّة خاصَّة.

دوافع موضوعيَّة: وترجع في عمومها إلى:

– توثيق الكتابة النّسوية الجزائريَّة المبثوثة في صحيفة "البصائر"، والوقوف على ما أسهمت به الكاتبات الجزائريَّات.

– معرفة موقع المرأة في أدبيَّات الصَّحافة الجزائرية زمن الاحتلال، والجهود التي بذلتها جمعيَّة العلماء المسلمين إزاء قضيَّة المرأة الجزائريَّة.

– الرَّغبة في إنجاز نتاجٍ علميٍ ذي صبغة أكاديميَّة، وجمع شتات كتابي، وإبداع جزائريٍّ وتقديمه ثروَةً لغويَّة وأدبيَّة وثقافيَّة واجتماعيَّة وتاريخيَّة، للباحثين والدَّارسين في الأدب والنَّفس والتَّاريخ والاجتماع.

الإشكاليَّة: إذا كان واقع تعليم المرأة الجزائريَّة زمن الاحتلال أحدَ المحرَّمات قبل العقد الرَّابع من القرن العشرين، وأنَّ الواقع التَّاريخي يقرُّ بأنَّ وضع المرأة الجزائريَّة العلميّ والثَّقافي زمن الاحتلال كان أسوأ ما عرفته من الأحوال ليتحوَّل إلى واقع نشط بمظاهر كتابيَّة صحفيَّ خلال العقد الخامس والسَّادس، ويُحيل على إمعان النَّظر في مبرّرات ذلك وسياقاته؛ فهل كان هذا النتاج الصُّحفي إحدى الثمرات الطَّبيعية لحركة إصلاحية شاملة؛ أم كان ردَّ فعلٍ ثقافيٍّ ولغويٍّ على حرب إبادة شنَّها الاحتلال على المقوِم اللُّغويّ والثَّقافي للجزائريّين؟، **وهل كان هذا النتاج الصحفي المتناثر الذي قمت بتجميعه من جريدة البصائر إحدى الثمرات الطبيعية لحركة إصلاحية شاملة؟**

الفرضيات: وتحيل الإشكالية السَّالفة على الفرضيات:

– هل يمكن القول بأنَّه لا وجود لامرأة متعلّمة في الوضع الجزائريّ تحت ضغط وتعسف الاحتلال؟

– لماذا يعتبر التيار الاصلاحي مشروع بعث المرأة الجزائرية من متعلمة إلى كاتبة وصحفية في جريدة البصائر؟

– هل كان التعليم العربي الحر الفضل الأول في ظهور الكتابة النسوية في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟ ألا يمكن إرجاع فضل الكتابة الصُّحفية لمشروع التَّعليم العربيّ الحرّ؟

– هل نستطيع القول بأن الكتابة الصحفية النسوية في جريدة البصائر زمن الاحتلال أحد مظاهر مشروع ثقافيٍّ ولغويٍّ متفرِّد؟

– ألا تستحقُّ عشرات المقالات النِّسوية في فترة من أصعب الفترات إنجازا جديرا بالتَّوثيق؟

المنهج المتَّبع: كان لابدَّ من الالتزام بمنهج يلائم طبيعة الموضوع؛ وقد اعتمدت المنهج الوصفي مستعينة ببعض آليات المنهج التَّاريخي، وذلك لرصد قضيَّة تعليم وتعلّم المرأة قبل تأسيس جمعيَّة العلماء المسلمين وبعده، دون التّخلي عن مفردات المنهج التَّحليلي لدراسة الوقائع التي أحاطت بوضع المرأة الجزائريَّة؛ وما عاشته خلال هذا القرن.

بنية البحث: جاء بحثي في مقدّمة حَوت عرضا عامًّا للموضوع، وفصلَيْن أحدهما تمهيديّ بعنوان: **المرأة الجزائريَّة من التَّحييد والإبعاد إلى المشاركة والإمداد.** وعرضت فيه أوضاع المرأة الجزائريَّة قبل تأسيس جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين، وعن التَّعليم العربي الحرّ في الجزائر، ثمَّ عرضت لمشروع الصِّحافة في جمعية العلماء المسلمين، ثم تحدَّثت عن جريدة "البصائر" لأخلص إلى المقالة الصّحفيَّة النّسويَّة الجزائريَّة في صحافة الجمعية.

أمَّا الفصل الثَّاني فقد كان تجميعا للكتابات النّسويَّة الجزائريَّة، المنثورة في جريدة البصائر بسلسلتَيْها الأولى والثَّانية، وقد عرضتها مصنَّفة حسب كاتباتها، ثمَّ مرتَّبة حسب صدورها زمنيا وأردفتها ببيان أثر الإحياء اللُّغويّ فيها ومظاهره عليها.

الدّراسات السَّابقة: يحاول هذا البحث إيجاد موضع جديد له بين تجميعات سابقة عملت على هذا التُّراث من ذلك: آثار بن باديس، وآثار الإبراهيمي، وآثار الطّيب العقبي وآثار مبارك الميلي، ومما اطَّلعت عليه في هذا الموضوع، ما تناوله الدكتور مولود عويمر في

مقاله: "أقلام نسوية في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"[1]، ويتَّجه هذا العمل إلى الكتابة النّسوية تجميعا وترتيبا، مع الاتِّكاء على البحث النَّظريّ المتميِّز: المقالة الصُّحفية الجزائريَّة نشأتها وتطورها وأعلامها من 1903 إلى 1931 للدُّكتور محمد ناصر، والذي تكلّم عن الصّحافة في الجزائر عموما ولم يُفرِد الصّحافة النّسوية في جريدة "البصائر" لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين ببحث أو دراسة، وهي المجهودات التي انبثق هذا العمل من وحيهما.

الصُّعوبات: من الصُّعوبات التي واجهتها هو نقص الكتب التي تتعرَّض لقضية التَّعليم النّسوي في الجزائر تحت الاحتلال؛ إلاَّ ما ندر من عناصر في المراجع التي استخدمتها؛ وكذلك صعوبة تدوين المقالات النّسويَّة من الجريدة؛ بسب صغر خطها ووجود أخطاء كتابية عديدة سببها –في كثير من الأحيان– طريقة الطّباعة ووسائلها يومئذ. وكذا صُعوبة متابعة المقالات النّسوية وحصرها، في مدوَّنة كبيرة جدا متمثّلة في ثلاثمئة وإحدى وستّين (361) عددا من "البصائر" بسلسلتَيْها الأولى والثّانية.

[1]– مولود عويمر، نساء في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، اطلع على الموقع، http//www.oulamadz.org.

الفصل التمهيدي:

حال المرأة قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبعده

الفصل التمهيدي:

1- حال المرأة قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبعده: تمهيدًا لجمع شتات النِّتاج الصُّحفي النّسوي الجزائري زمن الاحتلال، وتحديدًا في جريدة "البصائر" إحدى أرقى الصُّحف الجزائريَّة والعربيَّة منتصف القرن العشرين؛ وخاصَّة في سلسلتِها الثَّانية التي تولَّى إدارتها الشَّيخان: محمَّد البشير الإبراهيمي، ومبارك الميلي، وطبعت بالمطبعة العربيَّة بالجزائر العاصمة؛ التي كانت ملكًا لأبي اليقضان، وقد صدرت في 7 رمضان 1366هـ – 25 جويلية 1947م، أي بعد نحو عامَيْن من توقُّف الحرب العالميَّة الثَّانيَّة، وهي السّلسلة التي تضمَّنت أغلب الكاتبات النّسويَّة الجزائريَّة آنذاك.

ومن هنَا فقد كان من الضَّرورة التَّأسيس لهذا العمل بمتابعة الظُّروف والسّياقات المختلفة المُصاحبة، ومدى إسهامها في نشأة هذا النَّوع من الكتابة وتطوُّرها، واستعراض أعلامها من الصُّحفيَّات الجزائريَّات اللَّاتي برزنَ في صحيفة "البصائر".

1- المبحث الأول: أوضاع المرأة الجزائريَّة قبل تأسيس جمعيَّة العلماء المسلمين:

عانت المرأة الجزائريَّة من ويلات الاحتلال الفرنسي الذي جعلها مقيَّدةً جاهلة مسلوبةَ الحقوقِ في حياتها فقد حُرِمت من التَّعليم والتّهذيب والحياة الكريمة؛ إذ أنَّها فقدت الهناء والعيش الرَّغيد، وهذا ما فرضته فرنسا عليها، فكم من أمٍّ حرمت من أبنائها، وكم من زوجة فقدت الزَّوج والسَّند، وكم من طفلةٍ فقدت أباها؛ فقد أجرمت فرنسا في حقّها، وعمدت إلى سياسة التَّعذيبِ والتَّجهيل والتَّنصيرِ والتَّقتِيل؛ فعانت البؤس والشَّقاءَ، فقد «كانت نساءُ سيدي هجرس اللَّواتي يحملن أطفالهنَّ على ظهرهنَّ مطوَّقات بصفةٍ محكمةٍ متربّعاتٍ على رُكامٍ من الحَصى... كنَّ يُكسّرنَّ

الحجارة بأكثر من مرتمى الطريق، وتحت الشَّمس المُحرقَةِ[1]» فلم يسلم من ويلات المحتل الفرنسي عموم الشَّعب الجزائري برجالهِ ونسائهِ وأطفالهِ وشُيوخِه؛ ولم يعرف للرّجل ولا للمرأة قدرا، ولم يعرف للطّفل في أرضِهِ حقًّا ولا اعتبارا، فكلُّ جزائري منبوذ ومستعبد؛ يحيط به وضع صادم لا يتحمَّله إنسان على وجه الأرض، كأنَّما كتب عليه الهوان والضّعف في أرضه «إنَّ فرنسا احتلَّتِ الجزائرَ وشنَّ عليها الاستعماريُّون حربا ضروسا لا رحمةَ فيها ولا هوادة، في أكثر من 40 سنة؛ أيْ من 1830 إلى 1871، قَتلوا وأحْرقُوا الزَّرعَ والضَّرعَ وجعلوا بلادنا نُهبَةَ النَّاهبِ محفوفةً بالأرزاءِ، منزوفةً بالدّماءِ حتّى كادت تصبح قاعًا صفصفًا[2]» فكيف تهنأ امرأة بمقتل ابنها أو زوجها أو أبوها، أو سجنوا وعذبوا، وقد كان للمرأة الجزائريَّة من هذا حظ وافر، فتعرضت للإهانةِ والذُّل والاستعباد، وفي هذا يقولُ عبد الرحمن الجيلالي ناقلا شهادة الضُّباط الفرنسيِّين الذين كانوا يمارسون القتل في أبشع صورة «إنَّ النِّساءَ والأطفالَ المختفينَ وراءَ الأشجارِ كانوا يستسلمون لنا، ونحن نقتل ونذبح وأصوات المحتضرين والمولولين تختلط بأصوات الحيوانات التي تجار بجانبهم[3]» ورغم كلّ هذه المعاناة القاسية والمشاهدِ المفزعة تحلّت المرأة الجزائريَّة المسلمَة بالشَّجاعة والقوَّة والصَّبرِ الطَّويل منذ أن كانت طفلةً، فتحمَّلت أوضاع بلدهَا المحتلّ، وبقيت تناضل في سبيل حريَّتها وحرّيَّة وطنها؛ فهي التي تنجب الرّجال لتبني الأمَّة بعد كلّ إبادة مارستهُ فرنسا في حقِّها وحق وطنها.

أمَّا وضع المرأة الجزائريَّة التي كتب لها النَّجاة من الإبادة والتَّقتيل، فلم يكن أفضل حالا ثقافيًّا وعلميًّا ودينيًّا؛ إذْ فرَض المحتل سياسة تجهيل ممنهج، ومع ذلك بقيت محافظةً على هويَّتها

---

[1]– سكينة مساعدي، روائيات الاستعمار والمرأة المستعمرة في الجزائر، تر: نادية الازرق بن جدة، موفم، الجزائر، 2012، ص94–95.

[2]– فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، منشوراتANEP، الجزائر، 2005، ص68.

[3]– عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، د م ج، دار الثقافة، بيروت، 1982، ص256.

وعاداتها وتقاليدهَا وشخصيتِها الجزائريَّة؛ فهي محبةٌ لتقاليدها، ولم تعتنق دينًا غير دينها ولم تنطق بلُغة المحتلِّ ولم تظهر لها حبّا.

وقفت فرنسا وقفة صارمة لتجهيل ما أبقته آلة إبادة الشَّعبِ الجزائري، فارضة عليه التَّخلُّف ومعتبرة إياه شعبا لا يقبل ثقافة ولا علما، ورغم أنَّ الحقّ في التَّعليم أمر تقرُّه جميع الشَّرائع السَّماوية والقوانين الأرضية، غير أنَّ لفرنسا الاحتلال رأي آخر، وفي هذا يقول فرحات عباس: « لمَّا كنَّا نطالب بفتح المدارسِ كان جوابهم لنا أنَّنا لسنا أهلاً لها؛ لأنَّنا قوم لا نقبل لا التَّربية ولا التَّعليم[1]» فقد بلغ من استصغار المحتلِّ للجزائريّين واحتقارهم وإذلالهم وتهميشهم فوق أرضهم كلَّ مبلغ، فحاول طمس هويَّتهم الشَّخصيَّة، وتغييب معالمهم وقيمهم العربيَّة الإسلاميَّة الجزائريَّة؛ وقد نتج عن أفعالِ هذا المحتلِّ واقع مأساوي تضرَّرت منه كلُّ فئات الشَّعب، وأحاطَ بالمرأةِ الجزائريَّةِ المسلمةِ آثارًا نفسيَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة منها:

- السَّعيُ إلى تجريد المرأةِ الجزائريَّةِ من الحجابِ، والقضاءِ على عاداتِ وتقاليدِ المجتمعِ الجزائري النَّابعة من قيمه العربيَّةِ والإسلاميَّة.
- تنويع الأساليبِ الوحشيَّة المتمثّلة في الاغتصابِ والتَّعذيبِ بمختلفِ الأساليبِ، بالسَّجن ودفع الضَّرائبِ وفي هذا يقول فرحات عبّاس ناقلا شهادة أحد ضبَّاط الاحتلال: «إنَّ جنودَنا الذين كان يقتلهم العدوُّ غَيْلةً من نافذةٍ أو بابٍ منفتحٍ قليلاً أو من فجوةٍ من السَّطحِ، كانوا يهجمونَ على المنازلِ ويطعنُونَ كلَّ من وجدوهُ بلاَ شفقة ولا رحمةٍ ولا يعزُب عن ذهنكُم بأنَّه نظرًا للبَلبَلَةِ والظَّلام المدلهم كان يصعب عليهم التَّمييز بين ذكرٍ وأنثَى وبينَ رجلٍ وطفل، ولذَا كانُوا يقتلون ويقتلون بدونِ إعلامٍ ولا إنذارٍ، وقد ترك أولاد سعيد، أولادهم ونسائَهم في الأدغال. كان باستطاعتي أنْ

[1]– فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، ت: أبي بكر رحّال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ص31.

أبيدهُم عن بكرة أبيهم، لكنْ لم يكن معي العدد الكافي من الجنود لنشغل أنفسنَا لهذهِ الأمور التَّافهة[1]» فلم تكن أرواحُ رجالنَا ونسائنَا وأطفالنَا إلا أمرًا تافها لدى المجرمين المستبدّين الفرنسيّين.

- تجهيل المرأة الجزائريَّة المسلمة، وحرمانها من التَّعليم والتَّهذيب، ولم يقتصر هذا الفعل الشَّنيعُ عن العنصر النِّسوي فقط بل حتَّى الرّجَال وفي هذا يقول زهير بن علي: «فالحكومة الفرنسيَّةُ قد تجاهلت أوَّل أمرها قضيَّة التَّعليم ولم تكن مشتغلةً إلَّا بإفناءِ العنصرِ الجزائري وتحطيمِ قواهم وإخمادِ حركاتهِ[2]»؛ إذ دمَّرت فرنسا كلَّ المساجد والمدارس والزَّوايا فكيف لا ينتشر الجهلُ والأميَّة في أوساط المجتمعاتِ الجزائريَّة الإسلاميَّة، بهدف القضاءِ على الدّينِ الإسلامي ونشرِ المسيحيَّةِ، فكانت الغايَة محاربة الإنسانِ في شخصيَّتهِ ومبادئه العربيَّة الإسلاميَّة.

2- المبحث الثاني: تعليم المرأة الجزائريّة ضمن مشروع الجمعيّة الإصلاحي:

لقد كان لتأسيس هذه الجمعيَّة ظروف وعوامل ساهمت في نشأتها وظهورها؛ وقد كانت معاناة الشَّعب الجزائري من ويلات الاحتلال، وما نتج عنه من طمس الهويَّة الجزائريَّة؛ وما اعتمده الاحتلال من ضرب دينها ولغتها وتاريخها؛ عوامل عجَّلت بظهور هذه الجمعية، متبنّيَة الدِّفاع عن مقوِّمات الأمَّة الجزائرية ومواجهة الأخطار المحدقة بها، وفي ذلك يقول الشَّيخ محمد البشير الإبراهيمي: «بعد شعور الأمَّة بسوء الحال...والشُّعور بالفساد وهو أوَّل مراحل الإصلاح[3]» فقد كان لظهور الفساد في البلاد الجزائريَّة عامَّة بفعل الاحتلال وعلى الشَّعبِ الجَزائري خاصَّة بفعل ممارسات زبانيته، وما أشاعوه من سياسة القمع والسَّلب للمُمتلكات، وسيَّاسة التَّجهيل ومحاربة العلم والعلماء وهدم المساجد وتحويلها إلى كنائس والقضاء على الدّين الإسلامي واللُّغة العربيَّة؛ مبرِّرا

[1]– فرحات عباس، ص81–82.

[2]– زهير بن علي، قضايا المرأة ضمن اهتمامات الحركة الاصلاحية الجزائرية (1925–1954)، مذكرة ماجستير في التَّاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية–جامعة الحاج لخضر باتنة،2014–2015، ص120.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر العلماء المسلمين الجزائريين، ط2، الجزائر، 1982، ص57.

كافيا لفكرة بعض علماء المرحلة في إنشاء جمعيَّة دينيَّة لتجمع شملهم وتوحد جهودهم. وفي هذا يقول عبد الكريم بو الصَّفصاف: «ولم يكن الاستعمار الغربي سبيلٌ إلى تحقيق هدفه المنشود، سوى تناول (مادَّة التَّوجيه) المحليَّة وتشويهها، ولم يكن هناك في العالم العربي والإسلامي سوى الإسلام وتراثه العظيم الذي خلَّفه المسلمون خلال مرحلة الخلق والإبداع في عصورهم الذَّهبيَّة[1]» فتأسَّست جمعيَّةُ العلماءِ المسلمينَ الجزائريّينَ رسميًّا في الخامسِ من شهرِ مايُو سنة 1931م، وقد اتَّخذَت نادِي الترقّي الذي أسِّسَ في عام 1926م مقرًّا لها في بدايةِ تكوينهَا، وتولَّى رئاسَتها منذ البدايةِ الشَّيخ عبد الحَميد بن باديس وتولَّى نيابةً الرّئاسة الشّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي الذي استمرَّ يشْغل هذا المنصِبَ إلى أنْ توفي الشَّيخ عبد الحميد بن باديس.

أنشئت جمعية العلماء فاعتمدت الوعظ والإرشاد مسلكا، وتهذيب السُّلوك وتحسين الأخلاق في أوساط المجتمع الجزائري منهجا، في هذا يقول والمؤرِّخ أبو القاسم سعد الله: «وقد كتب الكثير عن أهداف جمعيَّة العلماء. وبعضهم قصرها على التَّعليم العربي ومحاربة الخرافات وتصفيَّة الإسلام ممَّا علّق به من شوائب خلال القرون المتأخِّرة. وبعضهم قرنها بالنَّشاط السِّياسي ومعاداة العلماء على أنَّهم مجموعة من أنصاف المجتمع الجزائري[2]» فكان للجمعيَّة أهداف كثيرة، لخصَّتها إحدى مقالات جريدة لسان العرب في نقطتين اثنتين، وهما:« إحياءُ ما اندثرَ من تعاليمِ الإسلامِ وإحياءُ ما مَاتَ من مظاهرِ اللُّغةِ العربيَّةِ[3]» وقد كانت هذه الشَّهادة خلال مناسبة شراءِ الجمعيَّة مقرًّا جديدا لها يقع بالسَّاحة العربيَّة بالعاصمة، فقد كان الدِّين الإسلامي في طريقه إلى الاندثار في الوطن الجزائري كيف لا وقد سعت فرنسا للقضاء عليه ونشر الدّين المسيحي في الأراضي

[1]– عبد الكريم أبو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الأخرى، ص35.

[2]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930–1945، ج3، ص86.

[3]– الشيخ عمر المختار بن محمود، مقر الجبهة الجديدة–جريدة لسان العرب–، عدد2، تونس، 18 جانفي 1947، ص4. كتب هذا المقال بمناسبة شراء الجمعية مقرا(مركزا) جديدا يقع بالساحة العربية بالعاصمة.

الجزائريَّة، واستبدال المساجد بالكنائس والأئمَّة بالرُّهبان، فكان تأسيسِ الجمعيَّةِ تصحيحا لوضع نشر تعاليمِ الإسلامِ والحفاظ على اللُّغةِ العربيَّةِ لغةُ القرآنِ الكريمِ والدِّينِ الحنيفِ، واعتمدت لذلك من الأساليب بناء المساجد وفتح المدارسِ وتكثيف دروس الوعظ لتصحيحِ العقائَدِ وتحريرِ العقولِ باعتبارِ ذلكَ بداية تحرير الأبدانِ، والتَّشجيعِ على حملِ العلمِ وتدريسِ القرآنِ الكريمِ للنَّاشئَةِ.

كما كان النّضال بالأقلام وإنارة عقول النَّاس لتفتيح البصائر، وإظهار ظلام الجهل وحلكَته أحد أبرز وسائل الجمعية في النِّضال التَّربوي الهادف: «فكانت الجمعيَّة التي أمدَّت الفريق الثاني بسلاح الأقلام، ولكنَّه كان أشد وأفتك من سلاح المدافع والطّائرات التي كان يتبجَّج بها الاحتلال والذي حسب في تطويرها سبب في طول أو أبديَّة إقامته بهذا البلد العربي[1]» فتمثَّلت إرادتها في النّضال والكفاح بحمل القلم وإنارة البصائر.

ولم يلبث مشروع جمعية العلماء الإصلاحي أن آتى ثمراته الأولى، فقد صرَّح ابن باديس في إحدى المناسبات التَّقييمية بالقول: «أيها الإخوان: إنَّ جمعيَّتكم جامعة للنَّاس فيما تفرَّقوا من دين الله وهادية لهم فيما ضلُّوا فيه عن سبيله، وقد عرف النَّاس حقيقتها، ولكن نجَا أقوام وهلك آخرون[2]» لقد قاد عبد الحميد بن باديس وشركاؤه في الإصلاح الثَّورة التَّعليميَّة بدروسها الحيَّةِ وتربيَّتها الصَّحيحةِ فكانَ يعلِّم تلاميذه بتعاليمِ تهذيبِ النُّفوس الطَّاهرة النَّقيَّة؛ حيثُ انظمَّ إليه كلٌّ من الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي والعربي التبسي الذي أسّس جريدة الإصلاح في بسكرة، وعمل على نشرِ وتدعيمِ الحركة الإصلاحيَّة في منطقة الشَّرق الجزائري، وقد ناضل العلَّامة الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي في سبيل نشر التَّعليم والوعي في أوساط الشَّعب الجزائري، وحثِّه على ضرورةِ التَّعليمِ ومسك القلم وتمرين اللِّسان على القراءة حيث قال:« حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس

[1]– عبد الجليل مرتاض، جزائريات، دار هومة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص85.

[2]– المرجع نفسه، ص88.

ما في هذا شك، إلَّا في قلوب ران عليها الجهل وعان عليها الفساد؛ ونفوس حتم عليها الضَّلال وضرب على مشاعرها المسخ وطال عليها الأمد في الرِّق، فصدئت منها البصائر وعميت الأبصار فتغيَّر نظرها في الحياة ووسائلها؛ فرضيّت بالدُّون ولاذت بالسُّكون[1]»، فحياة الأمم بالعلم والعمل، فما رَقَتْ أمَّةٌ إلاَّ بفضل تبجيلها وتعظيمها للعلم.

سعى علماء الجمعية لمحاربَة الجَهالَةِ والضَّلالة التي طمست بصيرة الشعب الجزائري وأفقدته علاقته بدينه وعقيدته في ظلِّ العبوديَّة التي فرضَها المحتل الغاشم، وما ارتكبه من إجرام في حقِّ نساء ورجال الجزائر؛ فتوجَّهت أعين الإصلاح إلى وضع المرأة الاجتماعيّ والثَّقافيّ وفي هذا يقول رابح تركي:« ينظر ابن باديس إلى تعليم المرأة الجزائريَّة بصفة خاصَّة وتعليم المرأة المسلمة بصفة عامَّة من زاوية نظرة الدّين الإسلامي إليها ووظيفتها في المجتمع ودورها في الحياة لهذا فهو من دعاة تعليمها المتحمِّسين، ولكن بشرط أنْ يكون هذا التَّعليم في دائرة المُثل الدّينيَّة القوميَّة[2]» وقد كانت هذه الرُّؤية هدما لما عمدت إليه فرنسا من سياسة التَّجهيل والتَّنصير وتعليم اللُّغة الفرنسيَّة على حساب اللُّغة العربيَّة لرجال ونساء الجزائر، وما اتَّخذته في ذلك من أساليب للقضاء على الدِّين الإسلامي وأوامره، فقد قامت عناصر المشروع الإصلاحي على هدم ما بناه مشروع الاحتلال وإعادة بناء دين الأمة ولغتها وصون مقوِّماتها من جديد، بل لقد بلغ من حصانة المتعلِّمين في مدارس الجمعية أنْ تحوَّلوا إلى تعلُّم لغة المحتلِّ وإتقانها، بعد أن أتقنوا لغتهم العربية وتمكَّنوا منها: «إنَّ مبادئ الجمعيَّة في الذَّود عن هذه اللُّغة مبادئ رجال علماء ليسوا متزمِّتين ولا معادين لتعليم أيِّ لغة أجنبيّة، ولكنّهم كانوا واعين أكثر من سواهم لما رأوه من إقبال فئات الشَّباب الجزائري على اللُّغة الدَّخيلة التي أصبحوا يُقبلون عليها ويستسيغونها رغم كونها أصعب من

[1]– الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، شركة دار الأمَّة، الجزائر، ص283.

[2]– رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التعليم، ص330.

العربيَّة[1]»؛ وقد سبق هذا إبداء موقف الجمعية من تعلُّم اللُّغة العربية وتعليمها، لأنَّ اللُّغة العربيَّة هي ركيزة المجتمع الجزائري وهي لغة القرآن الكريم والدِّين الإسلامي الحنيف، ولا يمكن القضاء عليها بل تعليمها في المساجد وتحفيظ القرآن للفتيات والولدان وفي هذا يقول الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي:« اللُّغة العربيَّة في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها، وهي ممتدَّة الجذور مع الماضي، ممتدَّة من الماضي لأنَّها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين، ترحل برحيلهم، وتقيم بإقامتهم[2]» وبجوار هذه الرُّؤية في التَّعليم كان حرص جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريين على الحفاظ على الأخلاق الحميدة الفاضلة وعفاف المسلمة الجزائريَّة، والاجتهاد في تعليم البنات الجزائريَّات أيضا، وإزالة فكرة أنّ المرأة الجزائريَّة تختلط بغيرها من الرِّجال في تعليمها، والتَّساهل في الحفاظ على أعراض الفتيات، وفي هذا يقول: « الحقيقة –أيُّها الرَّهط– أنَّ الاستعمار متشائم بحركات جمعيَّة العلماء كلّها لأنَّها إيقاظ لشَّواهد الأمَّة وإحياء للفضائل الإسلاميَّة في أنفاسها ومتشائم على الخصوص –بتعليمها للبنت المسلمة– لأنَّ النَّتيجة تكوينُ بنت صالحة تصبح غدًا زوجة صالحةً، وبعد غد آمالا صالحة وهاله أن تعمِّر بعض البيوت ولو بعد حين، بالصَّالحات فيلدن جيلا صحيح العقائد، متين الإيمان قويم الأخلاق[3]»؛ ومن هنا أولت جمعيَّة العلماء اهتمامًا خاصًّا لتعليم المرأة القراءة والكتابة والتَّاريخ الإسلامي المجيد؛ باعتبارها ستصير المربّي الأول للأجيال الصَّاعدة.

3- المبحث الثالث: التَّعليم العربي الحرُّ (وإنشاء معهد ابن باديس): أدَّى التَّخلُّف العلمي الحاصل لأبناء وبنات الجزائر بجمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريين إلى فتح مدارس

---

[1]– عبد الجليل مرتاض، جزائريات، مرجع سابق، ص91–92.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، مرجع سابق، ص221.

[3]– سعيد درويش، مشكلة المرأة في الفكر الجزائري الإسلامي المعاصر، علم الكتب الحديث، الجزائر، 2014، ص154.

ومعاهد خارجة على إشراف الحكومة الفرنسيَّة فالمتتبِّع لتاريخ الجزائر إبَّان فترة الاحتلال، يلمس تدنِّي المستوى الثَّقافيّ والعلميّ والدِّينيّ للفرد الجزائريّ، فقد أخضعت حكومة الاحتلال التَّعليم لسلطتها، وقد أرادت تنصيرَ ما استطاعت من أفراد الشَّعب الجزائري، وتجهيل ما تبقَّى من بنات وأبناء الأمَّة وفي هذا يقول الشَّيخ الإبراهيمي: «يا حضرة الاستعمار: إنَّ جمعيَّة العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده، وتفهم حقائقه – وإحياء آدابها وتاريخه – وتطالبك بتسليم مساجده وأوقافه، إلى أهلها[1]» وهي مطالبات كان قد رافقها فتح المدارس الحرَّة التي توسَّعت حركتها التَّعليميَّة العربيَّة الحرّة، وتبنَّت تنشئة البنات والبنين على النَّهج الصَّحيح بعيدًا عن مدارس الحكومة الفرنسيَّة، ذلك أنَّه بات واضحا أنَّ «الأمَّة تريد تعليما عربيًّا يسايِرُ العصر في قوَّته ونظامه، لا تعليما يحمل جراثيم الفناء وتحمله نذر الموت[2]» فلا حياة دون علم ولا تعليم. فأنشئت المدارس الحرَّة في مختلف المدن والقرى بأموال الجزائريّين وتبرُّعاتهم، ورغم ما لاقاه هذا التَّعليم من مضايقات الاحتلال، على ما وصفه الإمام الإبراهيمي راويا مكائد فرنسا عن أشكال التَّعليم زمن الاحتلال، فـ «النَّوع الأوَّل غالبُه عامٌّ مطلق يشمل كلَّ تعليم حرٍّ لم تباشره الحكومة بأيَّة لغة كان، ومن أيَّة جمعية صدر، والثَّاني خاصٌّ بنا معشر المسلمين مصبوب علينا وحدنا موضوع بالقصد المباشر للتَّضييق على لغتنا وديننا؛ وقد كثُر هذا النَّوع وتوالد، حتّى أصبح بعضه ينسى بعضه عند المنفذِّين[3]» فالهدف من إنشاء المدارس الحرَّة هو القضاءُ على الجَهالة التي كان عليها أبناءُ وبنات الجزائر، فكانت الغالبيَّة منهم يجهل اللغة العربيَّة الفصيحة «وإنَّ لغةً يُصيبها أقلَّ ما أصاب اللُّغة العربيَّة من عقوق أبنائها وحرب أعدائها– لَحقيقَة بالاندثار والفناء، ولكنَّها لغة العرب والأمَّة

[1]– الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جريدة البصائر، العدد الاوَّل، العدد الثَّالث من السلسلة، السنة الثانية، ص194.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، ج3، ص283.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، مرجع سابق، ص233.

الجزائريَّة من أوفى الشُّعوب العربيَّة لهذه اللُّغة، وأكثرهم برًا بها وتمجيدا واعتزازًا[1]» فاللُّغة العربيَّة مجدُ العروبة، وأصالة العربيّ الجزائري، في الأوقات السَّابقة والحاضرة واللَّاحقة.

ويبدو أنَّ نجاح المشروع الإصلاحي الذي شرعت الجمعية في نشره قد لاقى قبولا حسنا عند عموم أفراد الشَّعب، ولكنَّه لاقى مقابل ذلك تعسُّف سلطات الاحتلال، وهنا يقول الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي: «وكلَّما زادت الأمَّة إقبالا على تعلُّم لغتها ودينها زادت الحكومة في القيد تضييقًا[2]» فالتَّعليم العربي الحرُّ في الجزائر قد امتدَّت فروعه وسط فئات الشَّعب الجزائري، وتوَّج ذلك سنوات كفاحه الطّويل ضدَّ ويلات الاحتلال؛ حيثُ سعت هذه الجمعيَّة لتعليمِ فلذات أكبادها والقضاء على الأميَّة التي سمَّمت حياتهم «إنَّ هذه الجمعيَّة بإمكانيَّاتها الذّاتيَّة البسيطة التي كانت تحصل عليها بواسطة تبرُّعات المواطنين استطاعت أنْ تطوِّر التَّعليم تطويرًا حديثا محترمًا في مناهجه ومواده، ولا سيما في ما يخصُّ نشره، فتوسَّعت في إنشاء المدارس وتأسيس النَّوادي[3]» فأخرجتهم من ظلمات الجهل والأميَّة، وغرست فيهم القيم الدّينيَّة والوطنيَّة، وحافظت على اللُّغة العربيَّة الأصيلة التي أرادت فرنسا القضاء عليها وطمسها، وهو ما لخَّصه شعار هذه الجمعيَّة: الإسلام ديننُا والعربيَّة لغتنا والجزائر وطننا، وهو ما قيَّده النَّشيد الشَّهير للعالم الرَّبَّاني الجزائريّ ابن باديس، والذي لا تزال كلماته شامخةً راسخةً في أذهاننا والتي تغنَّى بها الجزائريون مذ كانوا صغارًا:

شـــعب الجزائـــر مســـلم وإلـــى العروبَـــة ينتســـب

مـــن قـــالَ حـــادَ عـــن أصـــله أو قـــال مـــات فقـــد كـــذب

أو رام إدماجًـــــا لـــــه رام المحـــال مـــن الَّطلـــب

يـــا نـــشء أنـــت رجاؤنـــا وبـــك الصَّـــباح قـــد اقتـــرب

---

[1]– المرجع نفسه، ص311.

[2]– المرجع السابق، ص233.

[3]– عبد الجليل مرتاض، جزائريَّات، مرجع سابق، ص93.

ليقول في آخر بيت منه:

فـــإذا هلكـــت فَصـــيحتي "تحيَـــا الجزائـــر والعـــرب"

لقد كان الهدف من هذه المدارس الحرَّة التي فتحت أبوابها في جميع التُّراب الجزائري من مشارقها ومغاربها، وجنوبها وشمالها هو التَّعليم على النَّهج الصَّحيح الذي يساير وضع الأمَّة ويحيي فيهم الوعي وإدراك مخاطر المحتل الغاشم وما يخطّطُ له، فقد «بُني القانون الأساسي من الوجهة التَّربويَّة على تربيَّة أبناء المسلمين وبناتهم بالمُحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيَّتهم ومن الوجهة التَّعليميَّة على تثقيف أفكارهم بالعلم[1]»، فالدّين الإسلامي روحُ الأبدان، ونورُ السَّبيل، وحياة الأفراد.

ولقد رصدت الجمعية للبنت الجزائرية من هذا التَّعليم نصيبا معتبرا، وهو موقف أعقب تلك المعاملة السَّيئة التي كان المحتل يعامل بها الفتاة الجزائرية. معتمدة قاعدة: إذا علَّمت ولدًا فقد علَّمت فردًا، وإذا علَّمت بنتا فقد علَّمت أمّةً «إنَّ الاستعمار متشائم بتعليمها [يقصد الجمعيَّة] للبنت المسلمة لأنَّ نتيجته ستكون بنتا صالحة لتصبح غدًا زوجةً صالحةً وبعد غد أمًا صالحة[2]»، فالمحتلُّ لم يعلِّمها لأنَّه يعلم أنَّها ستكون لأمَّتها خيرًا، وتكون سببا مباشرا في نهضة حسنة، تطيب به المجتمعات وتبصر مكائد المحتلِّ الغاشم، فالمرأة أساس التَّربيَّة وما صلح بيت إلاَّ بصلاح امرأة وما فسد بيت إلَّا بفساد امرأة وفي هذا يقول أمير الشُّعراء أحمد شوقي:

الأم مدرســـــة إذا أعـــــدَدتها أعـددت شـعبا طيِّـب الأعـراق

الأمُّ روضٌ إن لـم تعهـده الحيـا بـــالري أورق أيَّمـــا إيـــراق

الأمُّ أســـتاذ الأســـاتذة الأُلَـــى شـغلت مـآثرهم مـدى الآفـاق

[1]– عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، جمع: عمار طالبي، ط3، الشَّركة الجزائرية، الجزائر، 1997، ص103.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، مرجع سابق، ص21–22.

لقد كان من نتاج تعليم البنات تلك الأقلام الجزائريَّة التي كتبت نصيبها من التَّاريخ في فترة من أصعب الفتَرات التي شهدتها الجزائر، وسطَّرت تلك الفئة الصَّالحة من خرّيجات المدارسِ الحرَّة التي أنشأتها الجمعيَّة فيما أنشأت من مؤسّسات الإصلاح أسماءهن بحقٍّ في صفحات الخالدات.

- **إنشاء معهد ابن باديس:** كان المعهد الباديسي أوَّل معهد افتتَحه الشَّيخ عبد الحميد ابن باديس رفقة الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي، فكان من اهتمامات الجمعيَّة الإصلاحيَّة الجزائريَّة المسلمة التي كانت تهدف إلى تعليم النَّاشئة من ذكور وإناث، وهو أوَّل معهد نادى بتعليم البنت الجزائريَّة، وفتح لها أفقًا جديدا، وعلى مستوى أعلى ما يكون في الجزائر يومذاك.

أفتتح المعهد يوم 06 ديسمبر 1947م، وتوافد أبناء الجزائر وبناته عليه حتَّى ضاق بهم، وفي هذا يقول العلَّامة الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي بمناسبة افتتاح السَّنة الدِّراسية عام 1953م: «كأنَّ تلامذة السَّنة الماضيَّة أذَّنوا في جهات القطر أذانًا عاليًّا، ونادوا في جنباته نداءً متواليًا: حيَّ على المعهدِ، حيَّ على خيرِ العملِ، فتلاحق المدَدُ وتضاعف العددُ[1]» فقد استقبل المعهد الباديسي العديد من الإناث لتعليمهم وإرشادهم وتهذيبهم بتعليم صحيح يناسب خِلقتهنَّ ليؤدّين واجبهنَّ في الحياة على أكمل وجهٍ، فتعلَّموا اللُّغة العربيَّة، وأحكام الدّين الإسلامي وأوامره، وتعلَّمنَّ القرآن الكريم وسيرة سيِّد المرسلين، وفي هذا يقول الإمام عبد الحميد بن باديس:« إنَّنا نربّي- والحمد لله – تلامذتنا على القرآن ونوجّه نفوسهم إلى القرآن من أوَّل يوم وفي كلِّ يوم، وغايتنا التي ستتحقق، أنْ يُكوّن فيهم القرآن منهم رجالا كرجال سَلفهم، وعلى هؤلاء الرّجال القُرآنيين تعلّق هذه الأمَّة آمالها[2]» وقد كان حظُّ تعليم البنات من هذا التَّعليم غرس الفضيلة في نفوسهنَّ وأرواحهنَّ، ففي هذا المعهد تخرَّجت العديد من الفتيات وتصبح العديدات منهنَّ صاحبات أقلامٍ في جريدة "البصائر" ذلك أنَّ

[1]- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، مرجع سابق، ص228.

[2]- عيسى عمراني، المدرسة الباديسيَّة ومناهجها الدّراسيّة، دار الهدى، الجزائر، ص71.

هذا المعهد كان ذا قيمة علمية مشهودة، وله في نفوس الجزائريين والجزائريَّات مكانة رفيعة، بعدما أثبته شيوخه من كفاءة، وما صار عليه متخرّجوه من مستوى علميٍّ وفكريٍّ، وفي هذا يقول الشيخ محمَّد البشير الإبراهيمي: «أمَّا قيمة المعهد المعنويَّة عند الأمَّة فهي القيمة الغاليَّة، وأمَّا منزلته فهي المنزلة العاليَّة، وأمَّا الثّقة به فهي المثل الشَّرود، والزَّرد المسرود[1]» وهو ما انعكس على متخرّجيه ومتخرجاته من قيَّم ومبادئ سمت من خلالها المرأة الجزائريَّة في علياء السَّماء، دينًا وخلقًا وعلما.

4- المبحث الرابع: موقف جمعية العلماء من قضيَّة تعليم المرأة: كرَّم الإسلامُ المرأة وأعطاها حقوقَها وجعلها ملكةً في بيتها، وأولاهَا مكانةً قيّمةً وخاصَّةً وعرَّفهَا قدْرها فقال صلى الله عليه وسلم: «فاتَّقوا الله في النّساءِ واستوصُوا بِهنَّ خيرًا ألا هل بلَّغت... اللَّهمَّ فاشهد[2]»، فهي الأمُّ والأخت والابنة والعمَّة والخالة والزَّوجةُ شريكة الرَّجلِ في تحمُّل المسؤوليَّة ولها الحقُّ في الحياةِ الطيّبةِ ولهَا الحقُّ في الميراثِ والكسبِ وحقّ النَّفقة ولها الحقُّ في التَّعليم، فالإسلام لم يمنع المرأة من طلب العلم وتحصيله، وجعله فرضا على المسلمين في قوله صلى الله عليه وسلم:« من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهَّل الله له طريقا الى الجنَّة، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله، يتلونَ كتاب الله ويتدارسونهُ بينهم، إلَّا نزلت عليهم السَّكينة، وغشيتهُم الرَّحمة وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرهم الله في من عنده[3]»، فالعلم نِبراس الحياة ونُورها، وهو عمَاد المجتمع، وبه ترقى الأمم وتزدهر والأمُّ المتعلِّمة هي من تجعل من أبنائها رجالا تستفيد منهم الأمَّة الإسلاميَّة الجزائريَّة.

ومن خلال هذه الخلفية الدينية والاجتماعية راح عُلماء الجمعية يسارعون في فتح المدارس الحرَّة لتعليم الصّبيان والفتيات لمحو الجهالة التي كانوا عليها ونشر الوعي في نفوس الجزائريين

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، مرجع سابق، ص231.

[2]– عبد الرّحمان بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيَّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر تاريخ ابن خلدون، بيت الأفكار الدولية، حجة الوداع، ص523.

[3]– محمد بن صالح العثيمين، كتاب العلم، من إصدارات مؤسسة الشّيخ محمد بن صالح العثيمين الخيريّة، ط9، 1435هـ، المملكة العربيّة السُّعوديَّة، ص07.

عبرها، وفي هذا يقول الشَّيخ محمد البشير الإبراهيمي:« ها أنتم تبوَّأتم من مدارسكم ميادين جهاد فاحرصوا على أن يكون كلُّ واحد منكم بطل ميدان؛ وها أنتم هؤلاء خلَّفتم مرابطة الثُّغور من سلفكم الذين حملوا الدين والدنيا، ووقَّفوا أنفسهم لإحدى خطَّتين: الدفاع المجيد، أو موت الشَّهيد[1]»، كان أهالي الجزائر في زمن الاحتلال يمنعون بناتهم من الذهاب الى المدارس الحكوميَّة، لأنَّ القائمين عليها ليسوا مسلمين، واستمرَّ الأمر كذلك إلى أن منعوهنَّ من التَّعليم في الكتاتيب الحرَّة، غَيْرَةً على الأعراضِ وحفاظا على الدّين في نظرهم، فكانت الفتاة الجزائريَّة لا تتعلَّم إلَّا بعد أنْ ظهرت الحركة الإصلاحيَّة التي نادى بها الإمام عبد الحميد ابن باديس والتي كانت عبارة عن:« حركة فكريَّة وثقافيَّة تنفض غبار الجهل والأميَّة عن الشَّعب الجزائري، حيث أسست المدارس الشَّعبيَّة للتَّعليم والمسَاجد لأداء الشَّعائر الدينيَّة والنَّوادي الثَّقافيَّة[2]» فالعلم نور الحياة وبهاؤها؛ فبه ترقى الأمم وتزدهر المجتمعات، فَيَخرجُ به النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور، فقامت استراتيجية الجمعية في الإصلاح على «أنَّ العلم الصَّحيح والخلق المتين هما الأصلان اللَّذان ينبني عليهما كمال الإنسان، وأنَّ الإصلاح ذو شقَّين مترابطين التَّعليم من ناحيَّة ونبذ الجمود والأوضاع الطُّرقيَّة والاستعماريَّة كنتيجة للعلم والتَّعليم من ناحيَّة ثانيَّة...[3]»، فمن قرارات هذه الجمعيَّة الإصلاحيَّة ضرورة تعليم المرأة، وإنارة عقلها وإعدادها إعدادًا لازما لتربَّى النَّاشئة على يدها، وتغرس فيهم قيَّم الأخلاق الحميدة والدّين منذ بداياتهم الأولى.

وبما أنَّ المرأة هي عماد البيت، وبها تُبنى المجتمعات؛ لما تقوم به من تربيَّة الأبناء فهي من تحافظ على دين وأخلاق أبنائها عندما تكون امرأة متعلِّمة في دينها وأخلاقها ومتمسِّكةً

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، مرجع سابق، ص288.

[2]– عبد الغفور شريف، موقف جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريين من الثَّورة التَّحريريَّة من خلال جريدة البصائر"1954،1956"، مذكرة ماجستير جامعة الجزائر3، 2010–2012، د ص.

[3]– عبد الكريم أبو الصَّفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر، ص440.

بمقوِّماتها وهويتها ولغتها؛ فقد اعتمد عليها في تربية أبناء الجيل وتهذيبه، فهي المدرسة الأولى وفي هذا يقول الإمام عبد الحميد بن باديس:« إنَّ المرأة الجاهلة بالدِّين والمحبَّة له بالفطرة فقط هي بلاءٌ على المجتمع لأنَّها تلد له أولادًا يكونونَ بلاءً على الأمَّةِ وحربًا لدينِهَا، ونوعُ تكوينِ البناتِ هو دليلٌ على ما سيكون من أجيالٍ لأمَّةٍ في مستقبلها[1]»، فالتي تجهل دينها تجهِّلُ أبنائها، وتفقدهم تعاليم دينهم وتفسد أخلاقهم ولا ينتفع بهم مجتمعهم بثمرتها التي أنجبتها، فتهلك وطنها، وتفسد حال أمَّتها، ومن هذا قد توضَّح فكر ابن باديس، في تعليم الفتاة الجزائريَّة المسلمة حيث قال في هذا:« ومن دواعي الإعجاب بهذه الجمعيَّةِ أنَّها صرفت عنايتها لتعليم الفتاة الجزائريَّة تعليمًا دينيًّا صحيحًا، يتَّفق وما نصبوا إليه من اقتران ذلك ممَّا يجعلها تعتقد روحها الفيَّاضة إلى البلدان الأخرى[2]»، وكان لابن باديس نظرة من تعليمها وهي نظرة مختلفة الأبعاد، لحماية الوطن الجزائري، وتوحيد شمله وأصله وهذه الزَّاويَّة تمثَّلت في:« والواقع أنَّ ابن باديس قد نظر إلى تعليم الفتاة الجزائريَّة من زاويتين: الزاويَّة الأولى: باعتبارها زوجة وقرينة للشَّاب المثقَّف حتَّى لا تأخذه المرأة الأجنبيَّة.

الزاويَّة الثانيَّة: فهي اعتبارها مربيَّة الأولاد وحاضنتهم والقيِّمة على القيم الدينيَّة والخلقيَّة والقوميَّة للشَّعب الجزائري[3]» وكفى بهذين الاعتبارين أنْ ترصد الجمعية ما رصدت.

صرفت الجمعيَّة اهتمامها بتعليم الفتاة الجزائريَّة، وفكِّ قيودها من العبوديَّة والتَّجهيل وغيَّرت مسَارها إلى التَّهذيب وعلّمتهَا الدّين الحنيف والقرآن الكريم؛ وغرست فيها الأخلاق النَّبيلة، لتنتجَ الثِّمار الطيِّبة وتربِّي النَّاشئة على الصَّلاح والوَعي الذي ضَاع منها قبلَ فتراتٍ سبقتهَ؛ لتصبحَ لها

[1]– عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931–1945م دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ج2، ص37.

[2]– عبد الحميد بن باديس، جمعيّة التربية والتعليم الإسلامية، مجلة الشهاب، ج2، م7، مارس 1931، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص531–532.

[3]– تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته في التربية والتعليم، ص334–335.

قيمةً أسريَّة واجتماعيَّةً وسط وطنها الذي تكنُّ له الاعتزاز، وتبذل لأجل مقوِّماتهِ وهويَّته ودينه التَّضحيات الجسام.

كانت غاية عبد الحميد بن باديس من تعليم الفتاة الجزائريَّة هو تكوينُ وإعدادُ رجالِ الأمَّة الجزائريَّة، فالعظيمة المتعلمة يكونُ لها رجالًا عظماء تستفيد منهمُ الأمَّة، وتنتفعُ بهم وبعقولهم فهم نجاةُ الوطنِ الجزائري من وحلِ الاحتلال الفرنسي الذي سلب منهم حياتهم وقطع أملهم، وفي هذا يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس:« إذا أردنا أن نكوِّن رجالًا فعلينا أن نكوّن أمَّهات دينيات ولا سبيل لذلك إلا بتعليم البناتِ تعليمًا دينيًا وتربيتهُم تربيةً إسلاميَّة وإذا تركناهنَّ على ما هنَّ عليه من الجهلِ بالدِّين فمُحالٌ أن نرجو منهن أن يكوّنوا لنا عظماءَ الرِّجال[1]» فالأمُّ المتعلِّمة تفتحُ بصيرة أبنائها بالعلم والدّين والتَّهذيب، وتُنوّرُ مسلكهُم في حياتهم، ليصبحوا السَّبيل لتحرير أمَّتهم من ويلاتِ الاحتلالِ على البِلاد الجَزائريَّة وعن شعبها المستضعفِ، الذي يكاد لا يفقه شيئا من ظلماتِ الجهل التي كان عليها والذي كان ضحيَّةَ أمٍّ جاهلةٍ لم تُعدِد أبنائها الإعدادَ الجيِّد للنُّهوضِ بالأمَّة وتحريرها من ظلم العبوديَّة وفي هذا يقولُ الإمام عبد الحميد:« الجاهلة التي تلدُ أبناءً للأمَّة يعرفونَها مثل أمَّهاتنا عليهنَّ الرحمَةُ خيرٌ من العالمة التي تلدُ للجزائر أبناءً لا يعرفونَها[2]»، فالجهلُ ليس جهل الكتابة والقراءة؛ إنَّما الجهل هو طمس الهويَّة وتغيير المعتقد الذي فطر عليه، فالجاهلة هي من رضيت بالهوان والذُّل عن وطنها وعن أبناء أمَّتها، فهذهِ المرأة لم تحسن القراءة والكتابة لكنَّها بقيت محافظةً على شخصيَّةِ المرأةِ الجزائريَّةِ التي أحبَّت وطنَها وأعطت له الكثيرَ وقدَّمت أبنائها شهداءً له ليبقى عزيزا حرًّا، وقد كان لابن باديس رأي في هذه القضيَّة التي أراد بها الحفاظَ على الهويَّةٌ

[1]– عبد الحميد بن باديس، "حُجَّة الإسلام السَّيِّد محمَّد رشيد رضا ج2" الشِّهاب، ج8، مج11، شعبان 1354هـ نفامبر 1935، ص449.

[2]– عبد الحميد بن باديس، آثار الامام عبد الحميد بن باديس، جمع: عمار طالبي، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ج5، 2005، ج5، ص429-430.

والقوميَّة؛ وفي هذا يقول:« علينا أنْ نعرِّفها حقائقَ ذلكَ لتلدَ لنا أولادًا منَّا ولنَا يحفظونَ أمانة الأجيال الماضيَّة للأجيالِ الآتيَّة ولا يتنكَّرونَ لأمَّتهم ولو تنكَّر لهُم النَّاسُ أجمعون[1]»، فكان الأساس من تعليم الفتاة هو حفاظها على مقوِّماتها الشَّخصيَّة، وهي دينها ووطنَها ولغتها، فلا تغيرُ دينَها الإسلامي بالنَّصرانية ولا تستبدلُ وطنها الجزائرَ وتخضع لفرنسا وتغيرُ لغتها العربيَّة الأصيلة بلغة المحتل الغاشم، وحفاظها عن هويتها أبرز تعليم لها، تحفظ دينها ولغتها ووطنها.

لقد بلغ من نجاح هذا التَّعليم وفقا للرُّؤية الإصلاحية أنْ كانت الخرِّيجات من مدارس التَّعليم الحرّ، ثمَّ معهد ابن باديس متعلِّمات صالحات، سرعان ما تحوَّلن إلى معلِّمات مصلحات، فكانت منهنَّ المعلِّمة في مدارس الجمعية، ومنهن الكاتبة والصُّحفية، وهو ما سنقف على نماذجه لاحقا.

[1]– عبد الحميد بن باديس، آثار الامام عبد الحميد بن باديس، جمع: عمار طالبي، ج5، ص429.

الفصل الأوّل:

المقالات النّسويّة الجزائريّة

في جريدة "البصائر"

الفصل الأول:

المقالات النّسويّة الجزائريّة في جريدة البصائر: يتناول هذا الفصل مجموع الكتابات النِّسوية في جريدة "البصائر" وقد انتهجت في جمعها منهج التَّحقُّق والضَّبط وتجاوزت عن كثير من الأشكال الكتابية التي كانت سائدة، حيثُ أنَّ الطّباعة كانت متدنية وهو مالم ييسّر لمحرّري تلك المرحلة ضبط الحروف والكلمات ضبطًا دقيقا؛ كما هو الشَّأن في الطّباعة المعاصرة، فقد تسقط الهمزة، أو لا يظهر بعض إعجام الحروف، ولذلك اعتمدت كتابة مثل هذا بالشَّكل الذي تتيحه الطِّباعة المعاصرة، دون اعتبار ذلك خطأ تجب الإشارة إليه. كما رتَّبت مجموعة المقالات منسوبة إلى صاحبتها، واعتمدت معيارا لترتيب الكاتبات يعتمد تاريخ أوَّل صدور للمقال في الجريدة، سواء من السلسلة الأولى أو الثانية، وهناك مقالات نشرت في التَّاريخ نفسه، فكان التصنيف على حسب ترتيب المقالين في تسلسل الصَّفحات في ذلك العدد من جريدة البصائر.

آثار الكتابة الإحيائية على الصحافة النِّسوية: وللوقوف على أبرز خصائص الكتابة في هذه المقالات، ومدى مسايرتها للرُّوح العامَّة التي طبعت كتابة هذه المرحلة عند روَّاد الكتابة الصُّحفية الجزائرية من مدرسة الإبراهيمي الصُّحفية؛ أردفت كلَّ مجموعة من هذه المجموعات الكتابية بمتابعة حاولت فيها تقصِّي الملامح العامَّة للكتابة العربية، ومدى توظيف هؤلاء الصّحفيات لهذه الخصائص في كتابتهنَّ، وقد جعلت ذلك آخر مجموعة مقالات كلِّ كاتبة تحت عنوان مشترك: **خصائص الكتابة العربية في مقالات ... الإحيائية.**

أولا: التّلميذة كلثوم

مقال: خطاب التِّلميذة كلثوم[1]

في التَّرحيب بالأستاذ

الحمدُ لله. والصَّلاة والسَّلام على رسُول الله. وعلى آله وأصحابِه أجمعين. وعلى التَّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين، ساداتي، آبائي، حيَّاكم الله. وألهَم الجمِيع ما فيه رضاه.

إنّي أيُّها الآباء جدُّ مسرُورَة بما أشاهِد من هذا الإقبال العَجيب على احتفالِنا بهَذا العِيد الإسلامي وليسَ هذا السُّرور لي وحدي. بل جميع رفِيقاتي هؤلاء يشارِكنَني فيه، أقِف الآن في مَوقفي هذا ولا أعتقد أن في جيجل بنتا تُدرك ما أدركت أو تبلغُ ما بلغت، وكيف لا أفتخِر وقد حظيت بالمُثول أمام الأستاذ الإمَام الرَّئيس الجليل، سيِّدي عبد الحميد بن باديس. فمن تُوازيني في هذا الشَّرف.

سيِّدي يا فخرَ الجزائر والشَّمال الإفريقيّ. أوجِّه إليك والسُّرور يغمُرني مفرّقي إلى أخصمي محيّية لك. مرحِّبة بجنَابك، مهنِّئة لحضرتك بعيد رأس السَّنة الهجرية. كلُّ ما أتمنَّاه سيِّدي أن يحفظَك الله للإسلام والعربيَّة. والجَزائر البائسة الباكية. من ذا الذِي يثبُت كالطَّودِ العظيم؟ ينتضل عن الحنيفيَّة السّمة. ويدعو إلى الصِّراط المُستقِيم؟

من ذا الذِي يجرؤُ على الوُقوف صارخاً في وجه الظُّلم، لا يخشَى في الله لومة لائم؟ أم من ذا الذي يجهر بكلمة الحق، ويُؤثر الموت على الحياة في سبِيل إحياء الإسلام والعربيَّة وسرّ القرآن ما أبصرت الجزائر مثلك عالما حلا حلا وسيِّدا عاملا بطَلا.

---

[1]– كلثوم، خطاب التلميذة كلثوم في الترحيب بالأستاذ، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 30 محرم 1357هـ – 2 أفريل 1938م، ص136.

سيّدنا الأستاذ إنَّ جيلنا تهتَز طربا لاكتحال عَينها بطلعتك المشرِّفة، ولو نطَقَت لقالت: "مرحبا بمَقدمِك، أنا سعيدةٌ بلثم قدمك صحف أبنائي النالمين صيحة داويَّة، وأنِر لهم السَّبيل بحكمك ونصائحك الغالِية، واذكُر لهم من أسرَار الهِجرة النبويَّة، ما يُوقِظهم من هذا الرّقاد.

لقد طال عليهِمُ الأمَد فقسَت قلوبُهم، وساءت حالهم أهملوا تربية أبنائهم وبناتهم فأصبحت الرَّذائل بينهم فاشيَّة، وانهدَّ صرحُ الأخلَاق الفَاضِلة.

أيُّها الآباء إنَّ من تأمَّل أحوال أهلِ الجَاهلية لا يحجمُ عن الحكم بأنَّهم أسعدُ منَّا حالا وأحسنُ أخلاقا لولا أنَّنا موحّدون وهم مشركون.

وحسبِي أن أذكر لكُم الوصيَّة الآتية لامرأة عربيَّة أسدتها إلى ابنتها عند الزَّفاف قبل ميلاد سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم، اختلت الأمّ بابنتها وقالت: أي بنيَّتي إنَّك فارقتِ بيتك الذِي منه خرجت، وعشَّك الذي فيه درجت، إلى رجُل لم تعرفيه. وقرين لم تألفيه فكُوني له أمَةً يكُن لك عبدا واحفظِي له خصَالا عشرا يكن لك ذُخرًا.

أمَّا الأولى والثّانية، فالخشُوع له بالَقناعة، وحسن السَّمع والطَّاعة. وأمَّا الثَّالِثة والرَّابعة، فالتفقُّد لموضع عينِه وأنفه، فلا تقعُ منك على قبيح. ولا يشمُّ منك إلا طيب ريح، وأمّا الخامسة والسَّادسة فالتَّفقُّد لوقت منامِه وطعَامِه، فإنَّ تواتُر الجُوع ملهَبة، وتنغِيص النَّوم مغضبة، وأمَّا السَّابعة والثَّامِنة فالاحتراسُ بمَاله؛ والارعواء على حشمة وعيلة، وملاكُ الأمر في المَال حُسن التَّقدي. وأمَّا التاسعةُ والعاشِرةُ فلا تعصِين له أمرا، ولا تفشين لَه سِرا. فإنَّك إن خالفتِ أمرهُ أوغرتِ صَدرهُ. وإن أفشيتِ سِرَّه لم تأمَني غدرهُ. ثم إيَّاك والفرح بين يدَيه إذا كَان مُهتمًّا. والكآبةَ بَين يديهِ إذا كان فرحًا.

فهَذه الوَصيَّة الثَّمِينة تكفي للاستدلال علَى صحَّة ما قلت، وإنَّي وأيمَ الله لأتمنَّى أن تحفظها كلّ بنت شرقيَّة! كي تَهدِيَها إلى صراط الحَياة الزَّوجيَّة المُستقِيم.

أيُّها الأبناء إنَّ سعادَتنا مَنُوطة بالرُّجوع إلَى السُّنّة النَّبويَّة والإسلَام الصَّحِيح. فارجِعوا إليها تسعدُوا واعملُوا على غرسِ محبَّة السَّلام في قلوب النَّاشئة تهتدُوا.

والسَّلام عليك ورحمة الله

ثانيا: بنت سيدي عيسى" ز. هـ. ر"

هذه المقالة منسوبة إلى كاتبة وقَّعت لاسمها بالحروف، ونسبت نفسها لبلدتها، وهي ظاهرة موجودة بكثرة في الصِّحافة الجزائرية خاصة منها ما كان زمن الاحتلال، ولأسباب عديدة منه الفنّية وأكثرها أمنية، فقد كانت سلطات الاحتلال تتابع كلَّ حركة، وتراقب كلَّ ناشط، وتبقى هذه الكاتبة اسما مغمورا لعلَّ الأيّام كفيلة بمعرفته.

مقال: المرأة الجزائريَّة الحديثة والكتابة في الصُّحف[1]

كثيرًا ما تمنَّيتُ – وربّي – عندما أقرأ المقالات النَّقيَّة لسيّدات مُربّيات في الشَّرق منشورة في صحفِ مصر وفي غيرها من الصُّحف أبناء لغة الضَّاد؛ فأعجب بها وبهنَّ كثيرًا وتأخذ بلبّي؛ وتأزُّ في نفسي تأثيرًا مزدوجًا، وكلّما أمعنت النَّظر فيها ازداد يقينًا بإشراق شموس مَجدنا العَربي التَّليد؛ إذْ تثقيف الفتاة الشَّرقيَّة – وأحرى الفتى– من تباشير إسعادنا روحيًا وعقليًا بين الأمم. ومن تباشير بعث الحضارة العربيَّة من مرقدها أيَّام ازدهارها في الشَّرق والغرب، وأراني غيرُ مبالغٍ إذا أنبأت الجُمهور بأنَّني أكادُ أذوب أسًى وحزنًا على حظّ الفتاة الجزائريَّة من التَّعلُّم العربي الجميل، وما هو المقدار الذي أخذته من غذاءِ روحِها منه دينًا ودُنيا؟ أراها لم تأخذ شيئا يُذكر! وهب أنَّني قرأتُ غير ما مرَّة في الصُّحف خُطبًا مشفَّعة بأسماءِ صواحبِها، كنتُ ألقيتُها في بعض احتفالات عموميَّة؛ وأخبر عليها المراسلون بأنَّهنَّ خَطبنَها على المَلأ.

[1]- بنت سيدي عيسى" ز. ه. ر"، المرأة الجزائرية الحديثة والكتابة في الصُّحف، البصائر، دار الغرب الإسلامي بيروت، الجمعة 18 رمضان 1351ه-11 نوفمبر 1939م، مج3، س1، ص400.

لكنّي لا أخالها إلّا من إنشاءِ معلميهنَّ وأسَاتذتهنَّ وإن نسبت إليهنَّ! وإلّا فما المانع لهنَّ من البروز إلى ميدان الكتَابة ليبحثنَّ في مرضٍ من أمراضهنَّ – وما أكثرها–!؟ ولست بهذا أزْعمُ أنَّهنَّ إذا كتبنَ يُجدنَ إجادة بنات العمّ والخال في الشَّرق، ولكنَّهنَّ قد يشابهن بعض الشَّبه، ولا عليهنَّ من ذنب في القُصور، إذْ شتَّان بين مدارسنا ومدارسهم، ومؤهّلاتهم، ولهذا فأنا اليوم جدُّ مغتبط ومسرور إذا قدَّمت لقرَّاء البصائر مقال سيّدة مسلمة جزائريَّة مثقَّفة ثقافة إسلاميَّة صرفة تبدي فيه رأيها في الحركة الجزائريَّة الحديثة وهي أوَّل كاتبة في الجزائر الجديدة، فلتنعم بالاً بما أدلت من حجَّة، وما قدَّمت من برهان، وإليك أيَّتها الأخت بعد هذا أطيب التَّحيَّات. محمد بن أحمد المنصوري.

وها هو مقالها بحرفة. قالت: ولا كان هذا خيرًا! أحمد الله الذي أنعم عليَّ وأنا امرأة جزائريَّة وإن كانت الجزائريَّات جاهلات –ويا للأسف– لإهمال الأقارب والأهل شأنهنَّ ظنًا منهم أنَّ المرأة إذا تعلَّمت تمَّردت، وبدت منها بوادرُ السُّوء والعيَّاذ بالله؛

والحقّ أنَّ ذلك خطل في الرَّأي؛ وضُعف في العقل، إذ أنَّ التَّعليم الصَّحيح لا يملي على المرأة إلّا العفَّة والصَّلاح، وملازمة الآداب الإسلاميَّة، والتمسُّك بالأخلاق العربيَّة. وما فشا فينا حبُّ السّفور وتقليد الأوروبيَّات التقليد الأعمى في التَّبرُّج الذي نهى عنه ديننا الشَّريف، والذي طالما حاربته جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريّين بسلاح العلم – رغم ما يحاول إلصاقه بها بعض من لا خلاق لهم – إلّا من الفوضى وآثارُ الجهل الممقوت.

أنعم عليَّ (الله) بالتَّعلُّم حتَّى اهتديت بفضل الله إلى التَّمييز بين الغثّ والسَّمين، والحقّ والباطل وأدركت جليًا غرضَ كلّ عامل وما ترمي إليه نفسه من صلاح وفساد، وجمع شتات المتفرّقين وتبديد جموع المجتمعين، واستنتجت بعد نظر طويل أنَّه لا يوجد في الجزائر من يعمل بصدق وإخلاص لِخيرِ البِلاد ومنفعةِ العباد إلا جمعيَّة العلماء الفتيَّة، هذه الجمعيَّة التي يكفيها شهرة تمسُّكها بالكتاب والسُّنَّة! تمشّيها على طريق السَّلف الصَّالح (ض) ويغنيها عن التَّعريف

التَّنويهُ بشأنِها الذي يعجز عن تصويره قلم كلّ بلغ ما تلاقيه من عراقيل في سبيلِ العملِ! وما يصادفُها من مشاغباتٍ ومعاكساتٍ في طريق الصَّالح العام! إذ كلّ غاية شريفة، لابدَّ من أنْ يلاقي العاملون على تحقيقها والوصول إليها الصُّعوبات القاسيَّة وأنواع الإذايات؛ ولا بدَّ دون الشَّهد من إبر النَّحل!

اهنئي أيَّتُها الجمعيَّة الصَّادقة المَبدأ؛ الحسنة النّيَّة بثقة الأمَّة؛ واعملي بكلّ ما في وسعك لإنقاذ الشَّعب من مهاوي الشّرك والضَّلال.

فالنَّصر حليفك والله معك، والنُّفوس الزَّكيَّة تؤيّدك، وما ضرَّك أن تعرض لك بالسُّوء من أماطوا جلباب الحياء عن وجوههم!؟ إنّ الله مع الذين اتَّقوا والذين هم محسنون.

قسنطينة.

ثالثا: ف. كاهية

مقال: نداء في سبيل نهضة المرأة المسلمة[1]

سبق لي أن وجَّهت نداءً على صفحَاتِ الجرائدِ، أحثُّ فيه أخواتي السَّيّدات والآنسات المتعلّمات على القيَّام بواجبهنَّ نحوَ أخواتهنَّ اللّاتي لم تسمح لهنَّ الفُرص بالتَّعليم وإرشادهنَّ إلى الطَّريق المستقيم واتّباع ما جاء به الدّين الإسلامي القويم من فرائضٍ واجبة على كلّ مسلمةٍ تريد أن تتحلَّى بالصّفات الحميدة التي هي أساس التَّمدُّن الحقيقي البعيد عن التَّقليد الأعمى.

بعودتنا إلى تاريخنا التَّليد نجده حاويًا لحكم ومواعظٍ قلَّ أن تُوجدَ في أحوال الأمم العصريَّة. ولا يمكن لمنصفٍ أو عات أن يناقضَ الواقع. فإنَّ المدنيَّة العربيَّة قد حجبت سُموم المدنيَّات الأخرى وأسدلت عليها ستارًا، لأنَّها عامَّة تبحثُ في كافَّةِ محتوياتِ الحياة. ولم تبق صغيرة ولا كبيرة

[1]– ف: كاهيَّة، نداء في سبيل نهضة المرأة المسلمة، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 07 ربيع الأول1367هـ– 19 جانفي 1948م، مج1، ص158.

إلّا أحصتها. وليست جزئيَّة تختصُّ بشيءٍ أو تتركَ أثَر. وقد وجد غيرنا فيها ضالَّتهم المنشودة. فأخذوا عنها ثمَّ أرادوا محوَ آثارها. ولكن حكمة الله بالغة. فقد جمعها في سفرٍ لا يقبلُ تغييرًا ولا تبديلا ولا يمكن إخفاءَ معالمه. وهو القُرآن المجيد الّذي تتبَّع المسلمون تعاليمَه فأوجدُوا مدنيَّة عامَّة شاملة عرف الغربيُّون كيف ينتفعونَ بها إذْ أخذوا منها الأمورَ الجوهريَّة لا الشَّكليَّة. ومع مرور الأجيال والتَّقدُّم الثَّقافي وما جرَى بعد الحروبِ الصَّليبيَّة وضَعُوا أعيُنهم إخفاء ما تبقَّى من آثار تدُلُّ على عظمة الإسلام متعمّدين إيجاد الفِتَن بينَ الأمم الإسلاميَّة والتَّفريق بينها، حيثُ أنَّهم دبَّروا وحاكوا جبالها. ومع كلّ ما بذلوه من جُهدٍ لم يتَّسم لهم نيل مآربهم. ولا يمكنُ لأمَّة أن تضمحلَّ وبين رجالها مفكّرون كابن سينا وبن رُشد وبن خلدون وغيرهم من أساطين الحكمة. ولا نذهبُ إلى المَاضي البَعيد بل إلى القريب العالق بالذّهن. وتاريخ جمال الدّين الأفغاني والإمام محمَّد عبده ورشيد رضا والأمير شكيب أرسلان والمُصلح عبد الحميد بن باديس رضيّ الله عنهم. أصدق شاهد على حيويَّة الإسلام الّذي تنطبق عليه كلمة المدنيَّة الحقيقيَّة بالمَعنى الصَّحيح لا مُحَرَّفًا بالضَّلالات التي لعبت بها دَورًا خطيرًا يدُ المُستَشرقينَ أصحابُ الحيَل والمكر المقصود.

المدنيَّة ليست في ارتداء ثوب من الحرير ولا قبَّعة توضعُ على الرُّؤوس أو في المأكل والمَشرب ولكنَّها في التَّعليم والآداب والتَّربيَّة والأخلاق. فيا أيُّها الآباء والأزواج والأشِقَّاء يجبُ عليكم أنْ لا تتَشَبَّهوا بمويوليني حينما ادَّعى أنَّه حامى الإسلام وأعماله كانت عكس ذلكَ لأنَّه كانَ هادمًا لهُ وأعظم شاهدٍ أفعالهُ بمسلمي طرابلس... إنَّما يحمي الإسلام علماؤُه وأهله. فهبُّوا لبثّ تعاليمه في نفسِ المرأة المُسلمة التي هي في حاجةٍ أكيدة إليهَا لإصلاح الاعوجاج الموجُود في أحوالنا الدَّاخليَّة لنتقدَّم في حُدود الشَّرعِ والدين. لأنَّ المُتعلّمات تلقَّينَ دروسَهنَّ في المَدارس الأفرنسيَّة وهنَّ جاهلات حقيقة إسلاميَّتُهنَّ. والذَّنبُ لا يَعودُ عليهنَّ بل على تصرُّفات الزَّمان. ولكن

مازال الوقت أمامهنَّ متَّسعًا لتَدارك الأمر بالانضمام إلى جمعيَّة نهضة المرأة المُسلمة التي سوفَ تَسعى لتنفيذِ مبادئها بكلّ الطُّرق القانونيَّة.

ولتطمئنَّ العُقول المفكّرة لأنَّنَا لا نطلبُ سفورًا لعلمنا بأنَّهُ يؤدّي حتمًا إلى ما تحمدُ عقباهُ خصُوصًا في الوقت الحاضر، لذلكَ أدعو كلَّ ربّ عائلة محبَّذ للمصلحة العامَّة غيُور على شرَف الوطن أنْ يكونَ مُشَجّعًا للحركة النّسائيَّة ومؤسّسًا لها على دعائم متينة تكفل لنا مستقبلا سعيدًا.

وما بلغت أمَّة أوجَّ المَعالي إلّا بمشاركَة نسائها في نهضَتها. إذْ بهنَّ تتوفَّرُ أسبابُ سعادةِ المُجتَمع بتحضير أشبال المُستَقبل وتربيَّتهم التَّربيَّة الصَّالحة في أكبرِ مدرسةٍ وهي المَنزل. فبالله عليكُم ادفعوا إلى الأعمال لأنَّهم بعدَ اليوم لا يجوز لكم أنْ تَتَّهمونا بالتَّقصير. وسوفَ تطَّلعونَ على مبادئ الجمعيَّة. فإن وافقت منكم قبُولا فمهّدوا لنا السَّبيل وإلّا فأرشدونا إلى الطَّريق الّذي يمكننا تتَبُّعه لنتحمَّل مسؤوليَّتنا معكم في النُّهوض بأمَّتنا حتّى تحتلَّ مكانَها اللّائق بينَ الأُمم المُتَقدّمة ونشيّدُ مجدَ إفريقيا الشَّماليّة.

رابعا: زليخاء إبراهيم عثمان

زليخاء عثمان إبراهيم: لم أعثر لها على ترجمة سوى أنَّها كانت معلمة بمدرسة دار الحديث بتلمسان.

المقال الأوَّل: نمُوذَج مِن إنشاء تلمِيذات السَّنة السَّادسة: التَّعليم وحظُّ المرأة منه[1]

لكلِّ شيء ضِد، وعَلَى التَّضاد نشَأت هذِه الدُّنيا؛ ولذلك نرى كلمتَين مُركَّبتين مِن ثلاثَة أحرُف لهُما الأثرُ الفعَّال فِي نشأتها، ألا وهُما: الجَهل والعِلمُ، من لِي بفَهم الأولَى، ومعرِفة دائِها، وتدبُّر الثَّانية واكتشَاف دوائِها، ذلكَ ما جَاء بهِ الكِتاب والسُّنَّة وحثَّ عليه خير البريَّة، جاءَ محارِبا للجَهل

[1]– زليخاء عثمان إبراهيم، نموذج من إنشاء تلميذات السنة السادسة التعليم وحظ المرأة منه، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الإثنين 9 محرم 1369هـ – 31 أكتوبر 1949، مج3، ص26.

ومُصَافحا للعِلم، ومَازال ماسِكا بيدِه حتَى سطَع نُورُ الإسلَام، وعمَّ أطرَاف الدُّنيا، ولكن مَا لبِث أن انعَكس هَذا النُّور إلَى ظَلام تخبَّطَت فِيه الأمَّة الإسلَامية عامَة والجَزائريَّة خاصَّة، فأصبَح أعزَّة أهلِها أذِّلة. خطب نزَلَ بِهذا القُطرِ العرَبي الإسلَامِي! فمَن لِقومِي بعقلٍ مُفكِّر، ورَأي مدبِّر ليُدرِكوا سبَب انحِطَاطِهم، ويسعُوا إلى رُقيِّهم مقلِّدِين إخوانهم الشَّرقيين الذِين حلَّ بهم نفسُ الخطبِ فحَاربُوه، حتَى قفَل راجِعا مُنهزِما؛ قد ينتقمُ الله من عِبَاده ولكِن بَعد نقمَته رحمَته لِعبَاده العامِلين الصَّالِحين، فيبعَث إلَيهم رِجَالا مُهتدِين بِيدهم المِصبَاح الذِي جَاء به نبيُّهم ﷺ، كهُؤلاء الرِّجال يضحُّون لمبدأ، واعتزَّت بهِم يومَ يُخاطِرون من جمعيَّة العُلماء المسلِمين الجَزائرِيين. يا لَها من جَمعيةٍ تبشِّرُ بمستقبَلٍ سَعيد ورَدّ المجد التَّليد: أنَّ أوَّل ما بدأَت بِه هذه الجمعيَّة هُو تعلِيم المَرأة التِي حُرِمت من هَذا الحظِّ مُنذ زمَن طَويل! فمَا كانَ إلَّا إنتَاج بنَات عَالِمات متألِّمَات لحالَة مجتمعِهِن مُعاهِدات الله والوَطن علَى القِيام بالرِّسَالة وتبلِيغِها على أكمل وجه، حَتى يُحقق هذا الأمَل ونرى أخَواتِنا المُسلِمات محرَّرات من تِلك القُيود التِي استخدَمتهن عند غَيرنا، وأذَاقتهُن مَرارة الحَياة؛ نعَم ستَقُوم المرأة لتدافعَ عن حقِّها وتَحمي أختَها الضَّعيفة مُعلِنة وسَط قومِها بالمُسَاعدة لبنَات جنسِها، ودِينِها، نعَم سأكُون مِن هَؤلاء النِّساء فِي هذه الدَّعوة الشَّريفة، سأنفِّذ ما أضمرته لأمَّتي، وأنزع كلّ حصَى تُعارِضني فِي طَريقي لأبلِّغ مقصُودِي، سأُقدِّم النَّفس والنَّفيس فِي هذا السَّبيل! أيُّها الظَّلام أقفِل راجعاً خائِباً فقَد طلَع الصَّباحُ والوَاجب صَاح، لا مقَام لَك! إنَّنا مُستعِدَّات لمُحارَبتِك، إنَّنا قَائِدات مُسلَّحات حامِلات رايَة العَلم وَمُنفّذات لِرغَائب الشَّعب، ولقَد نصَحتُك نَصِيحتي إن قبِلت نصِيحَتي والنُّصح أغلَى ما يُباع ويُوهب نحنُ شِبلات جمعيَّة العُلماء السَّائِرات على مِنوالهَا والقَائِمات بكلِّ ما قَامت بِه حتى نَرى الضَّعِيفات مِن قَومنا في قمَّة الشَّرف العالِي والعَاقِبة للمُتَّقين.

والإسلَام، أنَّك في احتضار وأنَّنا في حياة.

(تِلمسَان)

المقال الثَّاني: حفلةُ افتِتاح مدرَسة عَائشة الخاصَّة بالنِّساء في تِلمسان[1]

تبسَّمت لكِ الحياة أيَّتُها المرأة، وفَتحَ لكِ العلمُ أبوابَه فلجِّيها ولا تخشَي، وكُوني حامدةً لله شاكِرةً لجمعيَّة العُلماء التِي بعثَها اللهُ رحمةً لِهَذا القطر، فكانَت خَير منقذٍ وهادٍ له، أنقذَته مِن ظُلُمات الجَهل وهَدتْهُ إلى نُورِ العِلم. فكلُّ من عرف حالةَ الجَزائِر قبل تأسِيس هذه الجَمعيَّة، وقابَلَها بِما صَارت إليه اليَومَ اعتَرف بفضلِها عَليه، وآمَن بأنَّ أوَّل هيئَةٍ طَالبت الأمَّة الجزائريَّة بالرُّجوع إلى الكِتَاب والسنَّة وتعلُّم لسَانهِما وآدابهِما هيَ جمعيَّة العُلماء التِي أخذَت علَى عَاتقها نشر العِلم ومُحاربَة الجهلِ، ولَم تقتصِر في عَملها هذا على الرَّجل، بل اعتنت بالجَانبين: الرَّجُل والمرأَة، فاعتمَدت عَلى الله واتَّكلت على نفسِها، وفتَحت المَدارس وفرَضَت فِيها تَعلِيم الابن والبنت ما يجب عليها، ونجحَت الفِكرة رُغم المُقاومَات العَنِيفة المُستمِرَّة التِي بَاءت بالفشَل أمَام إيمان المُصلِحين الرَّاسخة.

وما زالَت جمعيَّة العُلماء ترفَع من قِسمة المَرأة وتستردُّ لها حقَّها الضَّائِع إلى أن فكرت في استقلالها وإنشاء مدارس خاصة بها تزيد في قيمتها، وكانَت تِلمسان السبَّاقة في الرِّهان أوَّل من رفَع المنارَة لهِداية المارَّة حِين أنشأت مدرسَة عائشة بجنبِ مدرسَة دارِ الحَديث ترمُز إلى وجُوب مشَاركة الجِنسَين في العِلم والعَمل، وكَان اليَوم الذي احتفلَت النِّساء بافتِتاحها يوما أغرّ في تَاريخ المَرأة الجزائريَّة.

فمَا كَاد يحلُّ الوَقتُ الموعُود مِن يوم السَّبت 10 ماي، حتَّى كَانت قاعَة مُحاضرَات دارُ الحدِيث مكتظة بالحَاضِرات فِي هُدوءٍ وسَكينة، وتفضَّل مُدير المدرسَة الأستاذ محمد الصَّالح رمضَان بافتِتاح الحَفلة فألقَى كَلِمات كَان لَها في نفُوس الحَاضِرات تَأثِير بلِيغ – كَما تعوَّدنَ منهُ

[1]– زليخاء إبراهيم عثمان، حفلة افتتاح مدرسة عائشة الخاصَّة بالنساء، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الاثنين 9 رمضان 1371هـ –2 جوان 1952م، مج 5، ص99.

ذلِك في الحَفَلات السَّابقة – ثُم تَلاه نشِيد شَعب الجَزائر مُسلم ... لإمَام النَّهضة الجزائِرية المرحُوم الشَّيخ عبد الحَمِيد ابن باديس رحمَه الله، وقَد زادَ في التَأثُّر بِهذا النَّشيد صُورته وصورة خلفه من بعدِه قائِد الحركَة الإصلاحيَّة الإمَام الإبراهيمي أمدَّ الله فِي حَياته، وقد كَانتا مُعلَّقتَينِ عَلى جَانِبي المَسرَح كَأنَّ الإمَامِين كَانَا يرقبان منهُما ما ستحوي عليه هذه الحفلَة النَّادرة ومَدى مَا وصَلت إِليه المَرأة مِن الاهتِمَام والتَّأثّر بشُؤونها، وكَأنَّ الشَّيخ البشير فِي ابتسَامَته العذبَة يقُول للرَّاحل العَظِيم: أبشِر يَا أخِي فإنَّ المَرأة مزَّقت حجَاب الجَهل وارتدَت حلَّة العِلم، قمت بالوَاجب بعدَك وأدَّيت الأمَانة التِي ترَكتَها لنَا فقرَ عينًا، فأبنَاؤك وبنَاتك سَائِرُون في الطَّريق الذِي رسَمته لهُم. ومَا زالت التِّلميذَات تهزّ النُّفوس بألحَانِها العَذبة حتى اعتَلى المِنصة الشَّيخ السَّعيد الزمُوشي الخطِيب المُصقع، ومثل الشَّيخ السَّعيد لا يحتَاج إلى تعرِيف بدُرُوسه ومَا تحمِله مِن حُكم ونصائِح نادِرة، وقد طَال خِطابه سَاعتَين كامِلتين عالَج فيهِما حالَة المَرأة فِي أطوارٍ مضَت وأخرَى ستأتِي، ولم تلق نفُوس الحَاضِرات كلَلاً ولا مللاً، بل اشتِياقا وندَما عَمَّا فاتَها – والنَّدم توبَة – وممَّا قال:" كُنا نقتصر علَى تربيَّة الرَّجل ونهمِل تربيَّة المَرأة وبعدما تأمَّلنا ما جَاء بِه القرآن، والمَثل القَائِل أنَّ الأمَّة كالطَّائِر لا يستطِيع التَّحليق إلَّا بجَناحينِ علمنَا أنَّنا لا نبلغُ أيَّ شيء إلَّا إذا اعتنَينا بالرَّجل والمَرأة على السَّواء، وأصبَحنا لا نفرّق بينَ الرَّجل والمَرأة وآمنا بأنَّ مشَاركتَها للرَّجل لازِمة في الوَاجبَات الدينيَّة. وما كَاد يُتمم كَلامَه حتى سمِعنا ألحَانا شجيَّة فِي الطَّابق السُّفليّ، وما تلكَ الألحَان إلَّا نشِيد التَّرحِيب بالأستَاذ الفَاضِل الشَّيخ العربِي التبسِي خلفَ الإمَام الإبراهيمي ومعتَمده، ولم يَحرم النِّساء مِن نصَائِحه الغالِية، بل تفضَّل بعدَ أن استَراح وتخلَّص مِن عَنَاء السَّفر فأظهَر ما للمرأَة وما عليهَا من حُقوق وواجباتٍ ووجهَها نَحو الطَّرِيق السَّوي وحرَّضها على اتّبَاع السَّلف الصَّالح، وعرَّفها مَا قامَت بِه المَرأة مِن أعمَال فِي عَهد رسُول الله ﷺ، وأنَّ جمعيَّة العُلماء أخَذت العَهد علَى نفسِها أن تَسِير بالمَرأة وتُلبسَها ثوبَ الفخار الذِي لبِسته أمهَاتُها المؤمِنات الخ... حيَّاك الله وبيَّاك أيَّتُها الجمعيَّة،

فلولَاك ما كنَّا لِنُبصر الضَّوء أو نتنسَّم نسِيم الحَياة، ولَولاك لبَقيت المرأة الجزائريَّة نسياً منسِيا فِي الحَياة وبعد الممَات. ثم شرعَت عمليَّة الاكتِتاب فَبرهنت فِيها المَرأة أنَّها تُجَاهد بالنَّفس والنَّفِيس فيمَا يعُود عَليها بالنَّفع العَميم، فقد تجرَّدت الحاضِرات ممَّا كَان علَيهِنَّ مِن حُلي وجَواهِر كَرِيمة وقَدمنه إعَانة للمدرَسَة بعد ما دُفن ما جِئن به من مَال. تلك هي مدرسة عائشَة التِي سبَقت تلمسان بتأسِيسها كَما سبقَت بتأسِيس دارِ الحديث ولعلَّها تسبق فِي ما هو أعظَم فِي المُستقبَل إن شاء الله، ولَم ينصَرف المتَجولات بين الأقسام الواسِعة إلَّا واللّسانُ يعبِّر عمَّا في الجنان من إكبَار لجمعيَّة العُلماء وأعمَالها وجِهَادِها ضِدّ الأميَّة والجَهل. بُشرى لكِ أيَّتها المَرأة بهذا العهد الجدِيد بعد مَا تخبَّطَت فِي عهدٍ كلُّه ظُلم وظَلام. وقد نِلت يا تلمسَان بِهذَا العَمل الجَلِيل فَخرا لَم ينسَه لكِ التَّارِيخ أنت يا تلمسَان سَبَّاقة للبرّ فدُومي سبَّاقة له، وبَارك الله لكِ في هذه الجَمعيَّة وسدَّد خُطاك. أمَّا حفلَة الرِّجال قلَّما يُساعدني الحَظُّ لمُشاهدتِها أدع وصفها للمشَاهدين.

خامسا: ليلى ذياب

نبذة عن ليلى بن ذياب: ولدت في 26 جوان 1934م[1]، ودرست على يد والدها، الشَّيخ أحمد بن ذيَّاب، أحد أعلام جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريين، فحفظت القرآن وتعلَّمت قواعد اللغة العربيَّة، وكوَّنت نفسها بنفسها من خلال مطالعة ما كانت تجده في مكتبة والدها من كتب الأدب وكانت تتنقَّل معه عبر عدَّة مدارس الجمعيَّة، وتساعد في إعطاء الدروس للبنات والنِّساء، ووفقت في عام 1950م، لمَّ زار بيتها الصُّحفي التونسي، نور الدِّين بن محمود صاحب جريدة "الأسبوع" والذي قدَّم إلى الجزائر لجمع الاشتراكات ومستحقَّات جريدته من الموزعين، فأطلعه أبوها على مقالاتها فأعجب بها والتزم بنشرها، وهكذا دخلت ليلى بن ذيَّاب إلى عالم الصحافة من تونس، ثمَّ

[1]– مولود عويمر، نساء في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، على الموقع، http//www.oulamadz.org. اطلع عليه يوم 15 ماي 2023، على الساعة 02:00.

نشرت مقالات في جريدة "البصائر"، لسان حال جمعيَّة العلماء الجزائريين بتشجيع من الشيخ محمد البشير الإبراهيمي كما ورد في رسالة الشيخ أحمد بن ذيَّاب إلى الدُّكتور يحيى بو عزيز، وقد اشتغلت ليلى بن ذيَّاب بعد ذلك بالتَّعليم في مدرسة إحياء العلوم الإسلاميَّة بالعلمة، وتقاعدت في عام 1988م وتفرَّغت لتربيَّة أولادها والمشاركة من حين إلى آخر في نشاطات ثقافيَّة.

المقال الأول: مقال تعليم المرأة[1]

والمرأة هي قوام المنزل وربَّة الدَّار، وأمُّ الأشبال، ودعامة الأسرة، وهي القدوة الحسنَة لأبنائها إذا صلحت، والسيّئة إذا طلحت، وهي المسؤولة على إسعاد أطفالها، ومراعاة نظافتهم وصحَّتهم. ولذلك فإنَّ من واجبها علينَا أن نعطيَها حقَّها من الحريَّة، وأن ندع لها الفرصة لأخذ قسطها من التَّعليم، ونيل نصيبَها من الثَّقافة السَّاميَّة، والآداب الرَّفيعة، فنخرجها من ظلمات الجهل، ونفكَّها من قيوده، ونخلّصها من وثائقها، ونذيقها حلاوة العلم، ولا نسمع لقول الذين يقولون أنَّ التَّعليم ليس من شأن المرأة، ولا يليق بموقفها، فإنَّهم قد أخطأوا خطأ عظيما لو كانوا يعلمون، وضَلُّوا ضلالا مبينًا لو كانوا يفقهون.

وأظنُّ أنّهم إذا سئلوا عن السّبب الذي من أجله لا يليق أن نعلّم المرأة، كانت إجابتهم على ذلكَ، بأنَّ المرأة لا تصلُحُ لشيء سوى المنزل، وإنّ المنزل لا يحتاج إلى تعليم.

ولكن: أليس المنزل هو المدرسة الأولى للطّفل، التي يتلقّى فيها الأدب الجم والأخلاق الفاضلة والسَّجايا الحميدة؟

أليس المنزل هو مربض ذلك الشّبل الذي سيكون نفعه للأمة عظيمًا، وجهاده في سبيلها جسيمًا والذي سيغدو اسمه خالد الذكر في مشارق الأرض ومغاربها؟

---

[1]- ليلى ذياب "تعليم المرأة" البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الاثنين 9 محرّم 1329هـ- 31 أكتوبر 1949م، مج3، سل2، ص34.

أليست الأمّ هي أستاذته وربَّته التي يرجع إليها الفضل في تنشئة أولادها تنشئة حسنة

أليست هذه الأعمال في حاجة إلى رجاحة عقل وحسن تفكير؟

وأنَّ المرأة الجاهلة لا تستطيع ذلك، فالمنزل في حاجة قصوى إلى امرأة متعلّمة تدير شؤونه وتهذّب الأبناء، وتعلّمهم، وتبثّ الشّيم السَّاميَّة في نفوسهم، فيكونون أبناء صالحين، يرجى منهم الخير للوطن، والنَّفع للأمَّة، وأنَّ الأسرة لن تتكون وتكون أسرة شريفة، إلّا إذا كانت المرأة التي ترأسها امرأة متعلّمة –لأنَّ العلم هو نور الحيَاة، ومصباح الكون الذي يهتدي به الأشباء– مُرتويَّة من مناهل الثَّقافة، متشبّعة بالأدب العالي.

فهي لا تستطيع أن تقوم بدورها كاملا في حياة الأسرة إلاَّ إذا كانت متعلّمة.

فبتعليمها يمكن أن تكون ربَّة بيت لا معنى الحقيقي، وأمُّ أولاد فتربّيهم تربيَّة حسنة.

ولندع الأسرة جانبًا وتنتقل إلى الحياة القوميَّة، فإنَّ الوطن في حاجة شديدة إلى خدمات الرّجال والنّساء معًا، وأنَّ هناك من الأعمال ما تصلح له المرأة دون الرّجل، وهذه المرأة لا تستطيع أن تقوم بهذه الأعمال إلاَّ إذا كانت مثقّفة، متعلّمة، ثمّ لننظر إلى أنفسنا هنا في الجزائر، كيف أنّنا في أشدّ ما تكون الحاجة، إلى الكثيرات من المدرّسات للتّدريس في مدارس البنات، وكيف أنّ هذه المهمّة أخذ يؤدّيها الرّجال مع أنَّها ليست من شأنه، وسببُ هذا أنَّنا لم نعلّم بناتنا من قبل، كما أنَّنا في حاجة إلى ممرّضات، وقابلات ومربّيات وهذه المَهمَات جميعها تستطيع نساؤنا أداءها، إذا نحنُ علَّمناهنَّ تعليمًا كاملا، فلا نضطر إلى معونة الأجنبيَّات، أو الرُّجوع إليهنَّ في شأن من الشّؤون صغيرها وكبيرها.

فيا أيُّها الوطن العزيز إذا كنت تريد أن تنهضَ، ويا أيَّتُها الأمَّة إذا كنت تودّين أنْ تكوني من الأمم الرّاقيَّة، ويا أيَّتها الجزائر العربيَّة إذا كنت تحبّين أنْ تنالي درجة عاليّة من الرُّقي، وأنْ تكوني ذات حكم وسلطان، فإنَّ خير وسيلة تساعدك على نيل مبتغاك، والوصول إلى غايتك، هي أنْ

تعلّمي أبناءك وبناتك حتّى يتعاونوا على بناء مستقبلهم البسَّام، ويحقِّقوا أهدافهم في الحياة، ويكونوا لك نعم المعين في حياتك.

وأخيرا أودُّ أن أقول للبعض من النّساء وهنَّ المتعلّمات، أن يُعلِّمن الجاهلات وللفتيات اللّواتي لا يزلن يزاولن التَّعليم أنْ ينصحن أخواتهنَّ إلى الطّريق المُستقيم، وإلى ما فيه صلاحهنَّ. ويوضّحن لهنَّ فائدة التَّعليم لعلَّ الله يهديهنَّ فيدخلن المدارس ويتعلَّمن فنعيش سعداء.

المقال الثاني: اخترت لكم[1]

إخواني أخواتي!

إنَّني سَأقدّم لكُم تحتَ هذا العُنوان نَماذجَ مُنتقَاة من الأدَب العربي، وأنا على ثقَة من أنَّها ستكونُ نِعم المُعين في تطبيق قواعدكم، وتنميَّة ثرَواتكُم اللّغويَّة، وسأعملُ على أنْ أختارهَا ممَّا أطّلعُ عليه في أسبوعي، وأنقبُ عنها بينَ الكتب المُختلفَة من أحسن مَا تُطالعون.

وقد رأيتُ أنْ أفْتتحَ هذه السّلسلة، بكلمة لامرَأة قامتْ بواجب الزوجيَّة، وتحمَّلت أعْباءَ الأمومة ودرستْ نفسيَّات الأطفال، فتفضَّلت بإهداء زُبدة عمَلها، وعُصارَة فِكرهَا إلى أخَواتها الأمَّهات، وبناتهَا اّللواتي سيصبحنَ أمَّهات، وإلى المربّينَ والمُعلّمينَ ليضيفوهُ إلى نظريَّتهم ويوَّازنوا بينَ هذا وذاك وإليكم ما قَالته "ماري نسيم " الأمُّ الحنونُ عن ابنها وفَلذَة كَبدهَا البرُّ، تحتَ عنوان "عالم الاطفال":

"أسعد ساعاتي وأحفلها بالعبر والتَّأمُّلات، حينَ أجْلسُ إلى طفْلي فأعْمدُ أنَا إلى إبرتيَّ الطَّويلتَين دائبة علَى صُنع قطعة من النَّسيج، ويفرغُ هو إلى الدُّمى واللُّعب كأنَّه ملكٌ عابثٌ، فهو مُنهمكٌ أبدًا في تَدبير دولة من لعب، فتارةً يقسمُ فصائلَ جيشه وينصب عليهم القوَّادُ ويدعوهم إلى

[1]– ليلى ذياب، اخترت لكم، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الاثنين 29 شعبان 1370هـ – 4 جوان 1951م، مج4، ص181.

القتال والجهَاد وطورًا يزفُّ الملكةَ إلى الملك، وأحيانًا يحرّك القطار على القضَيب، وهو في هذا كلّه نشيطٌ، دائمُ الحماس والحَركة.

يُزمزمُ بلغة غريبة عنَّا. كأنَّما لا يَفهمُها غير عالمه الصَّغير، ورعيَّته الجَامدة، ثمَّ لا يلبث أنْ يعتريه الملل والسَّآمة، وتسيطر عليه غريزة عجيبة، فيهدم عرشًا نصبه، ويبعثر جنودًا مدرَّبة منظَّمة ويصدم عربات قطاره، ويهرع إليَّ محتاجًا مُتبرّمًا يطلب عالمًا جديدًا، أو إنْ شئتَ لعبةً جديدةً وبأيّ قُدرة أستطيعُ أن أمُدَّهُ على الدَّوام بعوالمَ لا متناهيَّة، متجدّدةً في كلّ لحظَة، فإذا شعرَ منّي بالعَجز عن الخلق والابداع. أنصرفُ الى دنيانا نحن الكبار. فيجذبُ الزَّهريَّة المُستقرَّةَ. في رشافة . على المنضَدة ويهوي بهَا الى الأرض، وإلى الورد فيعبثُ بأوراقه، ويعمدُ إليَّ السّتَارُ المُسدل على النَّافذة فيهدله، وإلى زجاجة فيحطّمه، ويسْعى إلى القطّ الجميل الوديع. فلا يزال يستدرجه، حتَّى إذا تمكَّن منهُ حاول خنقه بيديه الدَّقيقتين.

لشدّ ما يجهد أعصابي هذا المخلوق الصَّغير الجبَّار، إنَّه لا يهدأ، إنَّه لا يَستقرُّ، ولاَ يحلُو له غَير التَّدمير والعبَث بنظامنا، لا توقفه نظرَتي الحادَّة المهدَّدة، ولا تهدئه بسمتي الحَنون الرَّقيقة، ولا يثنيه ما أقدّم منْ حلوى.

ألَا إنَّ في الأطْفال حافزًا عجيبًا، يدفعُهم على الدَّوام إلى هدم ما هو قائمٌ، وإفساد ما هو مركَّبٌ.

وحينَ ألقي النَّظر على يديَّ وهما دائبتَان في نسْج الحيَاة، وعلى آثار الحُطام التي أنزلها بعالمي طفلي الصَّغير، أشعُر بالفارق الهَائل بينَ الأمومَة العَاملة، والطّفولة الهَادمة.

هؤلاء الصّغارُ فلذاتُ أكبادنا يولدونَ في الحياة بمشاعرَ جديدة، وطبائع جَديدة، وأفكارَ جديدة وآمال جديدة، فلا يطيب لهم أنْ يبقوا على ما صنَعت الأمَّهات وما بذل الآباء. فتراهُم يحطمُون في لحظة عالمنا، ثمرة كدّنا وعمرنا وجهدنا، كما لو كانَ صنما قديما سخفت عبادته".

هذه أوَّل مصطفاة أصطفيهَا لكم ممَّا وقع بين يديَّ هذا الأسبوع وأنا معجبة بها، لما انطوت عليه من دراسات لنفسيَّات الأطفَال وما تتجلّى عنهُ من أسرار الطّفولة وما تسفر عنه من حنان الأمَّهات وعطف الوَالدات.

المقال الثالث: اخترت لكم[1]

الأَمل هو ذلك الشعاع الّذي يتراءى لنا من بعيد فيضيء أفقَ حياتنا، ويغرينا بالاقتباس منه ويُرغبنا في مواصلة السَّير نحوه، ويحَبّب إلينَا الدَّأب والاجتهاد حتَّى ندركه. وهو ذاك الحافز القويُّ الّذي يبعثُ فينا النَّشاط والحيويَّة، وحبُّ العمل والجدّ، ويمحو أثر اليأس من نفوسنا وكلّ منَّا له أملٌ يرنو إليهِ، ويسعى في تحقيقهِ، فهو يضاعف الجُهود، ويستسهل الصُّعوباتِ، لا يبالي بكلّ ما يعترضُ طريقهُ من العوائقِ وما يكدّرُ صفوه من العراقيلِ.

ولولاهُ لما ازدهرت الدُّنيا بمصابيحِ الشُّعراء ولا أُنير العالم بكواكب العلماء. ولا بزغت شمسُ الفلسفة ولا ترعرعت دوحةُ الأدبِ، ولا وجدَ في الحياة عباقرة أو كتّاب. ولا انجلت الأمَّهات عظماء أو أنجادًا.

فهو الذي سما بالأميرِ إلى منصبهِ وأجلس الملك على عرشه، وعلا بالشَّريفِ إلى ذروةِ الشَّرفِ وصعدَ بالعظيمِ إلى قمَّة العظمةِ، وبه استطاعَ أفراد عديدون أنْ يغتصبُوا حياتهُم بعدَ أنْ كانُوا على قاب قوسين أو أدنى من الموت وبه تغلّب قادة كثيرونَ على أعدائهم، وكان لهم النَّصر المُؤزر. بعد أنْ هزموا ودبَّ في أفئدتهم اليأس.

[1]- ليلى ذياب، اخترت لكم، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الاثنين 7 رمضان 1370هـ-11 جوان1951م، مج4، ص191.

ولعلَّ من أحسن ما يُقرأ في هذا الموضوع كلمة الأديب البارع والكاتب القدير، أحمد حسن الزيَّات الذي صوَّر لنا الأملَ أبهج تصوير، وأسبغَ عليه ثوبًا من الأناقةِ فضفاضًا، بأسلوب عذب جذَّاب، وتعبير حلو سلسبيل وقد وقع اختياريِ هذا الأسبوع على ما كتبه:

"إذَا كانت الحياةُ وردةً فالأملُ كِمامُهَا " سمعتُ وأنَا أجوبُ الوادِي عصفورًا يُغنّي في عشّه. لقدْ ماتت صغاره في الليل وفي الفَجر قامَ يشْدو ويغنّي. " فيَا أيَّتُها النَّفسُ المَحزُونَة لا تبكي إذا فقدت كلّ شيء فالله حسبك وكافيك، الله في السَّماء والأمل في الأرض".

أجل يا عصفوري الصَّغير، الله في السَّماءِ والأمل في الأرضِ، وبينَ روح الله المواسي ومددُ الرَّجاء الآسي، تندمل الجفون القريحَة، وتلتئم القلوب الجريحة وتنتعِش الجدود العائرة.

انكروان يموتُ فرخه في المساء وفي الصَّباح يرقص ويصدح، والشَّاة يذبحُ حملهَا في الحظيرةِ وفي المروجِ تثغُو وتمرحُ، والقلبُ يقطعُ من القلبِ، والرُّوح تنتزع من الرُّوح ثمَّ يعيش المحب بعدَ حبيبِهِ، والوَالدُ بعدَ ولدهِ كمَا يعيشُ النَّهرُ النَّاضبُ من ارتقاب الفيضانِ، والرَّوض الذَّابل انتظار الرَّبيع.

لله في النَّاسِ نِعمتانِ لا يطيبُ بدونهما العيش، ولا يبلغُ إلّا عليهمَا العمر: النّسيان والأمل.

ماذا كانَ يصنعُ الأسَى بالقلوبِ الوالهةِ إذا لمْ يمحُ النّسيانُ من القلبِ صورةَ الحبيبِ الرَّاحلِ أو الهاجرِ، وماذَا كانَ يفعلُ اليَأسُ بالنُّفوسِ المكروبَةِ إذا لمْ يفتح الأمل أمامَها فرجة في الأفقِ المُطبق وفسحة من الغدِ المجهول؟

يا ويلتا للفقير يعتقد أنَّ فقرهُ يدوم بدوام الحياة، وللمريض يرى أنَّ مرضه لا ينتهي إلّا بانتهاءِ الأجل، ويَا بؤس للحيات إذَا لمْ يقل المأزوم والحروم والعاجز: "إذا كانَ في اليومِ قنوط ففي الغدِ رجاء، وإذا لم تكُن لي الأرض فستكونُ لي السَّماء".

أعانكُم الله علَى رفعِ قواعد مستقبلكم، وفسح آمالكم وبلَّغكُم غاياتِكُم، وأوصلكُم إلى ما تطمحُون إليهِ منْ مجدٍ أثيلٍ وتشييدِ صروحٍ باذخةٍ، وأنَالكُم ما تَرمونَ إليهِ منَ السُّؤددِ والفخار.

المقال الرَّابع: اخترت لكم[1]

إذَا كان الحوار هو روح القصَّة، فإنّي أتمَثَّل في هذا الرَّجل الذي أدْعوهُ أستاذي أو والدي ويُناديه النَّاس أحمد بن ذياب، أتمثَّله كاتبًا قصصيًا بارعًا. لو تفرَّغ لفنّه واشْتغل به. ويثبتُ هذا أنّي كثيرًا ما رأيتُه يَسكنُ إلى أوْراقه في أوقَات وظروف غير ملائمة للكتابة ثمَّ تكون كتابته في غاية الجودة، ونهاية الإتقان. ومن بين المُحاوَرات التي حبَرها فَنالتْ إعجَابي، محَاورةٌ كَتبَها داخل القسْم، تحت ضَغط التّلميذَات اللَّواتي كنَّ يطَالبنَ المُشَاركةَ في الاحْتفال السَّنوي الذي أقامتْه مدرَسة "بلعَبَّاس" بمناسَبة انْتهاء درُوسها. وإنّي لأَذكر ذلك اليوم، وساعة طلب إلينا الهدوء، وأوى إلى أوراقه زمنًا غير طويل، قضاه في شبه غيْبوبَة عرض علينا بعدها قطعة لطيفة من الأدب الرَّفيع سلَّمها إلى فتاتين. فكانت ممَّا زادَ الاحتفَال روعةً وجلالا. ولقد فضَّلتُ إطلاعكم عليها، وما أشكُّ في شَوقكُم إلى تذوُّق الآدَاب الجَزائريَّة في مُختلف حيَواتها. فأدباءنا قليلون، ثمَّ هم قلّما يفسحون المجال لقرائحهم فتجود ببنات أفكارهم ومبتكرات عقولهم. وإليكم المُحاورة في عنوان " الحياة عمل أم الحياة ميراث؟"...

زهرة: عجيبٌ أمر هذه الحياة، كلّما سرّنَا خطوة إلى السَّعادة عادت بنا خطوات إلى الشَّقاء.

مختارية: وصدق المعريّ في قوله:

تعب كلّهـــا الحيَاة فمـــا أعـ جـــــب إلاَّ مـــن راغب في ازديّاد

زهرة: إذن فلم يخلقنا الله إلّا لنشقى.

[1]– ليلى ذيَّاب، اخترت لكم، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الاثنين 28 رمضان 1370هـ – 2 جويلية 1951م، مج 4، ص213.

مختارية: بل خلقنا لنسعد.

زهرة: وكيف نسعد ما دامت الحياة في نظرك كما يقول المعري:

تعب كلها * وكلُّها تعب

مختارية: إنّ الرَّاحة يا أختي لا تجتني إلا على جسر من التَّعب، نتعب صغارًا لنستريحَ كبارًا. ونتعبَ في الدُّنيا لنسعد في الأخرى ويتعب جيل لبناء سعَادة جيل آخر. ويتعب الآبَاء للمُساهمَة في سعادة الأبناء.

زهرة: ولكنَّا كما نحيى الآنَ لا نَرى طفلاً إلَّا شقيًا، ولا شيخًا إلا ضعيفًا منزويًا، ولا امرَأة إلَّا منسيّة في هاويَّة، والأمَّة كلّها منكودة الحرب، مكدَّرة العيش، محرومة من أسباب الحياة فضلًا عن سعادتهَا.

مختاريَّة: تلك جناية الآبَاء وآباءُ الآباء.

زهرة: هكذا أنت أيُّها الشَّرقي . دومًا . تبتكر الأسْباب لتلقي المسؤوليَّة على غيرك وتسبَغ عليك ثوبًا من البراءَة فضفاضًا.

وهذا أكبر عائق لك عن التَّقدُّم.

مختاريَّة: كيف. ألا تؤمنين بأنَّ آبائنا هم اللَّذين جنوا علينا إذ أتوا بنا إلى هذا الوجود العبعاب ثمَّ لم يزوّدونَا بشيء من أسلحة الحياة أو وسائل البقاء.

زهرة: وماهي وسائل البقاء في نَظرك؟

مختاريَّة: إن وسائل البقاء هي الخلق الفاضل، هي التَّربيَّة الصَّحيحة، هي تفتيح الذّهن بالمعلومات الصَّادقة، وتنوير القلب بنور الدّين، وتهذيب العَواطف بالأدب الرَّاقي وإشرَاب الذَّوق معاني الجمال حتى تنموا فيه حاسَّة التَّعلق بالجمال، والإعجاب بالحُسن، والاستنكاف عن كل قبيح والاعتزَاز بكلّ رَائع فتَّان.

زهرة: وإذَا كانَ الآباءُ لم يهدونا السَّبيل، فلم لا نهتدي إليه بأنفسنا.

مختاريَّة: قلَّما يهتدي الإنْسان بنفسه، إذا لم تكن الهداية تكتنفه من عن يمينه، وعَن شمَاله وأمَامه وخلفَه، فلو أنَّ البيئَة التي نَحيى فيها مهتديَّة لاهتدينا بهدايتها ولو أنَّ آباءنا كانُوا مهتدين لاهتَدينا بالتَّقليد، ولو أنَّ التَّربيَّة عملتْ عَملها فينَا ونحنُ صغار لكنَّا كبارًا صَالحين وصَالحات.

زهرة: مساكينٌ أنتم والله مساكين.

مختاريَّة: علام تَصفيننا بالبؤس والمَسكَنة يا أخْتي، ونَحن نشعُر بالعزَّة تملأ قلوبنا ...

العزّة التي نجد مذاقها في ديننا الحنيف.

زهرة: ولكنَّ الرَّسول "ص" أمركم أن ترموا " لو ظهريا لأنَّها تفتح باب الشَّيطان وأنتم . أبدا. لو كان كذا لكان كذا... ولو كان كذا لكان كذا: اعملوا يا قوم... اعملوا وتزوَّدوا لكلّ عمل بالعلم، واسْتعينُوا بالشَّجاعة والصَّبر في كلّ ميدان. عسى الله أن يجعَل بعد العسر يسرا، ويجعل لكم من أمْركم مخرجا.

مختاريَّة: عسى الله، ولكن...

زهرة: ولكن... ولكن ... أيَّة شيء لكن هذه.

مختاريَّة: إنَّ الحيَاة لا يُمكن أن تكون كلَّها ابتكَارات، وإنَّما هي قَصرٌ يشَارك فيه كلَّ جيل بوضع اللَّبنة التي يستطيعُها، فهذا يضعُ لبنتهُ من تُراب والآخرُ يَضعُها من نُحاس، وثالث من فضَّة أو ذَهب، وَرابع من الياقُوت أو ألمَاس وأنَّ الرَّجُل العبقري والمَرأة العبقريَّة قد يأتيان إلى هذه الحياة ثمَّ يفارقانها إلى العدم دون أن يعثر أحدهما على المفتَاح الّذي يدخلُ من بابه إلى عالمه الجَميل ... عالمه الحَافل بالأَعَاجيب وكلُّ عبقريَّة تبقى منسيَّة مقبورة إذا لم يكتَشفها الوسط بالتَّربيَّة والأخْلاق، ولم يَصطنعْها العلمُ في معمله العظيم. فأيُّ هيئَة لدينا مسؤُولة عن تضييع الهمم الغاليَّة فينا، وتحقير شَأننا بينَنا.

زهرة : إنَّك بهذا يا أختي تعطّلين سنَّة الله، لأنَّ النُّور أمَامك ولا تُريدين أن تَريه ، لأنَّ أباك لم يقل لك هو ذا النُّور، ولأنَّ البَيت الّذي نشأت فيه كان أظلم، ولأنَّ أكثر النَّاس من أبناء أمَّتك يعشوهم النُّور فهُم كالخَفافيش، لا تبصر أعينُهم إلاَّ عالمَ الظَّلام ، وأنتم بهذا كأنَّما تقولون لربّكُم أنَّ الأعيُن التي أنْعمت بهَا علينا لا تُبصر، والآذان التي منَحتناها لا تسمَع، والقُلوب التي بين ضُلوعنا لا تَعي والرُّؤوس التي توَّجت بها أجسَامنا لا تفكر، لأنّكُم لا تعقدون العزم على استخدام هذه الحوَاس الحيَّة ولا تسْتعملونَها فيما خلقت له، فهل بعد أسلحَة الله سلاح ؟...

أرأيت يا أختي إلى العصافير في الفضاء الواسع؟ أرأيت إلى الغزلان في الصَّحاري الجرداء؟ أرَأيت إلى الأسُود والنُّمور والذّئاب في الغابات، أنَّها جميعا تُعرفُ من نظَام الحياة، وجمال الكون ما لا تعرفونه أنتم، لأنَّها عوَّدت نفسها ألَّا تعتَمد إلّا على قوَّتها أو حيلَتها، وأنتم أضعفتم القوى وأضعتُم الحيل.

مختاريَّة: وعليه فأسلحة الحيَاة الحقيقيَّة في اعتقَادك هي القوَّة أو الحيلة.

زهرة: هي القوَّة أو الحيلة عندما نكون أشْبه بوحوش الغاب في الهمجيَّة والبداوة، ولكنَّها نظَام. عمل. اتّحاد. تعَاون. إخَاء. رحْمة. صدق. إيثَار. فضيلةٌ ساميَّة، وعلمٌ واسعٌ. عندمَا تنالُ الإنسانيَّة حظَّها من التَّمدُّن.

مختاريَّة: الحقُّ أنّي لم أعد أعرف ما أقولُ. وإن كنتُ أعتَقد جازمةً بأنَّ لكلّ منَّا نصيبُها من الحقّ.

زهرة: فلنَبحث دومًا على الحقّ.

مختارية: ابحثُوا على الحقّ فأيّدُوه وانْصُروه ينْصركم الله

انتهى

تأمَّلوا القطْعةَ، وتحسَّسوُا وقع نغمات ألفاظها في النَّفس، وصَدى معانيها تدركوا قيمتها الأدبيَّة وتعرفُوا ما إذا كنتُ قد وفّقتُ في اختيَاري إيَّاها أمْ لا.

المقال الخامس: اخترت لكم[1]

شاءت الظروف التي تحيط بي أن يكون ما أقدّمه لكم هذه المرّة بقلم التي وعدتكم بأنّها ستعرض عليكم مختارات أدبيّة وموضوع حديثها "المرأة في المجتمع الجزائري":

من الواضح الجلي أنّ قضيَّة المَرأة قد صارت موضع اهتمام عظيم لدى جميع الشُّعوب. والجزائر الآن في أوَّل مراحل التَّقدُّم، تسعى لوضع أوَّل حَجَرٍ دري في أساسِ مجدهَا، وممَّا يجبُ أنْ تشملهُ برعايتِها التّفكير في مستقبلِ المرأةِ، إذ أصبَحت بدورهَا محلَ نقاشٍ وجدالٍ.

فهذا يوجبُ حجَابها، وذاكَ يرى سفورهَا. وثالثٌ يقفُ تجاه النّظريتين مرتبكًا حيران لا يدري في أيّهما الصَّلاح؟ ورابع يصرُّ على أنْ تبقَى مستمسكة بتقاليدِها الإسلاميَّة الموروُثة، مُضيفة إليها أحسن ما عند الغربيَّة منَ النُّظم الحديثة. وخامسٌ يعمل جهده على أنْ تكونَ الجزَائريَّةُ نسخةً ثانيَّةً للغربيَّةِ. وآخرُ يُعلِي من قيمتِهَا في المُجتمع، وآخرٌ يُسقطُ منزلتَها ويهينها.

آراء متبَاعدة، ونظريَّات مُختلفة، لكلّ نصيبها من الصَّواب والخَطأ، ولا نَدري التي هي أكبر نفعا وأقلُّ ضررا بأمَّتنا. وسبب هذا التَّضاربِ في الأفكارِ، والعراك بينَ الآراء، أنَّ بعض نسائنا قد رأينَ بصيصًا من نورِ الحيَاة. فهنَّ يُردنَ قد يتمتَّعن بجمالهنّ كما ينعم الرَّجل، وسمح لهنَّ بأخذ قسط منَ العلم فهنَّ يودِدن ألّا تغلق دونهنَّ أبوابَه، حتَّى يستكمِلن معلوماتهنَّ، وأعطين جزءًا من الحريَّةِ فطمعن في إضعافه. بل لقد رأينَا الكثيرات من فتياتِنَا المُتعلّمَات يأملنَ أنْ يُصبحنَ يومًا ما مشاركات للرّجال في أعمالهم وتصرّفاتهم، ويتطلّعن إلى الدُّخول معهُم في كلّ بابٍ يلجونه، ويتقدَّمن

[1]– ليلى ذياب، اخترت لكم، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الاثنين 12 شوال1370هـ – 16 جويلية 1951م، مج 4، ص221.

هنَّ الأخريات إلى ميادين الحياة المُختلفة فيخضنَ غِمارهَا، وهذا لا يَتنَاسب وطبيعة الحياة التي جُبِلنَا عَليهَا وتَوارَثنَاهَا.

وإنَّ المَرأةَ بالمَعني الحقيقِي لهيَ تِلكمُ التي تُحسنُ تَربيَّة أبنائها، وإسعاد زوجِها لا تلك التي تَمشي وراء المِحراث، وتحمل الفأس ولا هذه التي تحرّك الآلات في المصَانعِ. نعم قد نَتسَامحُ قليلاً فنَترك بعض المَيادين للمرأة فتكون معلّمةً فاضلةً، وطبيبَةً حاذِقةً، وكاتِبةً بَارعةً، وشاعرةً غريدةً، وصحافيَّةً ماهِرةً، ومصوّرَةً مفتنَةً، ومشَاهدةً كيفَ أنَّ النَّجاحَ يَكونُ حليفَها. ولكنَّ الشَّك يخالجُ قلوبنا إذا نضرنا بعينِ المُستَبصرِ إلى ما ينشَأ عن اشتغالِهَا بهذهِ الوظائفِ من النُّقصِ في حياة الأسْرة، والعجز عن بناء البيت، ونحنُ أشدُّ ما تكونُ الحَاجة إلى أمَّهات صالحات ينجبنَ أبناء بررة بوطنهِم. وأشبَالًا يذودونَ عن حرمَة دينهِم وشَرف لُغَتِهم. لهم الحظّ الأَوفر منَ التَّربيَّة الصَّحِيحة، والأخلاق العاليَّة، والآمال الغاليَّة يتغذَّونَها ممزوجَة بلبَانِ الأمّ.

هذا ومنَ الأحسنِ –إذَا لم يكن منَ الواجبِ – أن نمهّدَ لها السُّبلَ، ونزوّدَهَا ببعض الأسلحَة لتتمكّن إذا ظلمتْها الأيَّامُ من كسب قوَّتها بعرق جبينِها كما يتحصَّل عليه الرَّجل. وقد كانت المرأة العربيَّةُ سيّدةَ نساءِ العَالم وزَعيمتهُنَّ وكانَ لها منَ المنزلة السَّاميَّة المَكَانة الرَّفيعة مالم تستطع أنْ تحظَى به غيرهَا من النّساء حينئذ. ومعَ ذاك فإنَّ التَّاريخ لم يحدّث أنَّها قامت بغيرِ المهمَّة التي سخرت لها ماعدَا خروجها لبعض مَناحي الحياة في أحوال ثانويَّة فولدت لنا عمر بن الخطّاب، ونشأت أبا بكر، وصاغت خالد بن الوليد و طبعت عليّ بن أبي طالب وغيرهم من فحول العرب، وعبَاقرةِ التّاريخِ، وهذا منَ الأدلَّةِ القَاطعة على رُقيّ العرب في جاهليتهم وإسلامهم من حيث التَّربيَّة القوميَّة والّذي يتأمَّل أشعارهم التي هي مرآة حياتهم جاهليَّها وإسلاميَّها ينكشِفُ له ما كانَ يمنحُهُ الرَّجلُ منَ التَّعظِيم والاحترامِ إلى تلك التي قد أقصرت مهمَّتها في الحيَاةِ على إعدادِ رجالِ الغدِ، وبناء سعادة الأسرة.

المقال السَّادس: اخترت لكم[1]

سعيدٌ ذلكَ الّذي فتحت له الحياة أبوابها، وأنَارت له سبُلَها، فاستطاعَ أنْ يتمتَّع بنعيمِ التّلمذةِ ردحًا من الدَّهر يختالُ في حلَلِهَا القشِيبَةِ، ويزهَى بينَ أفوافِها النَّديَّة، الرّفافة المُشرقة، ويترقى في مدارج الدّراسة كالفراشَةِ من زنبقة إلى زنبقة؛ ومن روض إلى روض، يمتصُّ رضاب العلم، ويترشَّف رحيق الأدب. يؤسّس دنيَاه، ويشقُّ طريقه إلى المستقبل المأمون.

الطلبة هم غرس الأمَّة الّذينَ سيغدون أشجارًا تكبر، وتتزَعزَعُ أغصانها. وتأتي أكلها بعدَ حين وبذرتها التي ستمتدُّ عروقها في الأرض وترسِل أفنانها إلى عنان السّماء وتُثمر وردًا وريحانًا.

وهم متعلق آمالها، ومناط رجائها، تنتظر منهم تأديَّة رسالة العلم، وتبليغ أمانَة النُّبل، ورفع مستواها بين الأُمم المتحضّرة، وتنشدُ فيهم إخراجها من عالمِ الظّلامِ إلى دنيَا النُّورِ، والصُّعود بها من هاويَّةِ الضَّلالِ إلى ربوةِ الهُدَى، وإنقاذها من داءِ الجَهلِ الفتَّاكِ، إلى شاطئ السَّلامة الميمُون، والقضاء على كلّ جرثومة من جراثيمه الوبيلة، وبعث أرواح الحياة الطيّبة ساريَّة من كلّ عصب، نابضة، في كلّ عرقٍ، حيَّة في كلّ شريان.

وكم يَسرُّني – ولعلَّهُ يسعدكم – أنْ ننشد جميعًا هذهِ الأبيات التي صابت بها سماءَ "أحمد رامي" السَّخيَّة، وجادت بها الرُّوحُ الشّعريَّة التي كرّمه الله بها فقدّمها هديَّةً نفيسة إلى كلّ طالب لِتبعث فيه الحميَّة وتحثُّه على الدّأبِ، ومواصَلة العمَل؛ لإدراكِ الهدفِ الأسمَى الّذي يرمِي إليهِ وكفاكُم أيُّها الطّلبةُ الأطهار، ورجال الغدِ الأبرار شرفًا أن يقولَ فيكُم ذلكمُ الشَّاعرُ:

مشرقٌ كالضُّحى مع الصُّبح غاد في إهابٍ مع الشَّبابِ النَّادِي
يطلبُ العلمَ من معاهدهِ الغرر ويروى من نجمةِ الورَّادِ

[1]– ليلى ذياب، اخترت لكم، البصائر، دار الغرب الإسلامي، الاثنين 19 شوال1370هـ–23 جويلية 1951م، مج4، ص231.

طلعتْ شَمسهُ على الدَّارِ فازْدانَ ضُحَاهَا باليَمينِ والإسعَاد
وعلى ثغرِهِ ابتسامةَ بِشرِ بَعثتْها هشَاشَة في الفؤاد
هو في البيتِ حبَّةُ القلبِ والعَنِ مناطُ الآمَالِ قصدَ المُرادِ
فرحَ الأهلَ يومَ أشرقَ فيهم كوكبًا لاحَ في سَماءِ الوَادِي
شبَّ فيهم طفلاً صبيح المُحيَّا كابتسامِ النُّوارِ في الأعوادِ
ومشَى الطّفلُ في الرُّبوعِ صبيًّا يقبسُ المجدِ منْ سنَا الأجداد
ثمَّ أضحَى فتَى يتوقُ إلى الفَهمِ ويمضِي إلَى سبيلِ الرَّشادِ
مازِهِ فوقَ سنّتهِ خلّةُ الفِطنَةِ في الرَّأي والذَّكا الوَقَّاد
لا تراهُ الّا يجيلُ سؤال دقَّ في كَنهِهِ طريقُ السَّداد
أو تراهُ إلّا يقولُ جوابًا يتركُ الرَّأي واضحَ الاعتقَاد
نعمةٌ أسبَغتْ عليهِ منَ اللهِ وفضلٌ مِنَ السَّميعِ الهَادِي
أيُّها الطَّالبُ الطّموحُ إلى المَجد تقدّم دنيَاكَ دارُ الجِهادِ
قفْ أمامَ الكِتابِ واقرَأ كلامَ الله يهدِي إلَى صَلاحِ العِبَاد
واستملَّ الحَديثَ ينطقُ بالحَقّ ويَدعُوا إلى كريمِ الودَاد
وتمعَّنْ فيمَا أفاضَ أولو الألبابِ مِنْ حكمة ومِنْ إرشَاد
وانظر السَّابقينَ في حلبَةِ المجْدِ وطُوفَ بكعبةِ القصَاد
قد عقدنَا عليكَ كلَّ الأمانِي منذُ نادَى البَشيرُ بالميلاَد

فيا أبناءَ الجزائريّينَ العَاملين، ويا طلبتها المُخلصين. إنْ كُنتم حقًّا تُريدُون أنْ تجعلوا منْ جزائركُم جوهرة ثمِينة في قلادةِ الحَياةِ، وجنَّةً غَنَّاءَ، وفردوسًا أفيح، فأغرسُوا في قلُوبِ إخوَانِكُم شُجيرَات الفَضيلة، واقتلعوا من وسطكم جذور الرَّذيلة، أنقذُوا الدّينَ حاربُوا الأميَّة، وانْصرُوا اللهَ يَنصركم، وتَواصَوا بالحقّ وتواصَوا بالصَّبرِ.

المقال السَّابع: اخترت لكم[1]

هذه كلمَةٌ مختصَرةٌ أقدمُهَا للقارِئ بعنوان " تَجربتِي في التَّعلِيمِ " أعتمدُ أوَّل ما أعتمد فيها على تجربةٍ قمتُ بها خلال السَّنة الماضيَّة.

كنتُ أعرفُ عنِ التَّعليمِ شيئًا كثيرًا – حسب ما كنت أظنُّ – إذْ إنَّ أحدَ أقرِبائِي معلمٌ، ومعلمٌ كفوءٌ، ومَا أنْ سمحَ لي بمُمَارسةِ هذهِ المهنَةِ، حتّى أصبح ما أعلمه يساوي شيئًا مذكورًا ممَّا استفدته الآنَ، فأينَ هو ممَّا يجب أنْ أبحث عنه، وتتكشف عنهُ الأيَّامُ في المُستقبلِ، إنْ أنْ عقدت العزم على أنَّ الحجَّ في يومٍ ما باب التَّعليم، وأكون معلمة، تُهذّبُ النّفوس، وتُوقظُ الأحَاسيسَ، وتدعمُ أصولَ الرُّجُولةِ العَاملة، والنّسويَّة الجَميلة، بل لقد أهملت أكثر ما كنت أعتقده لبعده عنِ الحَقيقةِ، ونأيهِ عنِ الصَّواب، لأضَعَ مكانهُ من تَجرُبتي علما أقوى وأنفع، عن هذا العَمل الشَّريف.

ولعلي أتقدَّمُ إلى مُباشرةِ التَّعليمِ مرّةً أخرَى فأعثرُ على الصَّحيحِ الأصَحّ، وأهتدِي إلى السَّبيلِ الرُّشدِ، وإذْ ذاكَ أستطيعُ أنْ أدلِي برَأيي في التَّعليمِ مرفوعةً الرّأسِ، مغمورةً بنشوةِ الفوزِ.

أمَّا نظريّتِي الآنَ فهي أنَّ المدرسَة هي الأمُّ الثّانيَّة للطّفل، وهي معهَدُ التّعلِيم منهلة الثَّقافةِ ومُنتجعُ الأدبِ، ومُعلّموهَا ملائكةٌ أطْهارٌ، ورسلٌ بَرَرةٌ، ينشُرونَ في النَّاسِ دينَ السّعادةِ الأبديَّةِ ويَحمِلونَ رسَالةَ العلمِ والتَّربيَّةِ، هَدفهُم الأسمَى، وغَايتهم المُثلَى التي يسدّدُون إليهَا خطواتهم . أو سهامهم . أثناء قيَّامهم بِواجبهم هذا " هو إعدادُ الجيل القادم " وتزويدهم بالمعلوماتِ التي تُعينُهم على مواجَهة صِعاب الحَياة، والوُصُول إلى المُثُلِ العُليَا التي يَرمِي إليها. وبعث القوَّة والنَّشاط في نفسِه ليَتحمَّل المَسؤوليَّة التي سَتُلقَى على عاتقهِ.

[1]– ليلى ذياب، اخترت لكم، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، العدد:171، الاثنين 2 ذي الحجة 1370هـ– 3 سبتمبر 1951م، مج4، ص263.

وكمَا أنَّ الأب لهُ الفَضلُ في تَنشِئةِ جِسمِ الطّفلِ، فَلِلمُعلّم فضلٌ أعظمُ، هو تكوينُ روحه وعقله وبهذا تكون العلاقات بينَ الأدَب والمُعلّم وشيجة، تُوجب على الاثنين أنْ يَشعرَا بأنَّهُمَا يشتركان في عمل واحد، همَا المسؤولانِ عن مصيرِهِ.

والتَّعليمُ ليسَ حِرفةً تزاولهُ كسبُ الرّزقِ كمَا يَعتقدُ بعض النَّاس، بل هو فنٌّ من فُنونِ الحَياةِ الرَّفيعَةِ، وأسَاسٌ من أسس بناء سعادات الأمم متينة، وبابا من أبواب رقيّ البشريّة، ومُرتقَى صعبٌ يصعدهُ كلّ من يريد بلوغ هام القمم، والطّيران إلى المساوات العُلَى، ووسيلة من وسائل البَقاء، وأهمّيته عظيمة، لن يستطيع فَهمها وتَقديرهَا حقَّ قُدرتها إلاّ من قام بها. وعرف عواقب التَّعليم الحَسنَة، وجَنْيِ ثَمراتِهِ الشَّهيَّةِ، ولن يقدرَ على القيَّام به، وتحمُّل عبئه، إلا طائفة معدودة منَ الأمّة، أهَّلهُم اللهُ لذلكَ وانتقاهُم من بينِ الأنَامِ. كما اصْطفَى الأنْبيَّاء عليهم السَّلام . ولله درُّ أمير الشُّعراء "أحمَد شَوقي" حينَ يقُولُ:

قم للمُعـــلّم وفّهِ التَّبجِيـــلاَ كادَ المُعلّمُ أنْ يَكُونَ رَسُـــولَا

أريتَ أشرفَ أوْ أجلَّ منَ الّذي يَبنِي ويُنشِئُ أنفسًا وعُقـــولًا

وقد قيلَ أنَّ المُعلّم مَطبُوعا لا مَصْنوع.

ولْتَكنْ لِي المَعذِرة إذَا قلت أنَّني لا أدرِي مَا إذَا كنْتُ أحد أفراد هذه الفِئَةِ، أَم أنَّ مهمَّتي غَيرَ التَّعلِيمِ؟

نَعم لقد قُمتُ بِتجْربةٍ كانت جديرة بأنْ تَكونَ امتحانًا لِي، ولا كنّي لا أعلَمُ أَنَجحتُ النَّجاحَ البَاهرَ المُنتَظرَ في كلّ مَا قُمْتُ بهِ أم لاَ؟

وعلى كلّ حالٍ فَقد أَرضيتُ ضَمِيرِي، فَسلّمتُ من تَبَكَّيْتُهُ.

قمتُ بهذهِ التَّجربَة فعلّمتني أشْياء كثيرة لم أكن أعلمُها، وفتحت عيني على عالم كنت أكاد أجهَلُه كلَّ الجهل، واستطعت بفضلهَا أن أتَمتَّع بعض الأشهر القَليلة بتلك السَّعادة الرّوحيَّة،

والطّمأنينَة القلبيَّة التي يشعرُ بها المعلّمُ إثرَ تأديته واجبه بإخلاص، وتقديمه للأمَّة عملا جليلا، محضا من كلّ شائبة، واكتسبت منها فوائد وعبرًا ستكونُ بعض أسلحتِي في ميادينِ هذا الوجودِ الغاصّ بالأخطارِ المحفوفِ بالأشواكِ. وليجعل الّذينَ يعدون أنفسهم للقيام بهذا العمل الكلمة. التي قالها فيلسوفُ العالم" ابن سينَا". نصب أعينهم فهو أحسَنُ قدوة للمعلّم، وأوّل قاعدة بالتطبيق في باب" التَّعليم والمُعلّم وهي: ينبغي أنْ يكونَ مؤدّب الصَّبي عاقلا، إذَا دين، بصيرا برياضة الأخلاق، حاذقا بتخريج الصّبيانِ وقورا، رزينا، بعيدا عن الخفَّة والصَّخف، قليلُ التبذُّل والاسترسَال بحضرة الصَّبي، غير كز ولا جامد بل حلوًا ليّنًا، ذا مروءة ونظافة ونزاهة، قد عرف سراة النَّاس، وعرف ما يتباهون به من أخلاق الملوك وما يتعايرُون به من أخلاق السَّفلة وعرف آداب المجالس، وآداب المؤَاكلة، والمحادثة، والمعاشرة ".

المقال الثَّامن: اخترت لكم[1]

سَأسير بكُم خطوات واسعَة، وأقطع وإيَّاكم مسافات شاسعة، ونعدو أشواطًا بعيدةً نحو الجزيرة العربيَّة في سرعة البَرق، لنَلتحقَ بالرُّجولة الكَاملة، والإمَارة العاليَّة، ونعيشُ تحت ظلال الخلافَة المُورفَة، ونَرتعُ في مروج العدل الخَضراء، ونَطوي البَيْداء، ونتسلَّق الجبَال، ونعبُر المُحيطَات والأنهَار في لمْح البصَر، ونَقلب صفحات كثيرة من التَّاريخ الإسْلامي لنعثر على الصَّفحة التي خُطَّت عليها سيرةُ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . ونتأمَّل عملاً من أجل أعمَاله ، هو وصيَّته لقَاضيَّه موسى الأشْعري، فنأخُذ منه ما ينفعنا في ديننا ودُنيانا، وما نهْدى به من عمى من عبادنا . ولنمْكث معَ ذائد الإسْلام الصَّميم، ومبلج الحقّ المُبين، ثواني معدُودة، نقفُ فيها بينَ يديه وقفَة التّلميذ من أسْتاذه . ولم يكن عمر يعْلم إلّا أسورا ملؤها الاحترَام والمحبَّة، وفحوَاها الإجلالُ والتَّعظيمُ،

[1]– ليلى ذياب، اخترت لكم، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الاثنين 16 ذي الحجة 1370هـ –17 سبتمبر 1951م، مج4، ص277.

وننصتُ إليه بآذَان سَامعة، وقُلوب واعيَّة وننظرُ إليه بأبصَارٍ خاشعةٍ، وأعنَاق مشرئبة، ونفُوس متطلّعةً إلى الأثر البَالغ الّذي سيترُكه ما يُمْليهِ بطَل التَّاريخ العَظيم فيها.

فَإلى عمر بن الخطّاب!

إلى الأدَب الرَّفيع واللُّغة الحيَّة.

إلى الأسلوب البَليغ، والفَصاحة النَّادرة. بعثَ عمر ابن الخطّاب برسَالة إلى عبد الله بن قيس قال فيها:

"أمَّا بعدُ فإنَّ القضَاء فريضةٌ محكمَة. وسنَّة متَّبعة فافْهم إذَا أدلي إليكَ، فإنَّه لا يَنفع تكلّم بحقّ لا نفَاذَ لهُ، آس في النَّاس بينَ وجهكَ وعدلكَ ومجلسكَ، حتَّى لا يطمعُ شريفٌ في حيفكَ، ولا يَيأسُ ضعيفٌ من عدلكَ.

البيّنة على من ادَّعى، واليَمينُ على منْ أنكرَ. والصُّلح جائزٌ بينَ المسلمينَ، إلَّا صلحًا أحلَّ حرامًا، أو حرَّمَ حلالاً، لا يمنعكَ قضاءٌ قضيَّتهُ بالأمْس ثمَّ راجعتَ فيه عقلكَ وهديتَ فيه لرُشدك أنْ ترجعَ إلى الحقّ: فإنَّ الحقَّ قديمٌ، ومراجعة الحقّ خيرٌ من التَّمادي في البَاطل. الفهمُ الفهمُ.

فيما يتلَجلجُ في صدرك، ممَّا ليسَ في كتَاب ولا سنَّة، ثمَّ اعرف الأشبَاه والأمثالَ، فقس الأمُورَ عندَ ذلكَ. واعمَد إلى أقربهَا إلى الله، وأشبهها بالحقّ، واجعل لمَن ادَّعَى حقًّا غائبًا أو بيّنةً أمدًا ينتهي إليه، فإن أحضرَ بيّنتهُ أخذت له بحقّه، وإلاّ استحللت عليه القضيَّة. فإنَّه أنفى للشَّكّ، وأجْلى للعمى المسلمونَ عدول بعضهُم على بعض

إلَّا مجلودا في حدّ، أو مجربا عليه شَهادةُ زُور، أو ظنينًا في ولاء أو نسَب.

فإنَّ الله تولَّى منكمُ السَّرائر، ودرا بالبيّنات والإيمان، وإيَّاك والقلق والضَّجر والتَّأذّي بالخصُوم والتَّنكُّر عند الخصُومَات. فإنَّ الحقَّ في موَاطن الحقّ يعظّم الله به الأجر، ويحسنُ به الذُّخرَ، فمن

صحَّت نيَّتهُ، وأقبَل على نفْسه، كفاهُ الله ما بينهُ وبينَ النَّاس. ومن نخلقُ للنَّاس بما يعلمُ الله أنَّه ليسَ من نفْسه، شأنُه الله. فمَا ظنُّكَ بثواب غيرَ الله عزَّ وجلَّ في عاجل رزقه، وخزَائن رحمَته.

فجديرٌ بأمَّة تعتَنقُ الإسلامَ، وقومٌ ينتمُونَ إلى العربيَّة، أن يتَّخذوا القَانونَ الذي سنَّهُ عمر بن الخطّاب جادتهم المُثلى التي لا يحيدونَ عنها أبدًا، وملاذُهم الوَحيدُ الَّذي يلجؤونَ إليه في حلّ المشَاكل القضائيَّة، وبعض المسائل الدينيَّة، وإنْ أمَّة تَجد عن هذا القانون معدَّلا لهي أمَّة في تقهقر دائم.

المقال التَّاسع: اخترت لكم[1]

لا يَكادُ يَتلاَشى غسق اللَّيل المُوحش، ويُسفرُ الصُّبح عن ضيَافة المُؤنس، وتبزغُ شمس العيد الذَّهبيَّة، ويَعُم شعَاعُها العَالم الإسلامي حتَّى تنشرَ عليه من معَاني العيد المُتدّفقة زَهرات نديَّة، وتَسبغُ عليه من حقَائقه الخَالدة أثوابًا فضفاضةً، سداء أزيلت عن صدُورهم كَوابيس الضّيق، وقَشعَت عن أفئدتهم غشاوات الأسَى، فانطلقوا يعلوا يعلو وجوههُم البشر، يكسو جوانحهُم الفرح . بهذا اليوم الذي تَجتمعُ فيه الأَرواحُ والقلوبُ، فتَتوثَّق بينَها عرى المحَبَّة والصَّداقة. يزفّونَ التَّهاني القلبيَّة، ويتبادلونَ القُبلات الزَّكيَّة، يحيُّون ويثقلونَ التَّحايا، ويَهدون، ويتقَبَّلون الهَدايا.

وجاءَ العيدُ. كما جاءَ منذُ سَنوات، وكما سيجيئ بعدَ أجيَال، شرق بنفحاته، مفعمٌ بتَباشيره يحْملُ بين أحضَانه أسبَاب الطَّمأنينة للجميع، . بالبَشر المضَاعف، والتَّراضي والتَّآلف، وغدا النّاسُ يَنْتقونَ لذَويهم هَدايا تعربُ لهم عمَّا انْطَوت عليه قلوبُهم، ولم تَستطع النّطق به ألسنَتهُم، من الحبّ والإخْلاص.

[1]– ليلى ذياب، اخترت لكم، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، العدد177، الاثنين 18 ربيع الاول1371هـ– 17 ديسمبر 1951، مج 4، ص287.

وكان بينهم الشَّاعر العبقري " إيليا أبو ماضي " فرأى أنَّ النَّفسَ الإنسانيَّة ضجرةٌ طلعة، تَميلُ دومًا إلى الغريب الذي يند وجودهُ، وأنَّ هذه التُّحف والنَّفائسُ، التي تهدى عادَة في الأعيَاد، إنْ هي إلاَّ وليدَة التّكْرَار فآثرَ أن يَهدي سواهَا لأصدقَائه وَذوي رحمه.

وبعد اختمَار الفكرَة، أوَى إلى قلمه المدرار، يَستنجدُه غيثا يحقّقُ أملَه نحو إخوانه بني الإنْسان. فما لبثَ أن انبلجَ سناهُ عن هذه القصيدَة الجيَّاشة التي تفيضُ بالعَدل، في تقْسيم الهَدايا بين النَّاس حسبَ مقاماتهم الاجتماعيَّة، وأعْمالهم الفرديَّة، وصفَاتُهم الخلقيَّة، ومُيولهم النَّفسية.

فهي وإنْ كانَت لا تُنفقُ وأذواقَ بعض الأنَام إلَّا أنَّها تنْطق بالحَقيَقة الحَاسمة." هدايا العيد":

خرج النَّاس يشْترُون هدايا العيد للأصْدقاء والأحْباب
فتمَنَّيت لو تساعفُني الدُّنيَا فأقضَي في العيد بعض رغابي
كنت أهدي اذن من الصَّبر أرطا لا إلى المنشئين والكتَّاب
وإلى كل نابغ عبْقري أمَّة أهلها ذوو ألقَاب
وإلى كلّ تاجر حرم التَّو فيقَ زقين من عصير الكذَّاب
وإلى كل عَاشق مُقلة تبصركُم من عصير الكَذب
وإلى الغَادة الجميلة مَرآة تريها ضَمائر العزَّاب
وإلى النَّاشئ الغرير مرآنا وإلى الشَّيخ عزمه في الشباب
وإلى معشر الكسالى قصورا من لجين وعسجد في السحاب
على استريح منهم فقد صاروا كظلي في جيئَتي وذهَابي
وإلى ذِي الغنى الذي يرهبُ الفَقر ازدِيَّادُ الّذي بهِ من عذابٍ
كلَّما عدَّ مالهُ مُطمئِنًا أبصَرَ الفقرَ واقفًا بالبابِ
إلى الصَّاحبِ المُراوِغِ وجه أسودًا كالحا كوجه الغراب
فإذا لاح فرَّت النَّاسُ ذُعر من طريقِ المنَافِقِ الكذَّاب

وإلى المُؤمنينَ شيئًا من الشَّكّ وبعضُ الإيمانِ للمُرْتابِ
وإلى من يسبُّني في غيَّابي شرفًا كي يصونه من سبابي
وإلى حاسدِي عمرًا طويلاً ليدُوم الأسى بهم ممَّا بي
وإلى الحقل زهرهُ وحلاه من ندى لامعٍ ومن أعْشابِ
فقبيحٌ أنْ نرتدِي الحُلَلَ القشب وتبقى الرُّبى بغير ثيَّاب
لم يكُن لي الّذي أردت فَحَسبي إنّني بالمُنى ملات وطابي
ولو أنَّ الزَّمان صاحب عقلٍ كُنتُ أهدي إلى الزَّمان عتابي

فطبْ نفسًا يا إيليا أبو ماضي، وانعم بالاً، وسلامٌ عليكَ يومَ ولدتَ، ويوم نبَغتَ، ويومَ شرَّفتَ الشّعر، بهذه الشّذراتِ. فقد استَطاعت هديَّتُكَ أن تكونَ أثمنَ هديَّة، يهديها الأبُ إلى ابنه، والتّلميذ إلى أستاذهِ، والفَتاةُ إلى أختهَا.

وإذَا كنتم أيُّها القرّاءُ الكرام مدفوعة بدافعِ أخوتكُم لاختيَّار، تحيَّة وهديَّة أبعث بهما إليكم، فتَحيَّتي هي هذه الكلمات الجامدة، التي خطَّها هذا القلمُ الضَّنين، وهديَّتي هي قصيدة إيليا أبي ماضي أرسِلهَا إليكم على صفحات "البصَائرِ" الغرَّاء، ولو كانت مقدّرة لكَتبتُهَا بماء الذَّهبِ الإبريز.

المقال العاشر: اخترت لكم[1]

إلى بَلابل الجزائر الغرّيدين، الذين يحلّقون في أجواء المدارس، يرددون ألحان السّعادة السّرمديّة ويرتلون أناشيد المجد المنتظر، والسؤدد المأمول.

إلى من بأيديهم مقاليد حياة الأمة. إلى أشبال اليوم، وأسود الغد الجسر. إلى أبَناء وطني العزيز أهدي هذه الكلمة القصيرة بمناسبة طلوع فجر المدارس، تحت عنوان: "السنة الدراسية الجديدة".

[1]– ليلى ذياب، اخترت لكم، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الاثنين9 رمضان 1371هـ–2 جوان 1952م، مج 4، ص333.

ذهب الصيف برمضائه، وأقبل الخريف الجبار برياحه العاصفة، ورعوده القاصفة، وأمطاره المنهملة ينتزع من الأشجار أوراقها، ويتركها جرداء، ليتخذ لنفسه دِرْعًا تَقِيهِ برد الشتاء وزمهريره وانتقل الناس من عالم إلى عالم، ومن دنيا إلى دنيا، من عالم التّكاسل، إلى عالم النّشاط، ومن دنيا الرّاحة واللّعب، إلى دنيا العمل والجدّ.

وجاءت غرة أكتوبر من سنة تسعة عشر مائة، وواحد وخمسين ميلاديَّة، فرأينا المدارس في أكثر أقطار العالم أخت تفتح أبوابها للطلبة وتنفض عنها غبار ثلاثة أشهر قضتها في سبات عميق على تمام الاستعداد لاستقبال وفود التلاميذ، الذين يندفعون إليها، من كلّ صوب، اندفاع المياه في الأوديَّة، تهيب بهم: أن تعالوا ... هنا الحياة ... هنا السّعادة ...هنا النّور ...هنا المروج الخضراء هنا المراعي الخصبة ...أقبلوا، وازرعوا فستحصدون، وأبذروا فستجنون في أخريات العام ثمارا يانعة شهيّة، لن تنبتها شجرة غير المدرسة، ولن يدنيها إليكم غير الأساتذة، وجدّوا كدّوا فستسقون بعد النّصب كأسا دهاقا سلسبيلا لن يرشفكم إياها غير المعلمين.

فإلى العمل المثمر، والسعي المفيد...

ورأينا التَّلاميذ يجيبون داعيها، ويلبون نداءها، مسرعين نحوها، يعدون كالظباء في الفلاة، غير مبالين بما يعترض طرقاتهم من وسائل التسلية والإغراء، يحملون في إيمانهم لوازمهم المدرسية ويضغطون بيسريَّاتهم على فخر بلدانهم، وحياة أوطانهم، على مجد لغاتهم، وشرف أديانهم، تحدو بهم الآمال الزاهية، وتحمسهم العظات الغالية، وتشجعهم النصائح الثَّمينة، قد نقشت على قلوبهم بأحرف من نور السماء، وطبعت على جبينهم بطابع ملائكي مقدس، "للعلا" فهم يضحون بكل عزيز لديهم، وبكل ما ملكت أيمانهم في سبيل العلا، وهم أبدا يمضون قدما لميدانها الرَّحب.

وكان اليوم الخامس من هذا الشهر، عيدا عظيما لجمعية العلماء، حيث افتتحت بدورها فيه مدارسها، فبدت للنَّاظرين رياضا معشبة، قد كستها العلوم بسطا مبرقشا، وألبستها الآداب حللا

سندسيَّة، وسطعت فوقها أنوار الإسلام، وأضاءتها كواكب الإيمان، ووقف فيها المسلم الغيور، والمؤمن الحق والعربي الصميم، والجزائري الأبي يحملون لقب معلم، شعارهم الإخلاص في العمل، والصدق في القول، والأمانة في المعاملة، والنصيحة لله ورسوله، ولأبناء المسلمين الميامين.

وجلس على مقاعدها الملاك الطاهر، والطفل الطموح، كنز الأمة، ومعقد رجائها سموا " تلامذة". واجبهم الأول، السمع والطاعة، ومهمتهم العظمى، تحصيل العلوم، والفنون، والآداب.

ولكنَّها – بكل أسف قليلة – لا تكاد تعد شيئا مذكورا بالنّسبة للأبنيَّة الضَّخمة، والدُّور الفخمة التي تشاد كل يوم في الأمم الحيَّة لهذا الغرض العظيم.

فيا رجال الجزائر الكرام ويا أولى الهمم، إنَّنا في أمسّ الحاجة إلى الكثير من دور العلم وأوضح دليل، هو هذه المأساة التي يمثلها أبناؤنا الذين قد ازدحمت بهم الشَّوارع وامتلأت بهم الطرقات لا يجدون مدارس تؤويهم، إنَّها أكبر عائق لنا عن التَّقدم وأعظم عار لنا ونحن نريد الرُّقي.

ويا قوم: ألستم ترون في البلد الواحد عشرات المدارس الفرنسية، بينما لا توجد فيها غير مدرسة واحدة – وقد لا توجد– عربيَّة ذليلة، محرومة من ضروريَّاتها، تنادينا كل يوم بداعي الإسلام، وكأنَّنا صمٌّ، وبداعي العروبة، فنعرض عنها، مستنكفين مستكبرين، غير آبهين بواجب، وترجو يد المساعدة فلا مفرج كربة، ولا معين على رزء، كان الدّين الذي شرَّع التَّعاون حرَّم علينا التَّعاون على البرّ والتَّقوى.

إنَّنا لو نصرناها لنصرنَا الله، ولو أعناها لجازانا الله خير الجزاء، وأكرمه وأزكاه، ولو أنقذنا من هاوية الحاجة، لأنقذتنا من ورطة الجهل والعبوديَّة، والشَّقاء الذي صرَّنا نحسبه ضربَة لازب علينا كمسلمين ولسمت بنا إلى مقر ألسها.

ولكنَّ الاستعمار الذي يفرّق بين الأخ وأخيه، وبين المرء ونفسه، كرَّهنا فيها، فلم تحببنا وعاديناها فلم تصادقنا، ونافقناها فلم تخلص لنا، فبقينا في الدَّرك الأسفل من الحياة.

أيُّها الشَّعب الكريم، إنَّنا في أسوأ الحال، من الجهل، وضعة النَّفس، وفساد الأخلاق، وقلَّة المروءة، ومع ذلك، فكلَّما دفعت الأريجية فريقا فحاول بناء مدرسة، ورجا أن يحاط بتشجيعات إخوان قاومه سيَّاج من العوائق يتحدَّاه، ولكنَّه – والحمد لله – كثيرا ما ينتصر، فمتى يعرف الشَّعب قدر هؤلاء الأفذاذ، ويقتدي بفعالهم؟ ومتى نرى للعلم دُورًا وقُصُورًا، يتَّخذ منها جميع أبناء الأمَّة وبناتها قبلة لهم، في مغداهم، ومراحهم، وإنْ أمَّة يتنافس أفرادها في خدمة أبنائهم لجديرة بأن تجد طريقها إلى المجد سهلا، إذ هم الذين يستطيعون تمهيده.

ومتى تعرف الجزائر عضال دائها، فتعلن التَّعبئة العامَّة، لقطع دابر ألدّ أعدائها وهو وباء الجهل عامَّة، والجهل بكفاءاتها خاصَّة، فتفوز الفوز العظيم، وما ذلك على الله بعزيز.

أثر الكتابة لإحيائية في مقالات ليلى بن ذياب.

مع أنَّ الظَّاهر الغالب من هذه المقالات هو اختيارات من نماذج كتابية أخرى، كانت تجتهد في انتقائها من عيون الكتابة العربية حسب اعتقادها؛ إلاَّ أنَّ هذا الاختيار في ذاته يعكس مستوى الوعي الذي بلغته الكتابة النِّسوية، وطبيعة الاختيارات اللُّغوية، وبغضِّ النَّظر عن مضامين هذه المقالات التي كانت في مُجملها حول تعليم المرأة وإصلاح وضعها الاجتماعي؛ فقد كانت لغةُ هذه المقالات مباشرة بسيطة في غير ابتذال، راقية دون تكلُّف، كما أنَّه كان اختيارا يتناسب مع لغة مدرسة الإبراهيمي البيانية، والتي تكوَّنت فيها جميع الأقلام الصُّحفية النِّسوية خلال هذه الفترة، من تاريخ الجزائر، ويعكسه استخدام العبارات القصيرة قاصدا وضوح الفكرة دون الإسراف في الصَّنعة اللَّفظية، وذلك في مثل قولها في المقال الأوَّل: "والمرأة هي قوام المنزل، وربَّة الدَّار، وأمُّ الأشبال، ودعامة الأسرة، وهي القدوة **الحسنَة** لأبنائها إذا **صلحت**، و**السيّئة** إذا **طلحت**، وهي المسؤولة على إسعاد أطفالها، ومراعاة

نظافتهم وصحَّتهم". أو قولها: "ولا نسمع لقول الذين يقولون أنَّ التَّعليم ليس من شأن المرأة، ولا يليق بموقفها، فإنَّهم قد **أخطأوا خطأ عظيما لو كانوا يعلمون، وضَلُّوا ضلالا مبينًا لو كانوا يفقهون**". أو في مثل قولها في المقال الخامس: "نعم قد نَتسَامحُ قليلاً فنَترك بعض المَيادين للمرأة فتكون معلّمةً فاضلةً، وطبيبَةً حاذِقةً وكاتِبةً بَارعةً، وشاعرةً غريدةً، وصحافيَّةً ماهِرةً، ومصوّرَةً مفتنَةً، ومشَاهدةً كيفَ أنَّ النَّجاحَ يَكونُ حليفَها" وهي وإنْ استخدمت المقابلة أو الطِّباق أو الجناس طباق إيجاب: الحسنة ≠ السيئة، العلم ≠ الجهل، جاهلة ≠ متعلمة، قنوط ≠ رجاء، الأرض ≠ السماء. والمقابلة: القدوة الحسنة لأبنائها إذا صلحت ≠ السَّيئة إذا طلحت، والجناس النّاقص: مربيات ≠ ممرضات. فقد كان ذلك كلُّه في حدود استخداماتها اللُّغوية العابرة فلم تتعسَّف فيها، بل كان تركيزها على الفكرة دون إهمال اللَّفظ.

وأمَّا عن اختياراتها من المقالات التي كانت تنشرها بين الحين والآخر، فهي وإن كانت ليست من إنجازها فإنَّ هذا الاختيار في ذاته يعكس توجُّه الكاتبة ابن ذياب اللُّغويّ، ويكشف لنا ذوقها الأدبي، فهي قد انتقت مواضيع ذات طابع اجتماعي وثقافيٍّ، لكنَّها كانت مقالات ذات بنيات لغوية تتناسب مع الشَّكل الكتابيّ الذي كان غالبا على الكتابة الصُّحفية يومئذ ومن ذلك ما صرَّحت به من انتقائها نصَّ والدها المعلِّم، والذي أعدَّه حوارا شبه مسرحيٍّ لتؤديه تلميذتان بمناسبة المولد، فهو يقوم على الحوار بين زهرة ومختارية. ولا يخفى ما في طريقة الحوار من فعالية في اكتساب المتعلِّم للُّغة، وذلك من خلال الممارسة الفعلية لها.

كما أنَّها في تقديمها لهذه المختارات لا تقف موقفا سلبيا ناقلا؛ بل تقدِّمها تقديما إيجابيا مفيدا، من ذلك تقديمها لقصيدة إيليا أبي ماضي "هدايا العيد" في المقال التَّاسع، وما تضَّمنه من عبارات راقية وأسلوب متين، وتختمه بعبارات مماثلة، وبتضمين لاقتباس قرآني ذكي في

قولها: "وسلامٌ عليكَ يومَ ولدتَ، ويوم نبَغتَ، ويومَ شرَّفتَ الشّعر بهذه الشّذراتِ" أخذا من قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ [مريم: 15] وهو اقتباس لم يقتصر على مثل هذه المناسبة في التَّقديم، بل هو ما تعتمده ليلى بن ذياب في غير هذا الموضع، كما في المقال العاشر "السَّنة الدِّراسية الجديدة" وجاء فيه: "وجدّوا كدّوا فستُسقَوْن بعد النّصب كأسا دهاقا سلسبيلا لن يرشفكم إياها غير المعلمين" وهي ألفاظ قرآنية واضحة ﴿وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا﴾ [النّبأ: 34] و ﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨﴾ [الإنسان: 18].

إنَّ ما طبع أسلوب كتابة ليلى بن ذياب هو تمثُّلها الواضح لأسلوب الكتابة الإحيائية العربية ذات الامتداد التُّراثيّ، وبخصوصيتها الجزائرية التي وضع لمساتها الشَّيخ الإبراهيمي.

سادسا: فتيحة لقورصو

مقال: حولَ تأسِيس مدرسَة عائشة بتلمسان[1]

أبَت همَّة التِّلمسَانيين إلَّا أن يكُون لهُم الفَضل فِي ابتِكار أحسَن وَسِيلة لتقويَّة الرُّوح المعنَويَّة في الجَزائر وتشجِيع النُّفوس الجَامِحة، وتَأييد العُقول الطَّامِحة. فقَد ركَّزوا فِي أرضِهم الزكيَّة مدرسَة عربيَّة للمَرأة المُسلِمة بجَانب مدرسَة دار الحَدِيث وأطلَقوا عليهَا اسم "مدرسَة عائشة" تخلِيدا لِذكر أمِّ المُؤمنِين (رضِي الله عنها) العَالمة العظِيمة والزَّوجَة الكرِيمة التي انفرَدت برِواية الحَديث والتِي قالَ عنهَا ﷺ "خُذوا نِصفَ دينِكُم عَن هذه الحُميراء" وكَفَى تِلمسان فخرًا هذا الاسم الجَمِيل وهَذا التَّفاؤُل الجَليل.

[1]– فتيحة القورصو، حول تأسيس مدرسة عائشة بتلمسان، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الاثنين 25ذي الحجّة1371هـ – 15 سبتمبر 1952م، مج 5، ص172.

إنَّ تِلمسَان ليسَت مِن الإصلَاح تاجا مذ أسَّسَت دَار الحدِيث المَعمُورة وفَتحَت أبوابَها جَمعيَّة العُلماء المُسلِمين الجَزائِريين للنَّشء (بنِينَ وبَنات) لِيأخذ مِن منَاهِل العِلم النَّقيَّة وليُثقّف عَقلَه ثقَافة عربيَّة إسلَاميَّة حَتى يتَمكَّن مِن ارتِقاء ذرى المَجدِ الإنسَانِيّ بجَانب الأمَم الحيَّة ، لأنَّه ليسَ مِن المَعقُول أبدًا أن يرتَقي شَعبُ ما ذروة الكَمال والمَرأة فِيه قَعيدة البيت وسجِينة الحَياة، وهِي كَما لا يخفَى أصلُ كلِّ صَلاح إصلاحٌ فِي الأُسَر والعَائلات ثمَّ في الشُّعوب والأمَم.

لقَد بذَلت المَرأة جُهودا جبَّارَة فِي التَّعليم وصَارت تخطُو خُطوةً كبِيرةً في التَّقدم والرُّقيّ هدفُها الوَحيد وغايتُها الفرِيدة نهُوض المَرأة المُسلِمة إلى المُستوى المَنشُود وردِّ مجدِها التَّليد.

وإذَا كانَت تِلمسَان تتحسَّر عَن تارِيخِها القَديم المَحفُوف بجَلائِل أعمَال علمَائِها الأبرَار وفُقَهائِها الأخيَار أمثَال ابنِ خلدُون وابن خميس والمرَازيق وغيرهِم، مَع عَبقَرياتها الرَّائعَة وحضارتِها البَاهِرة التِي جلَّلها غُبَار المُستعمرين ردحًا مِن الزَّمن فقَد أحَاطتهَا دارُ الحَديث وأعمَالُ فتيَاتِها بِهَالة مِن الإكبَار والإجلَال التِي تجعَلُها تمتَاز عَن البُلدان جَمِيعها فِي القُطر الجزائِري وتجعَل جوهرَتها تتَلألأ وتُشرِق فِي جَبين المَغرب.

نعَم لقَد كانَت المرأة التِلمسَانيَّة مثالاً كامِلا للإخلَاص فِي العَمل لوطَنِها المفدي وقُدوة حسَنة فِي حسن السُّلوك والاستِقامَة فِي القَول والعَمل. ولا سِيَّما في الحَقل الثَّقافي الذِي تطَوَّرت فِيه تطوُّراً محسُوساً واجتَازت فِيه مَراحِل عدَّة وأخَذَت شَطْرًا وافرًا مِن العِلم والعرفَان وهَا هِي قد فَازت وانتصَرت انتِصارا باهِرا فأصبَحت منها المُعلّمة ومِنها الواعِظَة المُرشدة ومِنها... ومِنهَا... وهِي الآن تسِير سَيرا إلَى الأمَام علَى ضَوء الهدى السَّاطع اللَّمَّاع تشَارك الفِتيان مُشَاركة فعَّالة فِي كُلِّ ما فِيه خَير البِلاد وصَلاح العِباد. وهَا هِي كَذلك تتدرَّب على الكِتابَة في جَرِيدة "البصائر" الغرَّاء لسَان حَال جمعيَّة العُلماء الجَزائِريين لتكُون نمُوذجا صالحًا لأخَواتِها فِي القُطر الجَزائري، وعُضوا عامِلا فِي المُجتَمع الإنسَانِي تقتَدِي لَها جمِيع فتَيات المُستقبَل وتتَسابَق كُلٌّ منهُن فِي مَيدان تُوقد الفِكر وشحذ

العزِيمة والفَضل كُل الفضلِ لمُعلّمي دار الحَدِيث الذِين وَجهوا أكثَر عِنَايتهم للجِنس اللَّطِيف، ولَم يدَّخرُوا جُهدا ولَا إخلاصاً فِي تعلِيمه وتَهذِيبه عَلى الوَجه الأكمَل. ثُم نُخصّص الفَضل الجَميل إلَى مُديرِها المِفضال محمَّد الصّالح رمضان الذِي كَان آية فِي الحِكمةِ وحُسنِ التَّدبيرِ والإدَارةِ.

سابعا: زهور ونّيسي

نبذة عن الكاتبة زهور ونيسي: ولدت في ديسمبر 1937 أو 1936م وفقا لمصادر أخرى في مدينة قسنطينة، في شمال شرق الجزائر[1]، سيَّاسيَّة وكاتبة جزائريَّة، شغلت سابقًا عدَّة مناصب منها: عضو مجلس الأمَّة الجزائري عام 1997م. – وزيرة الشُّؤون الاجتماعيَّة عام 1982م. – وزيرة التَّربيَّة الوطنيَّة لمدَّة سبع سنوات. وتعتبر أوَّل امرأة تعيَّن بمنصب وزير في الجمهوريَّة الجزائريَّة بعد الاستقلال، من مؤلَّفاتها: (عجائز القمر سنة 1996م، الظِّلال الممتدَّة سنة 1985م، على الشَّاطئ الآخر سنة 1974م، الرَّصيف النَّاعم 1967م.[2]

المقال الأوَّل: سلام باي يحتَفل بشهر رمضان[3]

أقيمت بمدرَسة الصَّادقيَّة بحي سلام باي العامر حفلتان رائعتان، الأولى كانت خاصّةً للرّجال حضرها أمين مال جمعيَّة العلماء ومدير مركزها فضيلة الشَّيخ عبد اللَّطيف سلطاني والكاتب العام للجمعَّة الأستاذ توفيق المدني الذي خطَبَ فيها خُطبةً هزَّ بها المشاعر وحرَّك النُّفوس الرَّواكد وصقلَ العقول الجامدة، واستمرَّ في خطابه أكثَر من ساعةٍ يجلى للسَّامعين دوافق التَّاريخ ويستجلي لهم من وقائعه العِبَرَ ويحثُّهم على اتباع خطى الأجداد فيما قدَّموه للعباد والبلاد، وكان ما

[1]– موقع على الأنترنت: https://www.wikiwand.com. اطُّع عليه في: 10 ماي 2023م، 15.00.

[2]– موقع على الأنترنت: https://manhom.com. اطُّلع عليه في: 10 ماي 2023م 15.30.

[3]– زهور ونيسي، سلام باي يحتفل بشهر الصّيام، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 24 شوال 1373هـ – 25 جوان 1954م، مج7، ص48.

اشتملت عليه الحفلة رواية مدرسيَّة قام بتمثيلها بعضُ تلاميذ المدرسة، ومحاورات وخطب وقصائد وأناشيد جعلت النَّاس يحيون في جوّ مفعم بالمعاني الرُّوحيَّة والأدبيَّة ردحًا من الزَّمن كما جعلَهم يستجيبون عن طيبِ خاطرٍ ونَفسٍ سخيَّة لمَّا أذّن مؤذّن التّبرُّعات طالبًا الإعانة لمَسجد الحي فجمع ما شاء الله من أهل البرّ.

والثَّانيَّة أقامتها معلّمات المَدرَسة بمشاركةِ التلميذات العاملات وقد كانت حفلة رائعة بذلت فيها الجهود العظيمة لتكون حفلة جديدة من نوعها مثَّلت فيها روايةً شيّقةً يبحثُ موضوعها في الدّين والأدب والأخلاق الإسلاميَّة والتَّربيَّة السَّاميَّة التي تكوّنُ النَّشء وتُسعدُ الجيلَ الجديد، يدور الدَّوران الرَّئيسان فيها: بينَ المرأة التي تحافظ على الدّين الإسلامي والأخلاق المحمَّديَّة والتَّمسُّك بالشَّريعة السَّمحة، والمرأة التي لا يرضيها ولا يهجُّ نفسَهَا إلا التبرُّج والسُّفور وحبُّ النَّفس الشرّيرة والاشمئزاز من أوامر الدّين والشَّرع. بين المرأة التي تستعد وتقترض للذّهاب إلى المسرح أو (الاوبرا) على حدّ تعبير الجزائريّين. وكانت الرّواية شيّقةً حقًّا إذْ تمَّ النَّصرُ فيها لمن تمسَّكت بعقيدة الإسلام الثَّابتة واختارت المَسجد عوَضَ المسرح. وكان الخذلان نصيب من سحرتها أضواء المسارح والمراقص وشَغلت قلبَها وأعميت بصيرتها بهرجة الحياة الدُّنيا عن التفاتات إلى دينها القويم السَّامي على كلّ الأديَان.

وقد أقبلت النّساء الجزائريَّات والعائلات الكبيرة من كلّ حدبٍ وصوبٍ أتينَ للتَّفرُّج على تقدُّم أختهنَّ المرأة المسلمة، واعتمادها على نفسها بإقامة الحفلات وتأليف الرّوايات وبثّ العلوم والمعارف في عقول الجاهلاتِ. وبعدَ الانتهاء من الرّواية ذات الثَّلاثة الفصول ألقيت محاورة رائعة من بين المحاورات دارت بينَ المثقَّفة بالعربيَّة والمثقَّفة بالفرنسيَّة وقد ذكرت فيها أعمال وجهاد رجال جمعيَّة العلماء الأبطال وما تحمَّلوا وذاقوا من عذاب واضطهاد لا من المحتل فقط بل من أفراد وجماعات

وأحزابٍ ثارت من هذه الدَّعوة الإسلاميَّة النَّاهضة ورضيت بالذُّلّ والهوان تحت ظلّ الاستعمار الغاشم.

وأخيرًا ألقي النَّشيد القوي الجزائري" شعب لجزائر مسلم" ردَّدته السَّيّدات والبنات في حمية وإيمان وانتهى الحفل.

المقال الثَّاني: حول كارثة الأصنام[1]

"إلى التي استهانت بعذاب الله"

لا شكَّ أنَّ الله أجلَّ عذابَه ونِقمَته علَينا وجعلنا من المُنظَرين، ولكنَّنا لم نشَأ إلَّا أن نكون من المغضُوب عليهم في الدُّنيا قبل يَوم الدِّين، ولم نجعَل لذلك حسابًا، شاء الله أن نكون أمَّة النُّورِ والهِداية فأبَينَا إلَّا أن نكون أمَّة البغي والضَّلال، أمرنا بأداء واجب الله فكفرنا، ووجّهنا إلى الطَّريق القَويم فاخترنا الأعوج ونُهِينا عن الفواحش والمحرَّمات فتعمَّدنا فعلها فهل هنالك ما هو أعظم وأفضحُ من الخيانة والكذب وأكل مال اليتيم بالبَاطل والنَّهب والتَّبرُّج والاستهزَاء بأوامِر الشَّرع القائمة عليها الدِّيانة الإسلاميَّة، فمَا رأيك أيُّها القارئ الكريم في فاعل كلّ ذلك دُون اكتراث ولا مُبالاة؟ إنّه الرَّجل والمرأة معا، ولكنَّني أخصُّ بكلامي هذا المرأة الجزائريَّة الضَّالة، الحائدة عن الطَّريق المسطَّر لها من أقدَم العصُور، إنَّها المَرأة التي لم تَعرف وَاجبها في هذه الحياة واستَطاعت بضَلالها أن تجعل من الحِجاب السفور، ومن التَّدين التَّبرج ومن الإخلاص الخِيانة، ومن الطَّاعة العصيان ترى هَل لم يطرق ذهنها تحريمُ كلِّ ذلك دينا وأخلاقا وإنسانيَّة؟ لا بل سمعت وعرفت وتعرف مثل كل أحد، ولكنَّها تعلَّمت وتجَاهلت وعلَّلت نفسَها بالمغفرِة والثّواب، بقولِها الذي صار قاعدة في النار إنَّ الله غفورٌ رحيم، ولم تدرِ أنَّه شديد العقاب.

[1]– زهور ونيسي، حول كارثة الأسنام:" إلى التي استهانت بعذاب الله"، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 11 صفر 1374هـ – 8 أكتوبر 1954م، مج7، ص145.

وها قد شدَّد الله عقابه وأنزل سخطه وغضبه في الدُّنيا قبل الآخرة، فانظُروا إلى بلدة الأصنام المنكوبة وما حولَها من القُرى والمدَاشر كيف أصبحت بين ليلة وفجرها دمارا وخرابا، وألوفٌ مِن الخَلق فيها أمواتا تحت الأنقاض لا يحصي عددهم إلا الله، والبقية الباقية تتضرَّع إلى الخالِق القهَّار فهذه ثكلى تندب أبناءها وتلك فتاة تبكي أهلَها وهذا أب يتَألَّم ويبكي جُور الزَّمان وأهله أمامه مشوَّهُون وهؤلاء أطفال يقطّعون الأكباد ويفجِّرون الصَّخر ببكائهم المتعالي المتقطِّع بين محتضر ومتوجِّع بَاتُوا ينعَمون بعطف آبائهم فأصبَحوا لا من عاطف ولا من مُجير إلَّا من عطف القدير الذي إذا قضى أمرا فإنَّما يقول له كن فيكون.

هذه هي النَّكبة العظِيمة والمصيبة التي يَجدر أن يؤرّخ بها كمَا أرّخ بالطوفان والتّدمير، لكنَّها لا تساوي شيئا من عذاب يوم القيامة بل هي مثل من الأمثلة التي أنزلها الله على قوم إسرائيل أنزلها علينا نحن الكافرين بالنّعمة المستضعَفين لقوَّته وجبروته لعلَّنا نتفكَّر واجِبنا ونؤمن الإيمان الصَّادق ونتَّجه بكلّيتنا إلى القيَّام بالوَاجب العظِيم عسَى الله أن يغفر لنا ذنوبنا ويكفِّر عنَّا سيِّئَاتِنا ويجعَلنا من المُؤمنين الذين لم يَحيدُوا عن أمره وسنَّةِ رسوله الكريم هذه الكلِمات التي لم تخرُج من فمي إلَّا بعد أن تقطَّع قلبِي وانهَمَرت دُمُوعي على هذِه الحالة المحزنَة التِي آلَت إليها أُمَّتنا المنكُوبة وإخواننا المقِيمون في العَراء وطاؤُهم الأرض وغِطاؤهم السَّماء فعسَاكِ أن تكفّري عن خطِيئتك وتستَغفري عمَّا جنيتِه وتنظُري إلى هَؤلاء البُؤساء نظرةَ العطفِ والإحسان والأخوَّة ومن بسط الله عليها خيره فلتتبنَّ من هؤلاء الأيتَام ولا تتركهم في الملاجِئ مُهمَلين حتى لا يتأتى اليوم الذي يغدو فيه كل يتيم منهم عرضة للضَّلال وأنَّ الله يكتبُ لنا ما نقدِّمه من عمل صالحٍ، لا ما نحن فيه من استمتاع بالحياة وتماد على الخُسرَان، فالبدار البدار قبل وقُوع العَار، وارحَموا من فِي الأرض يَرحمكُم من فِي السَّماء وما الثَّواب إلَّا من عند الله. فلنبرهن عمَليا عن محبَّتِنا واتحادِنا مع إخوانِنا المُسلِمين.

المقال الثّالث: المرأة الجزائريّة والتّمدُّن[1]

منذ رأت المرأة المسلمة الجزائريَّة غريمتها الفرنسيَّة بزيّها الزّاهي وزينتها ومشيتها وحركاتها تساءلت في نفسها: ترى كيف حتّى صارت أمارات التّقدُّم والتّمدُّن والرُّقي باديَّةً واضحةً على وجهها البوح، وفي قوامها الممشوق؟ ما برح هذا السُّؤال الحرج يُرَاود فكرها الضَّعيف الذي لا يفقهُ من معاني الرُّقي والتّقدُّم شيئًا، بل عندما اهتدى إلى هدفه وبغيته المنشُودَة، عرفَ هذا الجواب الذي تعدُّه هي مقنعًا – وهو أنَّ التّقدُّم في تقليدها للأجنبيَّة في اللّباس والحركة والقوام والتَّرويحِ عن النَّفس في يوم الأحد الذي تنتظرهُ بفارغ الصَّبر لتنجو من أعمالها المنزليَّة طيلةَ الأسبوع بالتَّنزُّه سويعات في شوارعِ الجزائر المغريَّة!!! ليس لا. ولم يطرق ذهنها يومًا أنَّ جوابُها يمت إلى الحقيقة المرَّة بصلةٍ بل تمادت في غيّها وجعلَت من تمدُّنها المزيف طبقةً كثيفةً يخالها الغرّ من الدَّلائل والتّقدُّم والرُّقي، وكلُّ الجزائريَّات يُؤمنَّ أنَّ هذا هو المعنى الأصَح المُقنع لتلك الكلمتين السَّاميَّتين، فاقتدين بالفرنسيَّة في كلّ شيء حتَّى في اللُّغة، اللّغة التي تغلَّبت على اللُّغتين العربيَّة لغة آبائهنَّ وأجدادهنَّ.

ترى المرأة تتكلَّم بالفرنسيَّة وفي إشارات يدها وحركاتها الكبريَّاء، وفي لهجتها زهوٌ وفخر، كأنَّ كلامها ذلكَ هو ما خلّفاه لها خديجة وعائشة من لهجات الضّاد الرَّنَّانة الفصيحة! أهذا هو الرُّقيُّ أيَّتُها المرأة؟ كلَّا إنَّك لعلى ضلال.

أبكلامك واقتنائك للأزياء الإفرنجيَّة للموداتِ الشَّهيرة تنالينَ التَّقدُّمَ والرُّقي؟ إنَّك مُخطئة في اعتقادك هذا لقد شعرت بتقليد الأعمى، إنّك سرت وتقدّمت خطوات ينعة نحو التَّقدّم والحريَّة، ولم تعلمي أنَّ الشَّخص الذي أعجبت به إنَّما فعل ذلك من غير أنْ يتحرَّكَ دينهُ ولباسه القومي ولُغتَه

[1]– زهور ونيسي، المرأة الجزائريَّة والتَّمدُّن، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2 ربيع 1374هـ – 29 أكتوبر 1954م، مج 7، ص172.

التي لا يرضى أنْ يتْرُكها ولو ماتَ فداها فهل رأيت مرَّة أجنبيَّة تتكلَّم لُغتكَ بغير ضرورة؟ طبعًا تجيبينَ بالنَّفي إذن كيفَ أتَاح لك ضميرك الشَّاذ القناعة بذلك الجواب المُخطئ عن التَّقدُّم والرُّقي؟

إنَّ التَّقدُّم تستطيعين أن تبدئي به في بيتك وأولادكِ فتُربّيهم تربيَّة معنويَّة وتوجّهيهم نحو العُلى والحريَّة – وتجعلي من بيتك الصَّغير مملكةً يزيّنها العدل والحكمة والأدب–

إنَّ ما تشاهدينه من تمدُّن الفرنسيَّة في الخارج تجدينه في الدَّاخل في منزلها الذي أسَّسته على النّظام والتَّربيَّة والنَّظافة والأدب فلديها في هذه الأخلاق الرَّفيعة التي اقتبستها من أخلاقك الإسلاميَّة وجعلتها أساسها في هذه الحياة – بينما أنت في جهل عنها وهي الأخلاق التي أنار بها نبيُّك الكريم.

بهذا كلُّه تستطيعين أن تشقّي طريقك الشَّائك نحو التَّقدُّم الحقيقي إنَّ أمَّتك تريد منك أن تربي لها أبناء يستطيعون الدّفاع عنها في يوم من الأيَّام بأقلامهم وأنفسهم ولم تطلب منك تقليد الأجنبيَّة في الزي وتطمئنّي بذلك إلى الصُّعود إلى الفلك!

إنَّ الانتساب إلى الإسلام ولغة القرآن والأخلاق الفاضلة ليست في المظاهر البرَّاقة بل هي في التَّحلّي بالعُلوم والمَعارف والأدب فذلك هو الرُّقي بعينه وحقيقته لا بخياله الذي تنعكس أشعَّته عليك عندما تقلّدين الفرنسيَّة التي لم تفعل ذلك إلّا بعد ما رأت الاستقلال يمر وطنها ويمنحه العزَّة والسُّؤدد والقوَّة كفاك من ذلكَ وحاولي أن تعرفي كيف حصلت خديجة أم المؤمنين على الفخر والمجد فنالت الرُّتبة السَّامية في الأمَّة الإسلاميَّة – وكيف حصلت عائشة رضي الله عنها على التَّفقُّه في الدّين ومعرفة أسرار القرآن ستلقين كلَّ ما تبغين من المعاني الرُّقي والمجد الحقيقة السَّاميَّة الصَّعبة المنَال أمَّا اتجاهك هذا فسيؤدي بك إلى مالا تحمد عقباه، إلى مصير لا تتوقَّعينَه: خراب العائلة. وخسران الزَّوج، وظلال الأولاد. الذين نبني عليهم اليوم آمالنا الجسام.

حذار من مواصلة السَّير في هذا الطَّريق الأعرج الذي لم نقدم على إنجازه إلا للمستهترات العابثات أو بمعنى أصح الحائدات عن الدّين الإسلامي والأخلاق الحميدة.

وانظري إلى الحقيقة بعين الرُّؤية واجعلي دستورك في الحياة الدّين والعلم وخلق القرآن.

المقال الرَّابع: إلى الشَّباب... [1]

من هُم شبابُ الجزائِر اليوم؟ أهُم أولئك الأقويَّاء الأجسام والعقُول، أهم أولئك الأبطَال المملوءة قلوبهم حميَّة وغيرة على الشَّرف والحمى، أهُم أولئك الذين تفُور قلوبُهم بدمِ الحَمِيَّة والغيرة ومظاهرهم تنبئ بالقوَّة والفتوَّة؟ كلا.

بل هذِه صفاتٌ كانت تعرف في شباب غَابر كان منذُ مئات السِّنين يحمِلُ بين جنبَيه المعنى الأصح لكلمة الشَّباب الغالية، أمَّا اليوم فاعكِس الصِّفات أيُّها القارئ الكَريم تجِد ما لم يكُن في الحسبان شبابا مائِعا عقُولهم كأجسَامهم الضَعيفة لا يملِكون في أفئِدتهم مثقالَ ذرَّة من الغِيرة على جِنسهم ودِينهم.

شبابٌ قلَّ ما تجِدين جَنبي أحد منهم قلبا وثَّابا يحاول رفع نير الذُّل والهَوان الذي أثقل كاهل وطنه المظلوم حتَّى صار على قاب قوسين أو أدنى من الهلاك ذلك هو شبابنا الذي لم يتذوَّق طعم الحياة وعِندما أراد تذَوُّقه انخدَع بالرَّغوة والفقاقيع فجَرى ورَاءها وترَك ما ينفعُ النَّاس.

مجالِسهم الحَانَاتُ والمقاهي والبارَات يحلُمون بالسَّعادة وفي ظنِّهم أنَّ جميعَ إخوانِهم المُسلمين لم يصل بهم قِطَارُ الحَياة إلى تلك الأمكِنَة يرى الشَّباب المَناظِر المُنكرة تدُور أمامَهُ ولا يتحرَّك قلبُهُ وضميره الميِّت لِتلك المَنَاظر المُشينة المذلَّة للدِّين والإنسَانية هَذا هو شَبابُ اليَوم وهذه هي حقائقه جليَّة أمام العَيان لا تَحتاج إلى وصفِ كاتب فما أحوج مجتمعنا إلى مزبر يقطُّ هاتِه الأعراف

[1]– زهور ونيسي، إلى الشباب، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 12 ربيع الثاني 1374هـ –17 ديسمبر 1954م، مج 7، ص215.

المعوجَّة والأغصان المتعرِّضة، وقد يشكُّ القارئ أنَّني أعنِي الرِّجال فقط والحقيقةُ التي عندما أتذكَّر حَال فتياتِنا اليَوم أقَع في شِبه مأزق فلا فكري يحتمل الكتمان ولا قلمِي الصَّغير يستطيع التَّعبير.

إنَّهنَّ سواعِدُ الشَّياطين اليُمنى ومصدر الشرِّ والخَراب اللَّاحِقين بهذه الأمَّة المسكِينة، تجِدهنَّ لا يفقهنَ شيئًا من حقّ البلاد واللّغة والدِّين، همُّهُنَّ الوحِيد الجري بجشع خلف الشَّهوات والأمَاني الزَّائفة فكأنَّ الحَياة صيدٌ وهُنَّ الصَّائدات يرمِينَ السَّهم ولا يصبنَ الهَدفَ وتتكرَّر العمليَّة إلى أَن يقعن في الهَاوية السَّحيقة التي ما بعدَها مِن نجاة.

تعَارفهُن وزيارتهُن لا تحمِل معها هدايا إلَّا الغِيبة والنَّميمة والدَّمار والخراب عِوض السَّعي في إيجَاد أسباب الاتِّحاد.

فِي الوَقت الذِي توصَّلت إليه الغَربيَّة أو الشرقيَّة إلى الصُّعود في الجوِّ والخَوض في مَعركة الحياة الحقيقيَّة فوَقفت مَع الرَّجل جنبًا إلى جنبٍ مشترِكين في العلم والثَّقافة التي تيسِّرُ السَّبيل لتنشئةِ الجيل الجديد على الأخلَاق التِي تتطلّبُها منهُما الأمَّة والحَيَاة، نجدُ الجزَائريَّةُ تتمرَّغُ على سَريرِ الجَهل أو الأصحُّ على سرِير التَّجاهل والتَّغابُن، ألم تتّعظ بمَا قاسَت بعد السُّبات العمِيق من ذلّ وهَوان يوم كانت لا تفرّق بين النُّور والظَّلام، أمَّا اليوم فقد فرَّت – والحمد لله – ولكن التَّفرنُج هو الظَّافر والمحافظة على الجنسيَّة هي المخذُولة المنهزِمة، كيف لا والتَّقليد الأعمى طَغى على العُقول والأفئِدة تركها ضحيَّة ملوَّثة.

إنَّ فتيات الجزائر تظاهرن بالمَدنية والتَّعلُّم ونَسَبن الكسَل والخمُول لنِساء العهد الماضي ذلك العهد الزاهِر الذي كان يضمُّ نساءً طَاهرات الأرواح والأجسام مُضحيَّات بالأشبال والأبطال في سبِيل الله والبلاد والشَّرف العزيز الغَالي والشَّاعرة الخنساء دليلٌ واضحٌ على ذلك ومَثَلٌ من مُثُلِ الإيمان والعصمة والتَّضحية، يقولُ كلُّ جاهل للحقيقة أنَّهن أمل المستقبل ورجاء الأمَّة اللائي تُبْنَى

عليهنَّ آمالُ الأمَّة وأحلامها السَّعيدة ولكن سُرعان ما تذهب أحلامُهُ أدراجَ الرّياح عندما يطرُق باب الحقيقة ويتسلَّل باحثا منقبا أو مارّا مصَادفا!!.

المقال الخامس: فائدة العِلم العمَل[1]

ابتُلينا نحن مسلمِي العصر الحَديث بكثرَة القولِ وعدم العَمل، نعم فلو أنَّ كلَّ ما ورثناه من آيات كريمة وأحَاديث شريفة طبَّقناها بالفِعل كما كرّرناها بالقول لما آلَت حَالتُنا إلى مثل هذا ولكنَّا خير أمَّةٍ أُخرِجت للنَّاس حقيقة لا شكَّ فِيها. ولكَانت لنَا نعمَ المُعين والنَّصير كما كَانت يُستعَان بِها ويتَّبع هُداها في ذلك العَصر الزَّاهر عند الحُروب والمصَائب.

لأنَّ في القرآن والحدِيث مَا يُغنِينا عن جَميع الأخلاق وما الأخلاقُ الفاضِلة الهاديَّة إلى سواء السَّبيل إلَّا القرآن والحَديث لا شيء آخر عداهُما، ولكنَّنا اكتفَينا بالقولِ وتكراره وغرسه في العُقول لجيل بعدَ جيل ولم نطبِّق منهُ شيئا تطبِيقا ملموسا، ولم نستخرِج منه اللُّباب والنَّفع والفائِدة التي ما بعدَها مِن فائدة عرفنا أنَّ القرآن فِيه كلّ الدّين والعلم والحياة وعلمنا أنَّه أُنزل لمُحاربةِ الأخلاقِ الرَّذِيلة التي أخَذت مكانَها في قُلوبنا ولكنَّنا لم يخطُر بِبالنا يوماً أن نحلِّل ما حلَّله ونحرِّم ما حرَّمه عرف كلّ واحد منَّا واجِبه المقدَّس نحو أمَّته فللرَّجل واجب وللمرأةِ واجب وللفتاة أكبرُ الواجِبات.

سوفَ يُدهش القارئ الكرِيم من كلمَتي هذه ولكن سُرعان ما يسترجع هدُوءه عندما يعلم – وهو أعلم بذلك منِّي – أنَّ الفتاة هي الرُّكن الوحيد الذِي يعوَّل عليه في إنشَاء جيل متَّبع لأخلاقِ كتابه الكريم وأحادِيث نبيِّه الشَّريفة.

نعم سوف تتثقَّف وتكبُر وتنشئ مجمَّعا صغيرا في بيتها تكون هي القائدة فتسيُّره كما شاءت لها ثقافتُها وتعليمُها ومدنيَّتُها هذا هو الأمَل الوحِيد للنُّهوضِ بهذهِ الأمَّة الذَّاوية، وما أسرع ما يذهب

[1]– زهور ونيسي، فائدة العلم والعمل، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 4 جمادى الثانية 1374هـ– 28 جانفي 1955م، مج7، ص267.

هذا الأمل أدراج الرِّيَّاح عندما نرى فتياتنا يقرأنَ ولا يطبّقن ويقُلن ولا يفعَلن فأيُّ فائدة يا ترى من القراءة والتَّعليم؟ يتمنَّى كلّ إنسان أن يكُون له حَقٌّ في بِلاده وأن يكُون سيّد قومِه ومالك وطنه يعيشُ فيه رافع الرَّأس عزيزًا مكرَّما وما أشدّ وطءَ الصَّدمة على قلبِه عِندما يعلَم أنَّ ذلك أضغاثُ أحلام ويفيق من نشوتِه ليُجابِه الحقيقة المرَّة، لا يعمل ويُمنّي نفسه الأماني البَاطلَة التِي تزوَّد دائمًا برصِيدٍ من الحيرة والبلبلَة. لقد كان القرآنُ في عهد النبيّ ﷺ سراجاً منِيرا يأخذ بأيدِي المسلِمين إلى قمَّة المجد والسُّؤددِ بالعمَل لا بالقولِ فكانوا خيرَ أمم عصرِهم وأعلاها وأمجَدها.

وقد عبَّر الفيلسُوف الأكبر الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي حفظه الله ورعاه عن هذا الدَّاء المتأصِّل في قومِه بقوله المؤثِّر: فخالُوكم على البُعد أعمالاً، فوجدُوكم على القُرب أقوالا.

لله دَرُّهُ من حَكيم فذّ في زمَانه، ويجدُر بالفَتيات المتعلِّمات على الأخصّ اليَوم مداواةُ أدوائِهنَّ ومعالجةُ أمراض مجتمعِهنَّ فهنَّ نورُ بنات جنسِهنَّ الضَّئيل في هذه البلاد الفاقدة لنُور الحياة.

فلنَعمل قدرَ طاقتِنا في الأفرَاح والأتراح والاجتِماعات والحَمامات وكلّ ملتقى النِّساء فنفوز بما نتمنَّاه ولا يَبْعُدُ ذلك إذَا اتَّبعنَا طريق القرآنِ واهتدَينا بفوزِه المُبينِ فنكونَ قدوةً لإخوانِنَا وأُسْوةً حسنةً للجِيل الجَديد.

المقال السَّادس: "إلى النَّاقد..." [1]

قرأتُ في عدد 301 من جَريدة البصَائر الغرّاء نقد المقال الذِي يحملُ عُنوان "إلى الشَّباب" بقلم الطَّالب أحمد. ع.

وإنّي أردُّ بفرحة مبتهجة على ما وُجِّه إليَّ من نقد هو فِي محلّه كما – يزعُم– كاتِبُه.

[1]– زهور ونيسي، إلى الناقد، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 11 جمادى الثانية 1374هـ – 4 فيفري 1955م، مج7، ص215.

أيُّها الأخ إنَّني وصفتُ الشَّباب بوصف لم تَرق لك ألفَاظه عندك وإني كنت قاسيَة في الحُكم على شباب أنت بعِيد عنهُم لا تعرِف عنهم قليلاً ولا كثيرا.

أإذا كُنت – يا أحمد – من المحظوظين المتمتِّعين بالحَياة في بيئَة علمِيَّة لا يحيطُ بِك من حقائق الحيَاة إلَّا الكُتب والعُلوم تخال كلّ الشّباب مثلك ومثل إخوانِك الطّلّاب المحيطينَ بك؟ كلّا أيّها الأخ.

لا تنظر يا أخَ العرَب إلى الشَّباب بمنظار خاصّ يرُوق لكَ، بل انظُر إليه بمنظار عَام يرُوق لك ولِغيرك وقد اعترفتَ بخطِّ يمينك أنَّ الشَّباب إنّما يمضي أوقاتَه في المقَاهي ودُور السِّينما لقلَّة العمل والبطالة فإذا كان عاطلا عنهُ بطالا فمِن أين يا تُرى تأتيه مصارِيف المقَاهي التِي قلت أنَّه يقتل فيها وقتَه... وماله... وعمره؟ من أين لَه المَال يا أخِي وهو عاطلٌ عن العَمل؟ أظنُّ أنَّه يأخذ مصرُوفه من عِند أمِّه التِي تعملُ خادِمة عند اليهوديّة والفرنسيّة وإذا لم تُعطه قال لهَا من الضَّرب والسّبِّ أوفَر نصِيب، أليسَ كذلك؟ إنَّ حُكمي ليسَ ازدِراء ولا تَهكَّمت وإنَّما هو خَواطر درّاس لحقيقة المجتمع وأحوالِه التي يشاهدها صباح مساء.

إنَّني لازلت إلى اللَّحظة التِي تَقرأ فيها ردِّي أرى وأسمَع ويرى معِي النَّاس ويسمعُون الشَّباب لا تتخلَّل كلامه الإفرنجي كلمَة عربيَّة واحدة فأين هذا من تقديس لغتِه، لازِلت أراهُ يشعُر أن ليس له وطن وما وطنُه إلَّا ذاك الشَّبيه بلُغته التِي يتَكلَّمُها فأين هذا مِن الذي يَغار على شَرفه ويموت فِداء وطنه؟ وما كنتُ ناكرةً ولا جاحِدة المجهُودات الإصلاحيَّة التِي يقُوم بها زُعمَاؤنا ومُعلِّمونا في مقالي – فأنا أعِيش في وسطِهم ولولَاهم لمَا كنت أنشرُ آرَائي ولما كُنت تنشر النَّقد! فأنا إذن من المعترِفات بالجميل مدى الحياة.

ومن أين للشَّباب أن يتُوب من خطئه كما قلت بالوعظ وهو يفضِّل مشَاهدة فيلم سينمَائيّ راقص على الاستِماع إلى الوعَّاظ والمرشِدين خيرٌ لك أن تطرُق باب الحقيقة ولا يغرّنَّك الوسط

الذي أنت تعيشُ فيه الآن بين أحضَانه محاطاً بالكُتب والعلُوم والمعارف فأنت في تونس – وكم في الزَّوايا من خبايا – ولا تلُمني أيَّها الأخ على الحسرةِ والبُكاء على المَاضي المجِيد فهُما من شيم بنَات حواء وليس لهُنَّ حتى هَاته السَّاعة سلاح آخر من غيرهما وقديما قال شاعِركم:" كُتِبَ القَتلُ والقتَال علَينَا". ولك معرفة بعجز البيت!

وأخيرا لمْ يكُن كَلامي ذلك معبّرا عن اليَأس مِن الإصلاح وإنَّما هو كشفٌ عن عُيوب عسى أن تُداوى بدَواء مفِيد أنجع مِن الخيال! لا أن تغطِّي الدَّاء! ومن منَّا لا يتمنَّى أن يكون للجزائر شبابٌ يقدّس لغته ويغارُ على شَرفه، تلك هِي آمَالينا الوحِيدة التي تبعثُ فِينا بصِيصًا من الأمل بعد اليَأس المرِير !!

المقال السَّابع: من صميم الواقع: الأمنيَّة...! [1]

رأيته كما رآه المارُّون لكن استلفت نظري دونهم بحالته المحزنة الأليمة المفجّرة للصَّخر. جسم نحيل ضعيف يقف على قارعة الطَّريق العام كأنَّه خيل، يحمل الأسمال الباليَّة الرثة أقدّمها ورِجلَينِ حافيَّتين وشعرًا كثيفًا مسترسلا على الأذنين لم تمسَّه يد الحلَّاق منذ زمن بعيد في نحو العاشرة من عمره. يثقلُ كلَفيه صندوقٌ هو مصدرُ جلب قوته هو أمُّه. فكأنَّه شعارٌ يشعر النَّاس بأنَّ حامله يسمَّى مسح الأحذيَّة! إنَّه منظرٌ محزن استرعى منّي التفاتة حزينَةً حرَّكت مشاعري وأثارت شفقتي وعطفي الشَّديدين الكامنين تحت رصيد من الأسى على إخواني وأبناء وطني وأملي الوحيد.

فتقدَّمت بضع خطوات بدافع غريزي ووقفت أستمع لما يدور من الكلام بينه وبينَ فتى آخر زميلٌ له في المهنة والهيئة. لحظة.. فرأيته يشير إلى صبي يظهر من زيّه أنَّه أجنبي يتزَيَّنه مع أمّه الأرستقراطيَّة وينقطع عن الكلام فجأة ينتظر إجابةَ الصَّبي لأمّه عندما قالت له: هل تريد أن تمسح

[1]– زهور ونيسي، من صميم الواقع: الأمنية...!، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 16 رجب 1374هـ – 11مارس 1955م، مج7، ص311.

حذاءك؟ وما رأيت فرحةً أكثر من التي بدت على مراسم وجه صبيّنا عندما أجاب الطّفل أمّه: أن نعم. وتقدّم "السراج" الطفل إلى غبن المرأة وبدأ عمله بكل إتقان ثمَّ نظر إلى الحذاء وهو يقلّبه بين يديه حتّى أثار انتباه زميله فقال له: ماذا تريد أن تفعل فأجاب: أنظر إليه كم هو جميل! كم يا أخي أتمنَّى أن أملكَ حذاءً مثله، إنّني منذ خلقت لم ألبس حذاء جديدًا لأنَّ أمّي لا تستطيع إلا اشتراء الأشياء القديمة!!! فقال له الآخر اغتنم فرصة انشغال الولد وأمّه بالتَّفرُّج وجرّبه. فقبل ما أتمَّ كلامه كان الآخرُ يلبس الحذاء ويخطو به يضع خطوات وهو يقول: آه أنظر أنظر كأنّه أشتريَ من أجلي – ورفع رأسه إلى السَّماء بهذه الكلمة التي ستبقى ما بقيت: يارب أعطيني مثلهُ!!!

ولو كنت مكاني أيُّها القارئ الفاضل لفعلت مثلي ولسبقتك العَبراتُ قبل أن يتمّ طلبه الغالي حسّيًا ومعنويًا ولكن... أين هو من تلك الأمنيَّة الصَّعبة المنال عنده! وهو الذي لم يخلق إلا ليحمل أثقال الحياة وشقائها منذ الصّغر ليترك الحياة لأهلها ينعمون فيها كيف ما شاءت لهم إنسانيَّتهم الكاذبة!!

نعم لمن يا ترى تبقى المهن الوضيعة؟ لمن يبقى (حمل حقائب المسافرين ومسح أحذيَّة المترفين؟ لمن يبقى هذا كلُّه إذا دخل هو المدرسة وقضى طفولته كما تقضي الطُّفولة: لعب – وتعليم – وسعادة– وحنان؟ لم تكتب له تلك السَّعادة بل كتبت عليه منذ نعومة أظفاره أن يحي حياة الشَّقاء. وأن يحمل مسؤوليَّات كرجل كبير بدأ مهمَّته العظيمة لمَ لا يكون بينَ طلّاب الجامعات والكلّيات يروي منها عقله وروحه بالعلوم والمعارف التي لا تسهّل له الحياة بدونها. فيتخرّج منها محاميًا يدافع بالحق... عن المظلومين من أبناء وطنه أو طبيبًا يداوي المرضى منهم بكلّ رحمة وحنان. أو ذا وظيفٍ محترم لم يميّزه بين أبناء الأمم الأخرى الذين بلغوا السَّعي بعلومهم وثقافاتهم. في هذا الوقت نفسه يقضي فيه أبناؤنا حياتهم الشَّقيَّة المؤلمة يتجرَّعون فيها كأس شَقائها حتّى الثَّمالة هائمينَ في أرض الله الواسعة إلى غير مستقر أو هدف! وطاؤهم الأرض وغطاؤهم السَّماء

فإذا ما كبر الواحد منهم وخطّ الشَّيبُ رأسه – قبل الغير طبعا– أخذ المرض منه ما أخذه فيذوى كالشَّمعة المحترقة التي أضاءت في يوم من الأيَّام بنورها الضّئيل هذا هو مآل كلُّ محروم شقي في بلاده الغنيَّة المملوءة بالمعاهد والمساجد المحوَّلة إلى كنائس وليسيات!

المقال الثَّامن: لنترك الثَّرثَرة![1]

ما أكثر ما كرّرنا ألفاظا وجملا لم تحمل لنا سوى الغرور المحبط للأعمال والحاجز الوحيد الذي يمنعنا من البلوغ إلى الغاية مع أنَّ الوقت لا يسمح بذلك بل يقتضي أن نترك كلَّما يتَّصل بالسَّفاسف والخيالات، فنلحق بقوافل الأمم إذا كان إربنا حقًا إصلاح الفساد العام في مجتمعنا الجاهل واسترجاع المجد والشَّرف الضَّائع المداس تحت الأرجل. " فالتقينا بالمقاود لمن سمَّاهم أجدادنا رقاب المزاود! "

أمضينا الوقت في القيل والقال والسُّخريَّة والإعجاب، كأنَّ حالتنا المزريَّة لم يبق لها سوى هذا علقم ختام!! ليس هذا هو العمل الذي ترجى منه الفائدة التي يعمل من أجلها كلَّ مسلم ومسلمة ليسترجعا الكرامة المداسة، ابتلينا بالثَّرثرة والكلمات الجوفاء في نفس الوقت الذي تجد فيه قوافل الأمم الحيَّة ساعيَّة إلى النُّمو والسُّمو، بعد التَّمتُّع بحقوقها حتَّى إذا أفقنا وجدنا أنفسنا بعيدين عمّا وصلوا إليه، وألفينا بيننا وبينهم مسافة نائيَّة شائكة لا تدرك بمثل ثرثرتنا، إنَّه طريقٌ شائك طريق الحياة الحرَّة التي لا يسهل السّير فيها بدون جد والعمل والصَّبر والتَّجلُّد في مثل تلك الخرافات والتَّسليات أمضينا وقتنا الذي هو من ذهب فجعلناه من التُّراب إذا أبدى أحد رأيه نطق الآخر وفسَّر قوله بقول متناقض غير منسجم!! أين المجد والشَّرف الذي نأمله ونحن في هاته الحال التي لا

[1]– زهور ونيسي، لنترك الثَّرثرة!، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 29 شعبان 1374هـ – 22 أفريل 1955م، مج7، ص363.

يرضى بها ذوي ضمير حي! فإذا كان الواحد منَّا لا يعترف بعيوبه وأخلاقه الرَّذيلة فذلك هو الغرور بعينه الذي كان من خصائص النّساء الضَّعيفات العقل والدّين!!!

ولم نكن نظنُّ أن نرى العكس، ولكن يا للأسف ويا للأسف رأينا الفتاة تذكر عيوبها متأسّفة والشَّاب يغطي عيوبه تحت ستار من الدّفاع المزعوم والكلمات الجوفاء المملوءة بالحمية على الكرامة التي ينتهكها لاعبًا لاهيًا عابثًا!! ما أكثَر ما انتقد المرء على أخيه فإذا ما علم الآخر ثارت حميَّته وردَّ متحمّسًا (وعن غير قصد) فتصدر كلمة من الكلمات كرامة آخر أو تكشف عن عيبٍ من عيُوب نفسه فينتفض صارخًا في وجه غريمه مدافعًا عن نفسه متَبرّئا من تلك الإهانة!!

وهكذا يذهب الوقتُ سدى ويثمر نتيجة مرَّة: تباغض وتنافر وتدابر، عوض السَّير المُستمر والعمل المتواصل التي تخرُّ له الصّعاب الصَّاغرة.

فإلى العمل الصَّلح المثمر يا شباب البلاد! وكفانا من الثَّرثرة وكفانا قشورًا، فإنَّ الأمَّة تنتظر منَّا غيرَ هذا – وأحسن من هذا.

المقال التَّاسع: من صميم الواقع: من الملوم؟...[1]

كنت متَّجهةُ إلى الحمَّام عندما لمحتُ سيَّارة فَاخرةً تَسيرُ ببطء لتَستقرّ أمَام بَاب الحمَّام واسْتطعتُ أنْ أتبيَّن راكبيهَا لأنَّني قرَّبت منها.

كانَتْ تشْملُ عجُوزًا صَفراءَ اللَّون محْدوبةَ الظَّهر يظهرُ أنَّها تُقاسي دَاء الشَّلل إذْ أنَّها لمْ تقْدر عَلى النُّهوض من مقْعد السيَّارة حتَّى أعَانتها خَادمةً كانَت جَالسة بجَانبهَا على الوُقوف، وخَرجت من السَّيَّارة مُستعينَة بعَصى في يَدها والخَادمة التي رَاحت تُحدّقُ في الرَّاكبة الثَّالثَة وتنْظر إليها نظرةَ التعجُّب والسَّخط المَكبُوت، وكانتْ الرَّاكبَة الثَّالثة شابَّة مُتأنّقة في مقْتبَل العُمر يَظهرُ منْ

[1]– زهور ونيسي من صميم الواقع: من الملوم؟...، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 21 رمضان 1374هـ – 13 ماي 1955، مج8، ص15.

هيْأتهَا أنَّها من عَائلة كبيرَة غنيَّة، وَزادَني دليلاً عليهَا لحَافُها المَوضُوع على نصف رَأسها وسيقَانهَا البيضَاء العَريَّة وحَقيبَةُ يَدها الجَميلة!

واسْتدارَت صَاحبتُنا غير مباليَّة لصَيْحَات العَجُوز وأناتها لتَبتسمَ لسَائق السَّيَّارة وتُودّعُه قَائلة في خفَّة:" اُرُفْوَارْ" فما كان منْه إلَّا أن بَادلهَا كلمَةً بكلمَة وابتسامَةً بابتسَامَة.

ولم تلق مجرَّد نظرة على منظر تلك العَجوز وهي تُعاني مشقَّة صُعودِ درجة من درجَات الحمَّام بمعُونة الخَادمَة المُندهشَة والعَصا المُطيعة!

بل دخلتْ لم تلو، على شيء لتلقي على النّسوة في الدَّاخل تحيَّة صنَعت كلمَاتها من الكبريَّاء والزَّهو، ولتُرسل نظرة عابرةً على المعَالق وما حوتْ من أبْهى الثّيَاب وأحْدث المُودَات التي . مع الأسف . لم يتيسَّر لها العرضُ سوى في الحمَّامات والوَلائم والمسَارح؟ فصَار الحمَّام أشْبه شيء بمعْرض من معَارض باريس للأزيَاء منه بمكان للطَّهارة؟

ورأيتُها تبتَسم ابتسَامةً غامضةً فعرفَت المُراد منها . ونحن النّسَاء أعْرف النَّاس بنفسيَّات بعْضنا! . فهمت أنَّها ابتسامة التَّشفّي والنَّصر لأنَّ لهَا في ملابسها ما هو أحسنُ وأحدثُ من ذلك وما هو أجدر للتَّعليق والمبَاهاة والفخْر! ووقعت جامدةً في مكاني أنْتظرُ متى تتذكَّر هذه الشَّابة تلك العجوزُ السَّقيمة التي كانت معها منذُ لحظة في سيَّارة واحدة، كنْتُ على ميل شَديد لمعرفَة علاقَة المَرأة بالعَجوز، وسُرعان ما تبدَّدت دهشتي عنْدما دخلَت العَجُوز وسقطت من الإعياء بين دهشَة النّسَاء وهي رافعة رأسَها الشَّاحب للفَتاة وتقُول: آه أهذا هو جزَاء تَربيتي وتهْذيبي لك؟ أهذه هي طاعَة الوالدين وأنا منك بمثابَة الوَالدة الأولى؟ كيَف يصْدر منك مثل هذا بجَدَّتك السَّقيمَة يا بنت؟

ولم أترك الفُرصَة لإجَابة الفتَاةِ، بل تقدَّمت للعَجوز قائلَة: ذكرت يا أمّي أنَّك ربَّيتها فإلى أيّ مَدرسَة أدخلتها يا ترى؟ فأجَابتْني والدَّمعُ يتَناثر من عيْنيهَا:" مسيد الرُّوميَّة يا بنتي ".

فأدْركتُ على الفَور خُطورَة الجَريمَة وانْقشَعت من عيْني سحَابةً كثيفةَ بتصْريح الجدَّة الرَّهيب وعَرفتُ سبب الدَّاهيَّة وسبَبُ العُقوق ورأيْتُ بعين رَأسي فائدةً من الفوَائد الجمَّة التي تجْنيهَا المَرأة الجَزائريَّةُ الغَافلة من تَعلُّم لغَة غير لغَتها وأخْلاق معَاكسة لأخْلاق دينهَا وأدْركتُ الحَالةَ التي يؤُولُ إليْها كلّ من لم يشرك لغَتهُ مع اللّغَات الأخْرَى.

وحينَ ذاكَ سَألتُ نفْسي بغْتةً من اللّوْم؟ واسْتمَعتُ أخيْرًا إلى إجَابَة نفْسي بَعد أن بَخَلتْ بها عليَّ دقَائقَ كنتُ خلالَها ذَاهلة كمنْ فقدَ لبَّه من فعْل الصَّدمة وسمعت "هو جهْل الأمّ يا غَافلة نعم جهْلهَا هو الذي جنَى على ابنَتهَا فلو أنَّ الأمّ كانَت تقدّسُ لغَتَها حقيقَة لما كانتْ تحرمُ ابنتَها من تعَلّم لغتهَا مع اللّغَة التي تتَعلّمُها في المدرسَة الرَّسميَّة و لغذَّت روحَها وقلْبَها ونوَّرتهُما بآيَات قُرآنيَّة وأحَاديثَ شريفَة تَكونُ لهَا السّلاح الذي يحميهَا، والرَّادعُ الذي يوجّههَا إلى طَريق النُّور والهدَاية بدُون تردّد وجَهل، لأنَّ لغةَ الأجْداد هي القبسُ المنيرُ الذي لا يسْتَغني عنْه أيّ شخْص أرَاد الخَوضَ في مَعركَة الحيَاة من غيْر أن يقَال عنْه أنَّه تركَ دينهُ وعقيدتَهُ ولما كانَ يصدُرُ من فتيَاتِنا مثلَ هذا العملِ الّذي تقشعرُّ له الأبدان.

ما أبشعَ هذا المنظر! فتاةٌ لا تُريدُ إعانةَ أقربَ الأقرباءِ إليهَا لكيلا يُقال أنَّ قريبَتهَا مصابةً بالشَّللِ ويسجّلُ هذا العار على أسرتِها! ولا بأسَ إذا سجّل عارًا أعظمُ من هذا! أو لأنَّ حركاتِ جدَّتهَا البطيئة تعوقهَا عنِ الاستهتارِ والتبختر في مشيتِها (الموردن)! ولكن لا لومَ ولا عتَابَ عليها فهي فقيرةٌ إلى ما يسَمُّونهُ " درسُ طاعةِ الوالدين" وما دلَّ عليه من آياتٍ وأحاديثٍ، ولا علمَ لهَا المسكينَةُ أنَّها لا تكسبُ رضَا الله وما دامت فقيرة إلى رضَا أبويهَا ودعَواتِهما الصَّالحات ولكنَّ الأمُّ هي التي جعلت من ابنَتِهَا إحدى ضحايَا المادَّة وما علَّمتها هذه اللُّغةُ إلّا ظنًّا منها أنَّها ستكونُ في يومٍ من الأيَّام ذاتَ شأنٍ، ولكنَّها – و يا للأسف – ستكونُ أخطر جرثُومةٍ مهلكة لمجتَمعِنا الّذي أكثَرُ بلاياهُ من مثل حاملاتِ ثقافةٍ أجنبيَّة وحدها مجرَّدةٌ عن تعاليمِ القرآنِ. وعن لغَةِ القُرآنِ.

وفي المقال المقبل مقال للآنسة مليكة عام

المقال العاشر: نتيجة مؤلمة[1]

كان وحيدَ والديهِ وأملهمَا الغالِي الّذي لا يملكانِ غيرهُ فلاَ ريبَ إذا همَا ضحَّيَا بكلّ غالٍ وعزيز في سبيلِ ترضيَّتهِ وإسكاتهِ من كلّ بكاءٍ مصطنعٍ جعلهُ سلاحًا مع أبويهِ المحنين له بمقلتيهما.

وترعرعَ الطّفلُ على أسعدِ حالٍ في يسرٍ ونعيمٍ لأنَّ والدهُ كانَ يشغلُ وظيفًا هامًا من وظائفِ الحكومَةِ إذ كانَ قائدًا "وقايد" تملأُ صدرهُ نياشينَ وتَعتلِي رأسهُ عمامةً ضخمةً محَلّاتٍ بخيوطَ صفراءَ توحِي للنّاظرِينَ أنَّ لابسهَا بلغَ المرادَ وقصدَ مقامَ خيرِ العبادِ!:

وكانت أمُّهُ سليلةَ أسرةٍ كبيرةٍ غنيَّة لم يمنَّ الله عليهَا بسوَى ذلكَ الولدِ العزيزِ بعدَ قحطٍ دامَ معهَا عشرَ سنواتٍ من زواجهَا بصاحبِ الجاهِ والمالِ والكلمةِ العاليَّةِ سِي عبد القادر وبلغَ الطّفلُ مبلغًا سرَّ والديهِ وأرضاهُمَا وكيفَ لا وقد صارَ عندمَا يدخلوهُ إلى المدرسةِ يرجعُ وحدهُ ويعرفُ الطّريقَ من المدرسةِ إلى المنزلِ، وتنبسطُ أساريرُ الأمّ وتهرولُ باسطةً يديهَا لتختطفَ ولدهَا بينَ أحضانهَا وهي تقولُ لزوجِهَا الجالسِ في صدرِ البيتِ: أرأيتَ يا مخلوق تحقَّقَ أملِي وصَارَ الخَواجةَ يرجعُ من المدرسةِ وحدهُ؟ فيردُّ الوالدُ مزهوًّا فخورًا ماذا يعملُ بالقراءةِ إنَّ مالَ أبيهِ سيجعَلهُ يعيشُ على أكتافِ النَّاسِ عزيزًا مكرَّمًا.

ويجتمعُ القائدُ بأعيانِ البلدةِ في جلسةٍ هنيئةٍ فيذكرُ المزايَا التي يمتازُ بهَا ولدهُ خلافَ الأبناءِ ويعقبُ مقسمًا بالقسمِ الغليظِ: "آهٍ لو يكبرُ الخواجةَ ويبلغُ مبلغُ الشَّبابِ ويطلبُ منّي الدَّراهمَ لكي يذهبَ إلى الحانَةِ لاحتساءِ الخمرِ إذن فو الله وأنتم شاهدونَ ما تردَّدتُ في إقامةِ " زَرْدَةٍ" لم يأكلهَا أحدٌ من قبلُ ومن بعد "ويعقبُ الجميع عَلى أمنيَّةِ القائدِ بِضَحكاتٍ شَملتْ من الزَّهو والكبريَّاءِ ما

[1]– زهور ونيسي، نتيجة مؤلمة، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، العدد 377: الجمعة 27 صفر 1375هـ–14اكتوبر 1955م، مج، ص86.

شاءَ الله أنْ تَشملَ وهكذا وعلى هذهِ الحال بين أحضانِ المَالِ والدّلالِ شبَّ الطّفلُ علَى جانبٍ وافرٍ من علمٍ ومعرفةٍ بأسعارِ الزُّجاجاتِ في البلدةِ ومن هي المحظوظة التي تظمُّ أبناءَ القيَّادِ وأولادَ الذَّواتِ!"

وها هو يحقّقُ أملَ أبيهِ ويطلبُ منهُ كلَّ يومٍ ما يكفِي لمعاش أسرةٍ متوسّطةٍ شهرًا كاملا. وتكرَّرتِ العملياتُ والطلباتُ وبدأَ صاحبنَا يشكُو الإفلاسَ ويصرّحُ لزوجَتهِ مكرَهَا قسوةَ طلبات والدهِ الحبيب ولكنّهُ ينقطعُ عن الكلامِ فجأةً لأنَّ أمَّهُ لا تريدُ أن يجرحَ روحَ عزيزِهَا المُدلّل بمثلِ أقوالهِ المشؤومَةِ وتَقطعُ السُّكوتَ بقولِها: "لا شكَّ أنَّنا سنفقدُهُ ما دمتَ تذكرُ ما صرفَ! بُنيَّ العزيز، روحِي فداهُ!

وهُنا يتدخَّلُ القَدرُ ليصرّحَ حكمَهُ القَاسِي بهذهِ الكلمة "كلّ من عليها فان" أجل فمَا إن مضت أشهرٌ قلائلٌ على هذَا الحادث حتَّى لزمَ الحاج عبد القادر الفراشَ من فعلِ الصَّدمةِ في مَالهِ وكرامَتهِ المداسَة في كلّ شكوَى منبعثةً من فمِ جارةٍ أو جارٍ!! ويفيقُ الشَّيخُ من غَيبوبتِهِ التي دَامت سنينًا علَى صوتِ ولدهِ وهو يلعنُ ويسبُّ ويُحطّمُ في الأثاثِ لأنَّهمَا لم يسعفاهُ بشيء منَ المَال يسافرُ بهِ إلى مدينةِ النُّورِ معَ إحدَى الحسنَاواتِ الأجنبياتِ، ويجيبُ الأبُ على السَبّ واللَّعن" كيفَ تفعلُ هذا يا ولدِي ألسنَا والديكَ لماذا تحمَّلنَا مالاَ طاقةَ لنَا بهِ" ويجيبُ الوَلدُ الشَّابَ بهزَّةٍ عنيفة والدهُ فيقعُ الأخيرُ من فوقِ السَّريرِ مغشيًا عليهِ بينمَا يقولُ الولدُ: "إلى سقر يَا شَيْبَةَ النَّار" تمنعُ مالكَ علَى ولدكَ الحبيبُ كمَا تزعمُ" ويفيقُ الوَالدُ بعدَ أنْ رشَّتهُ زوجتهُ بشيءٍ منَ الماءِ ليلفظَ أنفاسهُ الأخيرة قائلاً لزوجتهِ وحَشرجة الموت تَملأ صدرهُ وتَمنَعهُ منَ الكَلامِ: "إنَّ الله رحمنِي بالموتِ فعساهُ يرحمُكَ ولا يتركَكَ لسوءِ العذابِ" وتبدَّلَ جوُّ البَيتِ إلى ظلامٍ قائمٍ وأثاثٍ قليلٍ مُبعثرٍ وصندوقٍ خالٍ منَ المال يستطيعُ مالكه الحياةُ على أكتافِ الغير! وعجوزٌ محطّمة ذاويه مقوَّسٌ ظهرهَا يخالهَا الرَّائِي من

بعيد قطّةٌ منكمشةٌ ويكتسِي البيت شوبا من الحزنِ والهَلع ويحطّ فيهِ شبحُ الموتِ بعدَ أن كانَ مجمعُ الأعيانِ والأخيارِ!

وبينَ لحظةٍ وأخرَى يدخلُ الكلبُ المسعور ينبحُ ويفتّشُ في كلّ مكانٍ عمَّا يباعُ وينتفعُ بهِ ولكن ليسَ هناكَ ما كانَ منذُ زمانٍ بل لا يوجدُ سوَى شيءٍ منَ الدَّقيقِ يَسدُّ الرَّمق عدَّة أسَابيع ويهتدِي إليهِ الشَّابُ أخيرًا ويضعهُ على مرآي من أمّهِ والجيران مشاهدِي المأساةِ الواقعيَّةِ ليَصبَّ فيهِ الماءَ وهو يضحكُ ويترنَّحُ في مشيتِهِ من كثرةِ السُّكْر!

وتمدُّ أمَّهُ يديهَا إلى صَدرهَا ضاربَةً إلى خدَّيهَا نادبَةً حياتَهَا الشَّقيَّةِ ونتيجَةَ تربيتِهَا فيلتفِتُ إليهَا عزِيزِهَا ليلكمَها على صدغهَا لكمة تَخِرُّ بعدَهَا على الأرضِ جُثَّةً هامدةً"! وتحوي غيَاهبَ السُّجونِ في تلكَ السَّاعةِ . ومن دونِ مرافعةٍ أو تأجيلٍ . شابًا قويًا وواحدًا من ضحايَا الدّلالِ!

المقال الحادي عشر: جلسة مع صديقات[1]

كُنَّا جَالسَات في سَاعَة منْ أسْعَد سَاعَات العُمْر إذْ لَمَ نوفَّق إلى مثلهَا مُنْذُ ثَلاث سَنوات يَومَ كنَّا يَضُمّنا قسْمٌ واحدٌ، بَل تَحْتضنُنَا مَدْرسَة واحدةٌ هي التي جَمَعت بيْنَنَا ووحَّدت بَيْنَ قلُوبنَا وجعلتنَا نَسيرُ جَميعًا نحوَ هَدف وَاحد هُو الارْتوَاء من منَاهل العلم العَذبَة.

ولَمْ تَطُل تلكَ الأيَّامُ السَّعيدَةُ فمَا كدْنَا نسْتعذبُهَا ونشْعرُ بالمودَّة والصَّداقَة وحَلاوَة العلم وَالعَمَل حتَّى تشتَّتَ شمْلُنَا بَعْد أنْ أصْبحنَا في سنّ لاَ تسْمحُ لنَا بالخُروج منَ المنْزل! فتفرَّقْنَا كَما تتَفَرَّقُ الفَرَاشاتُ وتَطْرُدُ عَنْ الزَّهْر عنْدمَا تَسْتعذبُ رحيقَهَا الزُّلاَل، كلٌّ منَّا انْزَوت في عَقْر دَارهَا مُحطَّمةَ الآمَال إذْ كَانت أُمنيتها لوْ أتمَّت درَاستَها وأخَذتْ حظَّها ونَصيبَهَا منَ العُلوم والمعَارف لتَستَطيع مُجابهَة الحيَاة الحقيقيَّة الشَّريفَة الحُرَّة مثْل سَائر الفَتيَات المُسْلمَات في الشَّرق العَربيّ. ومرَّت الأَيَّام

[1]– زهور ونيسي، جلسة مع صديقات، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 16 ربيع الثاني، 1375هـ–2ديسمبر 1955م، مج8، ص148.

الأولَى بَعدَ انْقطَاعهَا عنَّا مُظْلمَة كأنَّهَا أعْوَام ولَكنَّ الأشهُرَ والسَّنوات غيَّرتنا وخلقَت منّا فتيَات يائسَات عديمَات النَّشَاط والحَيويَّة وَسمَحت للنّسيَان أنْ يقتَحمُ أفكَارنَا فَلا يترك فيها إلاَّ خيَالات طَفيفَة وذكْريَات كادَت تَتَلاشى وتَذهَب في خضم الهَدْم.

وذاتَ مساء تلقَّيتُ رسالةً فَخلت نَفْسي في حُلم إذْ مَا كدت أفتَحُهَا وأتَأمَّل خطَّهَا حتَّى تذكَّرتُ رفيقَةً منَ رفيقَات الصَّبا كانَت في يَوم من الأيَّام الماضيَّة من أعزَّ الصَّديقَات فقَرأت وأعَدتُ القراءَة وكانَ الاسْتدعَاء من تلْكَ الصَّديقَة ولكن قد يتشوَّق القارئُ الكريمُ إلى معْرفة فَحْوى هذه الرّسَالة أوْ سَبب هذا الاسْتدعَاء فأُطَمئنُه وأقولُ : أنَّه دعْوى لزفَاف تلْكَ الصَّديقَة المتعلّمَة ولكنّي أتردَّدُ فأقُول : إنَّه اسْتدعَاءٌ إلى مُشاهَدة نهاية قصَّة نهَاية جهَاد دَام ثمَاني سنَوات نهاَيةُ أمَل ضَاع !

نَعَم لَقدْ شَاءَ القَدر بتلكَ الأخْت أنْ يَكُونَ شَريكُها في الحَيَاة جَاهلاً لمْ يَلجْ بَابَ المدْرسَة، هذا ما حزَّ في قلْبي عنْدمَا لمَحتُ الخَبرَ فجْأةً في آخر الرّسَالة بخَط كأنَّه مكتوبٌ بمدَاد منْ دُموع عبَّرتْ بها تلكَ الصَّديقةُ عمَّا في قَلبهَا من آلاَم كَانتْ آمالاً. وأتممتُ قراءة الرّسالة وأنا في أشدّ الحيرة والحُزن، وهَاجت الذّكرى وازدادَ الحَنينُ وتضَاعف الشَّوق إلى معْرفة مال كلّ من تلك الأخوَات بعد أن كانَت نهاية إحداهنَّ سببا في حُزن شديد وأخيرًا لبَّيتُ الدَّعوة وكنت فرحةً شيئًا ما لقُرب لقائها بعدَ هذا الفراق الطَّويل، وما كدتُ أصل حتى دقَّ قلبي بين أضلُعي دقَّات عنيفة إذْ شاهدتُ مالم يكُن في الحسبان شاهدت جميع الأخَوات الرَّفيقات يضمُّهنَّ مجلس واحد بين حديث واستفسَار وتساؤُل فعرفتُ الأمرَ وتحقَّقتُ أنَّ الصَّديقة المتشوّقَة أرادتْ بهذه المفاجأة أن تجمعنَا بعد تفرُّق وشتات ولو ساعة واحدةً! وتقدَّمتُ أوّلا إلى العَروس وأنا في حالة اضْطراب من أثَر المفاجأة ثمَّ ألتفت إلى جمع الأخوات وهنَّ في حلقة كأنَّهنَّ يذكران درسًا من الدُّروس!

وتُنبّهن على أثر صيحَتي بالسَّلام الحار، ورسم منظَر! كانت دموعُ الفرح تتسَاقطُ مختلطةً بالابتسَامَاتِ والدَّهشَةِ من هذه الصُّدفة الحسنة. ومضَت تلك السُّويعة التي كَانت عندنا ولربَّما دقيقةً

والعروسُ لا تنبس ببنت شفة وعلامَات الحُزن باديَّة على محياها الذَّابل. غير أنَّها كانت بين الفينَة والفينَة تَبتسم لما سبَّبته لرفيقَاتها من فرح ولقَاء حُرمنَ منه لسنوات فكانت رُغم حالتهَا المُحزنة سعيدةً لسَعادتنا.

وبدأنَا الحديث في الموضُوع بعدَ أنْ التقت نظرَاتنا التي تفيضُ بمعاني الشَّفقة والحَنان وطَرقَت بابَ الحديث إحدانا بقولها: ما أمر الحياة على هذه الصّفة وما أكثَر نتيجةَ بلائنَا. آمال تتحطّم آلام تحلُّ محلَّ الآمَال تأخُذ من الإنسَان لبَّه وقلبَه وتتْركه عديم الشُّعور فأجَابتْها أخرى مع تنهُّدات صعَدت زفَراتها من أعْماق القلب: لك الحقُّ ولكن... ثمّ سكتت بين دهشتنا فأجَبتها: ولكن مَاذا؟ تكلَّمي يا أختَاه فإنَّنا في حاجة ماسَّة إلى هذه المشْكلة الاجتماعيَّة ولو بالأمَل فتبسَّمت بمرارة وقالت:

أنّ بعض الآبَاء يا أختي سَامحهُم الله هم السَّبب في هذا الشَّقاء وتعْقيد هذه المشَاكل التي يصْعب حلُّها على طريقة تسعد الجهتين. لماذا لا يَرفضُون هذا الخاطب بعد أن علموا عنه أنَّه جاهل وهي متعلّمة؟ ولمَاذا علّموها إذن؟ وسكتَت تنتظر الإجَابة ولكن شَمل السُّكوت والهُدوء الجَلسة بعد تلك المنَاقشة بين تفكير وحيرَة، وأخيرًا رفعت رأسي من إطراقه إليهنَّ وقلتُ: لو كلُّ شاب متعلّم يا أخوَاتي حكم عليه القَدر أو أَمَرَتْهُ التَّقاليد القاضيَّة بالتَّزوُّج من جَاهلة بذل مجهودَه ولم يترك الفشَل يسْتولي على عَقله وعلَّمها ممَّا تعلم وأنَار ذهنهَا المُظلم بما أنير ذهنَه يوم أن كان مظلما أيضًا، ولو أنَّ الفتاة المتعلّمَة كأختنَا التي نحنُ بصددهَا بذلَت مجْهودها على أن تجعلَ من شَريك حياتها الجَاهل رجلاً تستطيعُ أن تنشئ معه جيلاً يسعد نفسه ووطنهُ لما بقي رجُل جاهل ولما بقيت فتاةٌ تتمرَّغ في الحَضيض ولصرنَا بهذا العمَل يدًا واحدة وقلبًا واحد يحقّقُ للأمَّة آمالها. وسكتُّ وأنا أنظر إلى وجوههنَّ وما تعبر من إحساس ثمَّ لزغت منديلي ومسحتُ قطرات من العرق كانت تنصبب على جَبيني أثناء الحَديث ولم يطُل انتظاري فقَد رأيتُ كلَّ واحدة منهنَّ توافق على هذا

الرَّأي الذي كان عُصارة قلب حزين تألَّم كثيرا لحَالة أبناء وَطنه وما تحمَّلوا من مشاق ومشاكل اجتماعيَّة خَطيرة ومضَت دقيقةٌ خيَّم عليها الهُدوء بعد تلك المُناقشَات وكأنَّنا وفّقنا إلى حلّ ثمّ ... ثمّ ماذا؟ ثمّ افترقنا كلّ منَّا إلى وكرهَا بين دموع وضحكات وآلاَم وآمَال.

المقال الثَّاني عشر: من صميم الواقع: جناية أب[1]

اعتدتُ أن أراها جالسة أمامَ باب بيتهم في دارِ الجيرانِ محاطةً بالكتبِ والكراريسِ وقد تبعثرت الأقلام هنا وهناك. إذا كانت تتذاكر دروسها وتعمل واجباتها كما عهدتها كلَّ مساء بعد رجوعها من المدرسة فأحيّيها تحيَّة المساء فتجيبني والابتسامة لا تفارق شفتيها وهي لازالت تروح وتجيء إلى الأمام والخلف وقد أمسكت بين يديها الصَّغيرتين كتابا من الكتب للحفظ قد غرست فيه رأسها بكل جد ونشاط ومثابرة كانت تشعر بالسَّعادة فيما يبدو لنا ضرّها وهي في ذلك المنظر البديع الوحيد!

وفي صباح يوم كنت خارجة من بيتنا إذ وجدتها واقفة بباب البيت والدُّموع تتساقط غزيرة من عينيها البريئتين وقد تبدَّلت ملامحها واضطرب صوتها عندما ردَّت عليَّ التَّحيَّة! فاحترت في أمرها وأشفقت عليها من تلك الدُّموع، وتقدَّمت إليها ورفعت يديها عن عينيها وأنا أسألها عمَّا يبكيها فأجابتني بلا شيء وألْحَحْتُ عليها ولكنَّني لم أحظ منها بجواب وحدَّثتني نفسي أنَّ هناك أمرا وقع للأسرة السَّعيدة وهنائها، إنَّه السَّحابة الوحيدة التي تحجب شمس السعادة على ذلك البيت الصَّغير الهانئ والعش الهادئ.

فالمسكين لا يصحو يوما من السُّكر كلَّما وجد ذلك سبيلا مع أنَّه موظف محترم يربح ما يجلب له ولعائلته كلَّ هناء ورفاهيَّة. كان كلَّما قبض راتبه لا يدخله إلى بيته إلَّا بعد أن يزور به

[1]– زهور ونيسي، من صميم الواقع: جناية أب، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 30 ربيع الثاني1375هـ – 16 ديسمبر1955، مج8، ص207.

حَانَاتُ البلدة واحدة واحدة. ولا يخرج إلَّا بعد أن يترك لأصحابها ما يكفيه هو وأسرته نفقة أيَّام عديدة. ليتمتَّع به م. جوزيف!!!

ويرجع إلى بيته في حالةٍ يُرثَى لها فتستقبله زوجته وهي تبكي لهذه الحالة التي تنذر بوقوع عاصفة هوجاء. وهي تقول: لعلّ الله يا أمَّاه يعفو عنه ويلهمه التَّوبة! فقد سمعت معلّمي يقول لنا أنَّ الله غفور رحيم بعباده. فتجيبها الأم بزفرة طويلة ثمَّ تدخلاه وهما تجرَّانه جرًّا من فرط سُكْرِهِ حتَّى إذا ما أفاق ووجد زوجته الوفيَّة بجانبه تعاني آلامه ومعالجته ثارت ثائرته وملأ البيت الملعون قبح الله وجهك كم من مرَّة أوصيك بعدم التَّدخُّل في شُؤوني من قال لك كم السَّاعة؟ لماذا أدخلتني؟!

فتخرج المسكينة وقد تحجَّرت الدُّموع في مآقيها ثمَّ تبعث إليه ابنته فاطمة علَّه يحنُّ لاستعطافها ويرقُّ قلبه لكلامها. فيقابله بالمثل أو أكثر فتملح الفتاة صارخة ما هذا يا أبي أما تخشى الله في كرامتك وأولادك الأربعة وزوجتك التي ذاقت الأمرين معك ضنَك العيش والذُّلِّ والهوان. لا لشيء سوى من أجلنا كن مثلها يا أبي ولا تضحك النَّاس علينا.

فيضحك ملء شَدقيهِ وقد احمرَّت عيناه من فرط السُّكْرِ ويجيبها بصيَّاحٍ حادٍ أكثر من ذي قبل: وأنت أيضا يَا كلبة لحقك الخبر. ما شاء الله أدخلتك إلى المدرسة فصرت لي مرشدة إيه سوف أمنعك منها من اليوم فلا تطأ قدماك بابها يا ملعونة أتتجاسرين على ردِّ الكلام لأبيك؟ ثم يتمتم كلامه مقسما قسمه الغليظ " بالحرام والكفَّارة" ما دخلت إليها بعد اليوم!

فتكلِّم الفتاةُ نفسها بعد أن تفشل في استعطافه: "لا أدري ما هو الحلال والحرام عند أبي؟!".

وصارت المسكينة تذهب إلى المدرسة وترجع خفية وهي تسأل نفسها عمَّا يخبِّؤه القدر لها ولأمها وإخوتها الصِّغار من أبيها الذي أكلت الحانات ماله ودمه ووقته. فصار كالشَّبح يوما يعمل وعشرة عاطل كلُّ عمله جوب الأزقَّة والشَّوارع يكلِّم هذه ويُعَاكِسُ تِلك!! حتَّى إذا انتصف اللَّيل رجع صفر اليدين كأنَّه لم يخلف أطفالا صغارا ينتظرونه ليسعفهم بشيء من القوت! كلُّ هذا والامُّ

صابرة تقاسي الآلام وكم مرَّة تعزم على العمل في أحد البيوت الأجانب فيجيبها زوجها العزيز الشَّريف: اسمعي أنا رجل ذو كرامة فكيف تفكرين في هذا ويقولون هذه زوج فلان؟!! فتسكت خائفةً متألِّمةً وهكذا يتكرَّر قوله هذا في المنزل وعمله ذرع الأزقَّة في الخارج!

كانت هذه هي حالة البيت وسيّدة وربَّته الصابرة المضحيَّة بهنائها من أجل هناء أطفالها فلم تلق من الهناءين هناء وهي ابنة الشَّرف والعلم والنَّسب.

جالت كلُّ هذه الخواطر بسرعة في رأسي وأنا أنظر إلى فاطمة في منظرها الحزين فتقدَّمت إليها ثانيَّة ورفعت يدها فسقطت دموعها السَّاخنة على يدي ثمَّ رفعت إليَّ طرفًا ذابلا قد كسره الدَّمع ونظرت إليَّ نظرةً حزينةً نَظرةَ من تحطَّمت آمالها من النَّاحيَّتين البيت والمدرسة فطيَّبت خاطرها ببعض الكلمات فأجابتني وهي لم تكف عن البكاء: لقد قضي الأمر يا أختي إنَّني تركت أبي الآن يحزم حقائبه ليذهب. فقاطعتها بدهشة ليذهب؟ إلى أين يا فاطمة؟ فأجابتني نعم ليذهب إلى الحياة الحقيقيَّة كما يقول مع امرأة أخرى. وبعده ليس لنا يا أختاه من الأمل غير الله، فزادت دهشتي ورثيت لضياع مثل هذه الأسرة وخرابها وأشفقت على هذه العيون الدَّامعة التي لم تقترف من ذنب في هذه الحياة القيّاسيَّة.

وفجأة وبعد لحظة من كلامنا شاهدت أباها خارجًا قد تزين ببدلة أنيقة وحذاء يلمع ببريقه الخاطف حاملا حقيبتين وهو يزمجر ويتوَّعد قائلا: ليس من اللَّائق أبدًا أبدًا أنْ أعيش مع هؤلاء المخلوقات الذين لا يفهمون من الحياة شيئا! كفاني ما قاسيته في هذا السجن المظلم إلى الحياة اليوم إلى الحريَّة!!!

ومرَّ ذلك اليوم وكرَّت وراءه الأيَّام والشُّهور وأنا أرى فاطمة كما تعوَّدت أن أراها، ولكن – ويا للأسف– في غير ذلك المنظر البديع منظرها بين الكتب والكراريس، بل في منظر آخر صرت أراها مع إخوتها الصغار تسكت هذا وترفع ذاك كما أرى أمَّها تخرج كلَّ صباح من الخامسة لتعمل

عند أحد الأجنبيَّات وترجع في المساء منهوكة القوى وقد ذبلت زهرة عمرها وسقطت أوراقها النَّاظرة فداءً للأطفال الأبريَّاء فتستقبلها فاطمة بعيون دامعة كما تشيّعها على الخامسة صباحًا بعيونٍ دامعة!

المقال الثَّالث عشر: صوت المرأة[1]

قرأتُ في عددٍ 357 من جريدَةِ البصَائرِ مقالاً يَحملُ عنوانَ – مُلاحظاتٍ – ويَشهدُ اللهُ أنَّني تَأمَّلتُ قَبلَ أنْ أتم هذهِ الملاحظاتِ الكثيرةِ القاسيَّةِ، ولو أنَّها لم توجَّه إليَّ شخصيًا ولكنْ بمَا أنَّها تهمُّ المُسلمَةَ الجَزائِريَّةَ فهي تهمُّنِي مهمَا يَكن من أمر.

يرَى صاحبُ المقَالِ أنَّ من واجبِ الفتَاةِ المُسلمةِ أنْ تقفَ عندَ حدّهَا في التَّعْليمِ والدّرَاسةِ ولا تخطو خطوةً أخرَى إذا هي تعلَّمَت كيفَ تعربُ قامَ زيدٌ وقعدَ عمرُو، وغير ذلكَ من المَعلوماتِ البَسيطةِ التي لا تجهَلهَا حتَّى أمَّهاتُنَا الجَاهلاتُ، بمعاشرَةِ العُلماءَ وسمَاعِ دروس الوَعظ والإرْشادِ. ويجدرُ بهَا أن تَنزوِي في البَيتِ لتَتَعلّمَ الشُّؤونَ المنزليَّةَ كالطّبخِ والغَسيلِ ووضْعِ الخُبزِ في الصَّاجِ!

وأنَا أُسَائل نفسي – وكلّي تسَاؤلٌ – هل هناكَ معلوماتٌ في وضعِ الخبزِ في الصَّاجِ؟ لنتركَ الجوابَ للمرأةِ فهي وحدهَا المختصَّة بهذهِ الأشيَاء التي كتب عليها في لوحِ التَّقاليدِ أنْ تُدفنَ معهَا! ثمَّ نرجعُ إلى قوله أيضًا:" وما الفائدةُ في أنْ تُحسنَ كتابةَ الحرُوف ولا تُحسن خيَّاطة الثَّوب" وأنا أسألُ ثانيًا هل هناكَ علمٌ من هذه العلوم: كالخيَّاطة والطّرز والنَّسج يسمحُ لمتعلّمهَا دونَ أنْ يكونَ متعلّمًا على الأقلِّ القراءة والكتابة. إنَّنا إلى الآن لم نسمع بهذهِ المدرسَةِ الجديدةِ. وإذا كان الكاتبُ الكريمُ ينوي أن تتعلّمَ ذلك من أمّهَا فكيفَ ذلكَ وهو يقولُ:" إنَّ الأمَّهات أنفسهنَّ لا يُحْسِنَّ هنَّ الأخريَات من شؤُونِ المنزلِ إلاّ أشْياءً قليلةً على غيرِ نظامٍ وعلى غير ترتيبٍ؟

[1]– زهور ونيسي، صوت المرأة، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 10 شعبان 1375هـ– 23 مارس 1956م، مج 8، ص315.

لماذا يا تُرَى تَعودُ الفتَاةُ إلى المَنزلِ عندمَا يَرتفعُ سِنُّها بعضَ الشَّيءِ – أو بمعنَى أصَح – عندمَا تكونُ كالزَّهرةِ النَّاظرةِ التي أوشكَت على التَّفتُّحِ بعدَ التَّعهّد والسَّقي من معلّميهَا المربّينَ بالعلومِ والمعَارفِ والأخْلاق فتَنكسرُ وتذْبلُ، وتغلقُ دونَها الأبوابَ فيطيرُ صوابُها وتنقلبُ على أهلهَا وأمَّتها شرًّا بعد أنْ كادت تكون ثمرة صالحة. إن هذا من قبيلِ القسوةِ على المَرأةِ المَهضومَةِ الجَانبِ في عصرٍ مثلَ هذا وقرنٍ مثل القَرْن العشرينَ الذي توصَّلت فيه الشَّرقياتُ إلى الأخذِ بالألبَابِ في جميعِ الأقطَارِ الإسلاميَّةِ بكتاباتهنَّ وآرائهنَّ وقدرتهنَّ"

ولتتركَ الشَّرقَ نفسهُ ونرجع إلى أنفسنَا أنَّ مسألةَ الحجاب لم تُناقش فيها إحدَى المثقَّفات بالعربيَّة وما ناقشَت فيها سوى الفتياتُ المتفرنجَات اللّائي تغلّب عليهنَّ حبَّ الظّهور والفَساد والتَّقليد الأعمَى. إنَّنا لا نريدُ من معشر الآبَاء والإخوَان إلّا أنْ يتركونَا نرتَوي من منَاهلِ العُلومِ والمعَارفِ بعدَ ظمأ أمَّهاتنَا الشَّديدِ لا أنْ يذيقونا شيئًا ضئيلاً ثمَّ يحرمونَا منهُ ويتركونَا بينَ بينَ لا نحنُ بالجاهلاتِ تمامًا ولا نحنُ بالمتمتّعاتِ بالثّقافةِ الكاملةِ. وأنَّ ما نراهُ من فسَاد نسائنَا هو تلكَ المعلوماتُ القليلة التي تزيدُ في جهلِ المرأةِ وغُرورهَا لا في تمسّكهَا بالدّينِ والأخلاقِ. ولوْ أخذت نصيبًا وافر من التَّعليم لمَا فكَّرتُ أبدًا في تمزيقِ الحجابِ شرَّ ممزّق!

بعد أن تعرَّفت على قواعدِ دينهَا وقرأتْ عن تاريخِ أمَّهاتهَا المُسلماتِ في ذلكَ العصرِ الزَّاهر بل يزيدُ تمسُّكهَا وتنمُو عقيدَتهَا وتكونُ خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ.

أمَّا مسألةُ الزَّواجِ فهي مسألةٌ شرعيَّةٌ لا يستطيعُ أيُّ شخصٍ آخرَ أن يجعلَ لها قواعدَ وعاداتٍ من عندهِ. وإنَّما الدّينُ نفسهُ أمرَ باستشارةِ البنتِ وذِكرِ عيُوبِ ومَحاسنِ الرَّجلِ أمامَهَا كما تَذكرُ عُيوبَهَا ومحاسنهَا أمامَ الرَّجلِ. فهذهِ مسألةُ حياةٍ ومسألةُ تكوينِ أسرةٍ واشتراك اثنينِ في سرَّاءِ الحياةِ وضرَّائهَا وشقائهَا وهنائِهَا. فإذا لم توفَّق المرأةُ إلى الرَّجلِ المنشودِ أو هو لم يوفَّق إلى فتاةِ أحلامهِ فهناكَ الطّلاقُ أيسرُ الطُّرقِ الذي جعلهُ اللهُ مخرجًا ومناصًا من الشَّقاءِ والنّقاشِ والبُغْضِ "والدّينُ

يُسرٌ وليسَ بعسرٍ" والزَّواجُ كلُّه عبارةٌ عن شَرِكةٍ تجاريَّةٍ اشتركَ في تسييرهَا اثنانِ فإن لم يتَّفقْ أحدهمَا مع الآخرَ وجبَ الانفصالَ وفتَّشَ كلٌّ واحدٍ منهمَا عن بُغيتِهِ وشَبيهَهُ والقَدرُ وحدهُ هو الذي يسيّرُ الجميعَ. أمَّا الآباءُ فهناكَ القساةُ الّذينَ يزوّجونَ بناتهم بدونِ أيّ مشورةٍ ويكتفونَ برأيهِم سواءً كانَ صائبًا أو شاذًا. ويحسبونَ الفتاةَ بضاعة تباعُ وتشترَى بأسعارٍ مختلفةٍ وهذا عملٌ لا يرضاهُ كلَّ ذي ضميرٍ حيّ لأنَّ السَّهم لا يصيبُ سوى الفتاة المسكينة تلكَ الإنسانَة الضَّعيفةَ فهي وحدهَا التي سَتقضي شبابهَا وكهولتهَا وشيخوختَها مع شخصٍ لم ترضَهُ ولا تحبُّه وربَّما لا يحبُّهَا هو الآخَر.

وليسَ هذا معناهُ أنَّنا نتركُ لها المجالَ لتُفتّشَ وحدَها عنِ الزَّوجِ المطلوبِ معاذَ الله فأنَا أنزّهُ الفتاةَ المسلمَةَ المثقَّفةَ ثقافَةً كاملةً عن هذا وعلى أن تشترطَ في زوجهَا مثل هذه الشُّروطِ: الملابسُ العصريَّة والمَالُ والجمالُ والقصرُ، والسَّيَّارة! كما قال الكاتبُ الكريمُ.

وما تصرُّفكُم هذا إلاَّ قسوةً على المرأةِ التي فطنتْ إلى حقّهَا المَهضُومِ ولن تتأخَّرَ خطوةً واحدةً على المطالبةِ بهِ وهي دائمًا إلى الأمَام.

كفاهَا ما لاقَتْ في القَديمِ يومَ كانَ الآباءُ يُزوّجنَهَا في عمرِ الزُّهور، العاشرةُ والثّانيَّة عشرةَ، وليسَ هذا بغريبٍ لدينَا فهناكَ في بعضِ البوادِي والقرَى من بلادنَا الجزائريَّةَ آباء لا زَالوا ينفّذونَ هذهِ الآراءِ الوحشيَّةَ الجَهنَّميَّةَ.

فإلى الأمَامِ يا فتياتَ الجزائرِ ولتصبحنَ جميعًا رعايةَ جمعيَّةِ العُلماء ويحلّينَا دائمًا شرفُ نساءِ الإسلامِ والعروبةِ.

ثامنا: مليكة بن عامر

مليكة بن عامر: لم أقف لها على ترجمة إلاَّ ما وجدت من أنَّها كانت معلمة في مدرسة التَّهذيب بشلغوم العيد.

المقال الأوَّل: رسالة إلى روح فتاة[1]

لطالما تنُوسِيت الفتاة الجزائريَّة فلم تذكُر في عالم الصّحافة إلا نادرًا، ولم تذكُر مع الأحياء في العاملين. ولا ذكرت مع من يذكرُ في الأموات من الخالدين. فترى الحَفَلات تُقامُ لإحياء ذكرى رجال خلَّدوا بأعمالهم أسماءهم ونرى الجرائدَ تنقلُ من حينٍ لآخر لأعمال أولئك الرّجال وما خلَّفوه من آثار توجبُ على المنصفين من الخطباءِ والكتَّاب والشُّعراء أن يقيموا لهم الحفلات، ويملؤوا بخُطَبهم ومحاضراتهم آذان النَّاس وقلوبهم بذكر الأعمال أولئك الخالدين.

أمَّا الفتاة الجَزائريَّة فلم يكُن لها حظٌّ من هذه الذّكريات، ولا نصيبٌ من تلكَ الحفلات، ولعلَّ السَّبَبَ في ذلك يرجع إلى الفتاةِ نفسها فهي التي أهملت فأهملت. ويرجع ذلك إلى موجّه الفتاة الذين يصرُّونَ بها صَوبَ الأهدافِ السَّاميَّة حتى إذا صارت بالقرب منها عاقوها عن مواصلة السَّير وأشاروا عليها بالعودةِ إلى قصر البيت.

فالفتاة الجزائريَّة تتعلَّمُ القراءَة والكتابةَ ولكنَّها لا تجدُ أمامها الميدان الفسيح الذي تدرُجُ فيه إلى أنْ تبلُغ درجة خطيبة أو الكاتبة.

وبذلك بقيت الفتاة الجزائريَّة عاجزةً لا تستطيعُ أنْ تُعبّرَ ولا أنْ تُصوّرَ، وأني لها ذلك؟ ... عرفت هذا من نفسي حينما تذكَّرتُ تلكمُ الزَّهرةَ الذَّابلة (عايدة خير الدّين) وأردتُ أنْ أصفَ ما تختلجُ بصدري من أحزان وأشجانٍ على تلك الفتاة، فلم أجد قدرة على وصفِ شيء من ذلك للقرَّاء.

---

[1]– مليكة بن عامر، رسالةٌ إلى روح فتاة، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 24 شوال 1373هـ – 25 جوان 1954م، مج 7، ص51.

وبذلكَ اجتمع لديَّ ألَمَان: ألم فتاة اغتالتها المنيَّة في عنفُوان شبابهَا، وألم العجز عن التَّعبير عمَّا يجيشُ في صدري وما بقيَ عالقًا في مُخيّلتي من ذكريات تلكَ الفتاة التي اقتطفتها يد المنون وهي ما تزالُ بعد تدركُ شيئا ممَّا تطمحُ إليه كلُّ فتاة تلك الفتاة التي لا تزالُ ولن تزالُ ارتسامات وجهها تمرُّ على بصري كُلَّما ذكرتُها. ولم يزَل يتراءى لي ذلكَ الذَّكاءُ المنتقد الذي كانَ يبدو مجسَّمًا على أسرار جبينهَا.

إنَّني أهمس إلى روحكِ يا عابدة بهذه الأخبار المُؤلمة عن أختُك الفتاة الجزائريَّة التي ما تزال كما تركتُها مع الأحياء وليست منهم. وأنا أذكُرك (يا عابدة) كلَّما ذكرتُ النَّباهة والذَّكاء وكلَّما ذكرتُ اللَّطافة والرّقَّة.

فإلى روحك الطَّاهرة أهدي تحيَّاتي العطرة راجيَّةً أنْ تكونِي قد استَبدلك الله بالخير ممَّا كنتِ تتمنَّيه في هذه الحياة المفعمة بالآلام، لعلَّك يا عابدة، قد ذهبتِ إلى حيثُ الهناء والرَّاحة، وإنَّما بقيَ للمعاناة أخواتكِ اللَّاتي أعطينَ شيئًا من الشُّعورِ الإنساني.

فنحنُ قد أصبحنَ نُغيظُكَ على مرقدكَ بين رحمات ربّكَ. وإلى اللّقاء يا عابدة في جنَّةِ الفِردَوسِ إنْ شاء الله.

أُخْتُكِ الوَفيَّة

المقال الثَّاني: المرأة الجزائريّة بين الحاضر والمستقبل[1]

إنّنَا ننتظرُ يومًا ليسَ ببعيدٍ تكونُ المرأةُ الجزائريَّةُ فيهِ تُشاطرُ الرَّجلَ في سائرِ أعمالهِ، وتُساعدهُ على القيَّامِ بالأمورِ المهمَّةِ التي نَرجُو منْ ورائهَا خيرًا كثيرًا، ونفعًا عظيمًا، واليومَ والحمدُ لله قدْ تفطّنتِ المرأةُ الجزَائِريّةُ في جميعِ أنحاءِ القطرِ وأدركتِ النُّقصَ الفادحَ الذي كانتْ مصابةً بهِ

[1]– مليكة بو عامر، المرأة الجزائرية بين الحاضر والمستقبل، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 27 رمضان 1374هـ – 20 ماي 1955م.

خلالَ هذه القرونِ الطَّويلةِ علِمتِ المرأةُ في هذهِ المدَّةِ الأخيرَةِ بواسطةِ آراءِ العلماءِ أنَّ مهمَّتهَا أكبرُ ومهنتها أعظمُ ممَّا هي عليهِ الآن، فقامتْ للعملِ المثمرِ تنادِي بأعلَى صوتِهَا أخَواتَهَا في أنحاءِ القطرِ:

"أنْ تعالينَ أيَّتُهَا الأخَواتُ لإزالةِ هذا النُّقصِ الشَّائنِ الّذي نحنُ عليهِ فكلُّ واحدةٍ منَّا مسؤولةٌ على ما وجبَ عليهَا هيَّا بنَا للسَّعي لإدراكِ مُنَانَا ونَفْضِ غُبارِ خُمولنَا " فكانَ لهذا الصَّوتِ صدَى قوي في نفسِ المرأةِ الحيَّةِ التي عرفت أسرارَ دينِهَا وعلِمَتْ ما جاءَ به الإسلامُ الحنيفُ خصوصًا في صالحِ المرأةِ، فهذا الدّينُ الإسلاميُّ الشَّريفُ هو الّذي أعتقَ المرأةَ من العبوديَّةِ التي كانت سائدةً في الزَّمانِ الجَاهلي وحرَّرَهَا من قيودِهَا وغلالهَا التي كانت مقيَّدةً بهَا "إذْ ذاكَ"، فقد كانت في ذلكَ الوقتِ المظلمِ لا تعرفُ لهَا قيمةً ولا يقامُ لها وزنٌ، شأنُهَا شَأنَ متاعِ البيتِ وأثاثِهِ، لا ميزةَ تميّزُهَا. ولكنَّ الإسلاَمَ الحنيف عندمَا جاءَ بمبادئِهِ الصَّادقَةِ وتعَاليمِهِ الفَاضِلةِ، قرَّرَ لهذه المرأةِ مصيرًا محمودًا وعرَّفهَا قَدرهَا . ورَفعَ شَأنَهَا . ومنحهَا حقَّهَا وأحيَاهَا بعدَ موتِهَا . وحدَّدَ لهَا مهمَّتهَا في الحيَاةِ، فلمَّا عرفت المَرأةُ الجَزائريَّةُ هذَا كلَّهُ و أدركت نصيبًا من الثَّقافةِ العلميَّةِ والتَّحلّي بالأخلاقِ الفَاضِلةِ والآدابِ الكامِلةِ وتحقَّقت بأنَّهَا هي التي تُنيرُ السَّبيلَ لأمَّتهَا بالعِلمِ والمَعارفِ قامت ونفضَت غُبارَ الخُمولِ والرُّكودِ وبَدأت تتركُ الجهلَ وآثارهُ تتَّبعُ العِلمَ وأقطارهُ وأصْبحَت تبنِي لأجيَالِنَا الحاضرةِ والمُستقبلةِ أساسًا صحيحًا، وبُنيَانًا مرصُوصًا وهي تحرّضُ أخَواتهَا على الاجتهادِ والقيَّامِ بوَاجِبهنَّ . نَحوَ . دِينِهنَّ . ولغتُهنَّ . وأمَّتهُنَّ ووَطنِهنَّ . وشَريعةِ نبيّهنَّ السَّمحةِ .

سَيكونُ للمرأةِ الجزائريَّةِ شأنٌ عظيمٌ يُذكرُ، وعملٌ صالحٌ يؤثرُ، تتنَاقلُهُ الأجيالُ ويتحدَّثُ بهِ التَّاريخُ الّذي لا يَظلمُ أحدًا بهذَا الوَطنِ، فإنَّ مستقبلَهَا يُوجِبُ عليهَا أنْ تَكونَ مُكافحةً في ميَادينِ العلمِ والثَّقافةِ، تُحارِبُ الجَهلَ والرَّذيلةَ، وتَستبسِلُ في الدّفاعِ عنْ نفسِهَا وعنْ أمَّتِهَا ارفعِي رايتَكِ أيَّتُها

الفتَاةُ الجَزائِرِيَّةُ وقُومِي بِنَصيبِكَ فَإنَّ التَّاريخَ خَيرُ شَاهدٍ على فَضلِكِ وخَيرُ مُعترفٍ بِجهُودكِ . رُغمَ أنفِ المُنكرينَ والجَاحِدين.

تاسعا: باية خليفة

المقال الأوَّل: البدويَّة والحياة[1]

تقُوم البِنت البدويَّة صباحًا من نومِها وهي تبكي من الجُوع لأنَّها لم تجد ما تأكلُه، وتسُوق غنمَها إلى المَرعَى، بينما البنت الحضريَّة تقوم من نومِها وتتناول وجبةَ إفطارها ثُمَّ تَسير إلى المدرسة لتتعلَّم العلوم النَّافعة، وعندمَا تعُود من المَدرسة إلى المَنزل تجدُ أمَّها وأبَاها سعِيدين برُؤيتها فتقدِّم لهَا أمّها طعامًا فتنْظُر إليه غَاضِبة فتَسترضِيها بِغَيره.

أمَّا البدوِيَّة فهي تعُود إلى المَنزل فتَجد أمَّها كئِيبة حَزينة لأنَّها لم تتصل بأيّ خبر من زوجها الذي ذَهب إلى البِلاد البعيدة، فتفرَح إذا وَجدت رغيفاً تأكله وماء تشربه فتحمد الله وتشكُره.

الفرقُ بين البدويَّة والحضريَّة عَظيم تنَام الحضريَّة ليلَها على فِراش وثير وتنَام البدويَّة تفتَرِش الأرض ولم تنل من يَومها إلَّا الشَّقاء والحضريَّة نالَت في صِغرها عُلومًا نافِعة وعندما تصِير كبيرة تتمتَّع بحياتها كما تشَاء تذهَب للحفلات وتتنزَّه علَى شاطِئ البحر بينَما البدويَّة متزوّجَة أو خَادمة في بَيت الأغنِياء وإذا كان الزَّواجُ في نظَر الحضَريَّة سعادَة وهنَاء فهُو في نظَر البدويَّة آلامٌ وشقَاء فالبدويَّة تتمنَّى لَو بقيت صغِيرة ترعَى غنَمها فهِي لَا تعرف الفراش الجميل ولا الأكل اللَّذيذ وإذا قدِّر لها ووضعت أجمل طفل فإنَّها تضعُه على الحَصى، ويزيدُها شَقاءً على شقاء إنَّها لا تعرِف كُلَّ ما ينتظر ولدَها الجمِيل من آلام الحياة. لمَاذا يا قَوم هَذا الفرقُ الكبير الذِي هو بين البدويَّة والحضريَّة؟ في المُدن مدارس وعلماء، وفي القرى ظلمٌ وجهلٌ.

---

[1]- باية، البدوية والحياة، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 14ربيع الثاني 1374هـ -10 ديسمبر 1954م، مج 7، ص206.

أهلُ المُدن ينشُدونَ سَعَادة أهل القُرى، ولكِن أين هذِه السَّعادة؟ لم يبنُوا لها مَدارِس تتعلَّم فِيها سِيرة الرَّسُول ﷺ وسِيرة الأجدَاد فتَعرِفَ الفَرق بينَ الخَيرِ والشَّرّ وترفَع رَأسَها وتقُول: "أنا خُلقت فِي هذه الحَياة لأكُون حُرَّة لا مستَعبدة عِند الأغنِياء فالله قد أعطَى لِي حقًّا في هذِه الحَياة فيجب أن آخُذه".

ولكن وَا أسَفاه! من يستمع إليها ويَلفت نظرهُ نحوهَا وبينها وبين أهل العلم ستارٌ فلا يستطيع فهمها إلَّا من عاشَرها ورأى بعينِه وسَمع بأذُنيه الألَم الذِي تقَاسيه طُول حَياتها وهِي لا تنتَظِر من الحياةِ سَعادة ولكِن في قلبِها إيمانٌ قويٌّ صادقٌ مخلصة لربّها ترجُو رِضاه لتنَال السَّعادة في الدَّار الآخرة، نجِدُها تصلّي كما رأَت أمَّها تصلّي لا أكثر ولا أقلَّ وهي تجهَلُ شُروط الصَّلاة ولا تجد من يعلِّمها، تنظُر لكتَاب الله نظرة إجلال وتقُول والدُّموع تجرِي على خدِّها "يا ليتَني كُنت مُتعلِّمة".

أنظُري أيَّتها الحضريَّة إلى إيمَان البدويَّة وكُوني مثلها أو أكثر منها فأنتِ تعرفين شروط الصَّلاة، ولكن وا أسفاه! قد غرَّتك الحَياة الدُّنيا بزُخرُفِها وما فِيها من اللَّهو والمَرح فتركتِ الصَّلاة وبها تركتِ الدِّين، فاحذَري من الاستغناء عنها كَما تفعَلُ بعض النِّساء.

أيُّها العلماء أيُّها الأدبَاء، ألَم يرقّ قلبكُم لحالِ المرأة البدويَّة ألم تكن في قلوبكم رحمة فترحموها كما رحمتم بنت المدينة فابنوا لها المدارس، وأعطُوها حقَّها في هذِه الحياة، إنَّها ترفعُ طرفها إلى السَّماء وهي تقولُ: "متى ينتهي هذا العذابُ يا رب متى ينتهي!"

يا أهلَ العِلم والأَدب، ويا أهل الجَاه والمَال ارحمُوا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء أخرجوها من الظُّلمات وسيروا بها إلى نُور العلم كبنت المدينة إنَّها تعيش كالبهائم، على الأرض فأدِّبُوها وسِيروا بها إلى الطَّريق المستَقِيم طريقُ الجنَّة والنَّعيم وأجرُكم على الله إنَّه لا يضيع أجر المحسِنين، علِّموا البنت أنَّ تعليم البنت هو الذي يَرفعُ عن الأمَّة الجهل والأميَّة، ويصعدُ بها إلى أعلى عليِّين.

المقال الثَّاني: قيمَة المرأة فِي المُجتمع[1]

كلَّما ألقى الإنسان نظرةً عامَّةً على المرأة المسلِمة الجزائريَّة وجدها متأخِّرة جدًا في جميع ميادين الحياة غير أن مسؤوليَّة هذا التَّأخر والانحطاط وعدم الكَفاءة والقدرة على القيَّام بمهامِها التي نيطت بها كعُضو حيّ في مجتمع يطلب منه أن يسير مع المجتمعات التي تعيش في عصره أنَّ هذه المسؤوليَّة الأليمَة التي حطَّت من قدِر المرأة الجزائريَّة لا تتحمَّلُها وحدها بل يتحمَّلُها معها الرَّجل إن لم نقُل يتحمَّلها وحدَه لأنَّه هو السَّادن الذي بيدِه مفاتِيح الكُنوز ثم غلق الأبواب على المرأة المسكينة وحرمانِها من كنُوز المعارف والأفكار وحرمَانها قرونا طوِيلة حتى جهلت ونسيت نفسها وأصبحت تعتقد أنَّها خُلقت لغيرها كما خُلق الجَمل لحَملِ الأثقال فَقط وغاب عن ذهنها أصلا أنَّها ذات صِلة بعائشة الصدّيقة بنت الصدِّيق أمُّ المؤمِنين التِي حملت لِواء العلم حتَّى قال فيها رسول الله ﷺ خُذوا نصف دينكم عن هذه الحمراء وكَانت مرجعا علميا يَرجع إليها المتحدِّثون والعلماء لتصحِيح الأحاديث والفقه وغاب عن ذِهنها أنَّها هي المدرسة الأولى التي تهيّء أفراد الشَّعب حتى أصبحت لا تشعُر بمسؤوليَّة الأمَّة والوطن كلُّ ذلك سَببُه الرَّجل أولا وبالذَّات لأنَّه لم يفتَح أمامها أبوابَ المعارِف ثمَّ لا نبرِّئها هي أيضًا من المسئُوليَّة لأنَّها أعانت على نفسها ورضِيت لها هذه الوضعيَّة الحقيرة.

فإذا كان للرِّجال واجب فللمرأة واجِبَاتٌ جلّى ورسالات عُظمى وليعلم المسؤولون عن المرأة بأنَّ تيَّار الفتاة اليوم قويٌّ وقويٌّ جِدًا فهو يُطالبهم بأن يسمحوا لها بالدُّخولِ إلى المُجتمع دخولا عمليا يساعدها على تأدية رسالة الأمومة كَاملة غير منقُوصَة وتكُون قد ضحَّت تضحية فعليَّة وذلك الدُّخول يكون بمشاركَة البنت في التَّعليم الحقيقي الذي هُو مادة الرُّوح وإكسير الحَياة ثمَّ إنَّ المرأة

[1]– باية خليفة، قيمة المرأة في المجتمع، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 28 ربيع الثاني 1374هـ– 24 ديسمبر 1954م، مج 7، ص222.

من الأمَّة كالرُّوح من الجسِد والرَّاحة من اليدِ إذا صلُحت صلُحَت الأمَّة كلَّها وهِي المدرسة الأولى التِي تلقي دروسها الحيَّة على الطُّفولة في طور الأمُومة ومنارٌ يُهتدى به في الظُّلمات.

ولئِن كانَ الرَّجل قوّاما عليها في الإنفاق ومقدما عليها في مواطن الحُروب والدِّفاع فهي بدورها قوَّامَة عليه في تدبير المَنزل المهيَّأ للرَّاحة والهناء ومقدّمة عليه في تربيّة صغارِ الأبناء تلكُم التَّربية التي تكُون لما بعدها كالأسَاس للبناء ومن أجل ذلك كانت الأخلاق التي تعوَّد الأمَّهات عليها أبناءهنَّ في طور الصّبا أوقَع في نفُوسِهم ممَّا يعوِّدهم عليهَا المعلِّمون والآبَاء في طور الطُّفولة والمرأة ليست كما يظنُّ البَعض لم يكُن لهَا نصيبٌ من الحريَّة والثَّقافة وبِظنِّهم هذا جحَدوا مدنيَّتهم الزَّاهرة لجهلِهم بتاريخ بِلادهم وحَضارة الإسلَام فمَا مِن ناحية من نواحي الحضَارة والثَّقافة إلا ولها فيها نصيب موفور فها هي في الفتوحات الإسلاميَّة ساهمت مع الرِّجال واشتركت معهم في ميادينِ القِتال وداوت الجرحى واكتتَبت بِمالها وحُلَيّها لمساعدةِ نشرِ الإسلام والفَضيلة فكان لها من ذلك أجرٌ كبير.

تبسة

عاشرا: لويزة قلال

مقال: حول "المرأة الجزائريَّة"[1]

إلى الأخت الرُّوحيَّة التي رفعَت بعض الالتباس عن قلوبنا، وكشفَت عن كثير من مَعانينا التي كنَّا نحسَبها مَحاسن، إلى الكاتبة الجزائريَّة الدَاعيَّة إلى الفضِيلة الآنسة "زهور ونيسي" أهدي أزكى تحيَّاتي وأسمَى احترِاماتي.

[1]- لويزة قلال، حول المرأة الجزائريّة، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 20 جمادى الأولى 1374هـ- 14 جانفي 1955م، مج 7، ص248.

كم هزَّ عواطفي، وحرَّك مشاعِري ذلك المَقال المُمتع المفيد الذي أبرزتُهُ كحُسام مهنَّد ضدَّ الشُّؤم والرَّذيلة في جرِيدتنا البَصائر الغرَّاء تحت عُنوان: (المرأة الجزائريَّة والتَّمدُّن).

وكم أعجَبني ذلك المَوضُوع الذِي عَالجته بعد أنْ غفل عنه كتَّابنا الفُضلاء وهُو من أهمِّ المواضيع وأمسِّها بحياة المرأة الجزائريَّة المسلمة العربيَّة.

نعم! أعجبنا بتوفِيقك لاختِيار الكتَابة فِي هَذا المَوضُوع الأهمّ وتمنَينا أن تكُون كلمتك البليغَة مؤثِّرة نافذةً إلى سويدَاء القلُوب حتَّى تتَغلغل بها أفكار الفتَيات اللَّواتي فُتنَّ بالمظاهر الخلابَة فامتلكت نفوسهُنَّ، وظنَّ أنَّ الكَمال فِي تلك المَدنية الكَاذبة والتَّحسِينات الزَّائفة، ويَا ليتك أيُّتها الأختُ الأديبة تسترسلِين في الكتَّابة فِي مثل هذه المَواضيع المُفيدة متتبِّعة مُعظم المَزالق التي أوقَعت المرأةُ الجزائريَّة صرِيعةً تتَخبَّط فِي ظُلماتٍ مِن الغُرور ومَا أكثر تِلك المزَالق حَقًّا – أخيَّتي – إنَّ المرأة الجزائريَّة بعيدة كل البُعد عن الحَياة بمعنَاها الحقيقي الذِي هُو حياة العِلم والأدب والمُروءة ما دَامت لم تتَّخذ دينها وقرآنها دُستورا لسَيرها في هذه الحياة المحفُوفة من كلِّ جوانبها بالأشواك، إذْ لا يليق ولا ينبغي أن تعيش مقلّدة في جميع حركَاتها للأجنبيَّة التي لم تحفَل بالأديان ولم تنتسب إلى القرآن: فعَسَى الله أنْ يهديَ بك وبأمثالكِ البنات الجزائريَّات فيَنشأن على التُّقى والعلم والعفَّة كأخواتِهنَّ الشَّرقيَّات.

ها إنّي اليوم أتشرَّف إليك بالكِتابة كأخت تشعُر بشُعورك وتُؤمن بِصدق كَلامك وتعترف لك بالفضل وتبعث إليك بثنائها وشكرها الحارّينِ.

عين أزال

مقال واحد أيضا شاركت به الكاتبة المذكورة وقد جاء تشجيعا لمقال صادر من زميلة لها، والمقال في لغته ومضمونه لا يعدو أنْ يكون تكثيرا لمشاركة المساهمات النَّسوية في الصُّحف، وهو من المقالات التي تساهل القائمون على الجريدة في نشرها على سبيل التَّدريب والتَّشجيع، وكسر

حاجز التَّردُّد عند الكثيرات، ومنح فرصة لبعض المواهب التي قد تكون هذه البدايات طريقها إلى النَّجاح.

الحادي عشر: خديجة بوكثرة

مقال: الوردة الذَّابلة[1]

أتقدَّم لأوَّلِ مرَّة في حيَاتي لأسجِّل كلمة على صفحات "البصَائر" وما دفَعني لتسجِيلِها وكِتابتِهَا إلَّا ما أحسُّ به فِي نفسِي من اللَّوعَة والأسَى لمَوت زمِيلتِنا التِّلميذَة العَزيزة (نجيّة أولبصير) كريمة السَّيد عَلي أولبصير رئِيس المَدرسة. وقَد حزَّ فِي فُؤادِي هَذا الرَزء الذِي بِسَببه وجدتُ نفسِي مدفُوعة بقوَّة إلَى تخلِيد ذِكراه للأجيَال علَى أعمِدة "البصَائر".

إن نسِيت فَلا أنسَى تلكُم المَواقف التِي كانَت تقفُها (نجية) في الاحتفالات وهِي تُخاطب الجَماهير بلسانٍ كلُّه فصَاحة وبأسلُوب كلُّه نار، يحَرك الهِمم، ويثِير فِي السَّامعين روح الحميَّة، فهِي مرَّة تحُثُّ الجُمهور علَى الاتِّحاد، ومرَّة تتَقدم إليهِ مُرحِّبة شَاكرة باسمِ العِلم، بِاسم المدرسَة، باسم جمعيَّة العُلماء التِي تقدّسُها وتعظِّمُها رغم حدَاثة سِنِّها.

إن نسِيت فَلا أنسى –ما حَييت– تلكُم الأخلَاق التِي ينذُر أن نجِدها فِي غَيرها مِن الفتَيات والزَّمِيلات، أهمُّها: حسنُ مُعاشَرتِها لزمِيلتها، وكَيفما كَان الحَال فهِي باسِمة الثَّغر بشُوشَة معَ الجَميع.

إن نسِيت فَلا أنسَى ذَلِكم اليَوم الذِي ودَّعت فِيه هذا العَالم الفَاني، ولِسَانها يرَتِّل آيات من الذِّكر الحَكيم، حَيث اختَطفَتها يدُ المنون إثرَ مرضٍ مُفاجِئ أخرَّها عن المَدرسة نِصف يَوم فقَط،

[1]– خديجة بوكثرة، الوردة الذابلة، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 2 رجب 1374هـ–25 فيفري 1955م، مج7، ص299.

وكَان تأخِيرها إلزاماً عَليها مِن طَرف أبِيهَا بِدعَوى أنَّها مرِيضَة، ورُغم ذَلك أجابَت أباهَا أنَّه لا يرضِيها بحَال هَذا التَّخلُّف الذِي يُسَبب لَها التَّأخُّر في فَصلِها، بينَما زمِيلَاتها يحضَرن ويَتقدَّمن.

وهَكذَا انتَهت حياةُ (نجيّة) وهِي آسِفة عَن فِراق المَدرسَة والتَّعلِيم أكثَر مِمَّا كَانت آسِفة على فِراق أمِّها وأبِيهَا.

فإلى أبِيهَا المُحتَرم وإلى عائلِته المُحتَرمة وإلَى كافَّة زمِيلاتها وإلَى والِدها الرُّوحي (الأستاذ عبد المالك فضلاء) وإلى نفسِي أرفَع تعزِيَّتي الحَارَّة التي تنبَعِث مِن قلبِ مكلُوم في الصَّميم، راجِيةً للجَميع حُسن العَزاء، وللفقِيدَة حُسن الجزَاء، وسَلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته عليك أيُّتُها الأخت العَزيزة (نجية).

تازمالت

الثاني عشر: فريدة عبَّاس

مقال: شكر وأمل[1]

بينَما كنتُ أنظرُ في جريدةِ البصائرِ الغرَّاء وأتصفَّحُ عناوينَها، وأتنقَّلُ من روضةٍ إلى روضةٍ لأقطفَ زهرة شذيَّة أو ثمرة يانعة من حدائق الفكر النَّيّر والقريحة الوقَّادة، وأنا لا أستطيعُ الصَّبر على قراءتها، وكيف أصبر عليها؟ وهي التي أجدُ فيها أمنيَّتي الوحيدة وضالتي المنشودة وهي التي جدَّدت للُّغة العربيَّة شَبابها وعهدها الزَّاهر في هذا الوطن العزيز بمقالات تزخرُ بالأدب الحيّ الصافي المعين وعالجت المشاكلَ المختَلفة المُتنوّعة من اجتماعية، وسيَّاسيَّة، واقتصادية وثقَافيَّة وسارت على خُطَّتها هذه بإيمانٍ ثابتٍ، وعزمٍ صادق، وحكمةٍ بالغة، حتَّى أنارت أذهانَ هذا الشَّعب الأبيّ وأحيَت ما كان فيه ميتا من الآمال، وحرَّكت ما كانَ ساكنًا فيهِ من المواهبِ وأيقظت شُعوره

[1]– فريدة عباس، شكر وأمل، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 23 رجب 1374هـ–18 مارس 1955، مج 7، ص323.

وعَوَاطفَهُ حتَّى اهتَدَى إلى طريق الهداية والصَّواب، ولكم كانَ سروري عظيمًا حيثُ عثَرتُ على مقالاتٍ لأوانسٍ جزائريَّات.

كأنَّها أزهارٌ تفَتَّحت عن إقاح، فهي تدلُّ على شعُورٍ مُرْهَفٍ، وذوقٍ سليم، وأدبٍ رائع معَ أنَّها تحتَوي على توجيهاتٍ مفيدة، ونصائِح ثَمينة إلى شبَابنا الذي هجرَ العُلوم والفضيلةَ وانكبَّ على الرَّذيلةِ حتَّى أصبَحَ في المُؤَخّرة وإنّي أشكُرُ الأختَ زهور على المقَال الذي دبَجه يراعها تحتَ عنْوَان (شبابنا) فاستلفتُ الأنظار حتَّى تصَدَّى للردّ عليه شابٌ من شَبابنا النَّاهض، وأحيَا فيها هذا السُّموّ الكريم، إنَّها لجديرةٌ بالإعجابِ وإلى الآنسةِ لويزة قلّال أقدّمُ أيضًا مزيدَ الشُّكرِ وأحرّ التَّهاني على هذه الخطوة المباركة الموَّفقة التي خَطَتها في ميدان الأدب راجيَّة أن تتْلوها خطواتٌ أُخرى إنْ شاء الله وسوفَ لا يمرُّ علينَا زمنٌ قليلٌ حتَّى نُشَاهدَ المرأة الجزائريَّة، قد التحقت بصفوف إخوانها منَ الرّجال المُنَاضلينَ عن الدّين والخُلقِ الكريم، وتقتحمُ ميادينُ الحياة وتسيرُ معَهُم جنبًا لجَنبٍ في طريقِ العَمل المُثمِر ونرجو أن تكُونَ خطوة تلك الأوَانس فاتحةَ عهدٍ جديدٍ لفتياتنَا حتَّى يَخُضْن مَعَاركَ الحيَاة الثَّقافيَّة وغيرهَا ويُحطّمن أغلال الجُمود والتزمت والعوائد المُستهترة ويتَخلَّقنَ بأخلاقِ دينهنَّ الحنيف والله على ما يشاء قدير!

الثالث عشر: العالية لعلى بو علي

العالية لعلى بو علي: لم أعثر لها على ترجمة فيما اطَّلعت عليه من مصادر الأعلام الجزائريّين.

المقال الأوّل: وظيفة المرأة في الحياة[1]

لئن كانت للرَّجل وظَائف تُثقلُ كَاهلهُ وتشْغلُ بالهُ، ولا يَهْنئ لَه ضَميرٌ إلاَّ إذا أدَّاهَا على أكمَل وجه وأحْسن حَال، فالمَرأة هي الأخْرى ذاتُ مهام عديدة، ووظائفَ أكيدة لا ينْبغي لهَا أن تغفلَ

[1]– العالية لعلي بوعلي، وظيفة المرأة في الحياة، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 16 ربيع الثاني 1375هـ– 2 ديسمبر 1955، مج8، ص186.

عنهَا وتتنَاساهَا وهي طبعًا تُلامُ شديدَ اللَّوم إذا بدَأ عليهَا نوعٌ من التّقصير أو الإهمَال، بلْ وتعاتبُ عتابًا مرًّا على الإخْلال بهَا، وعدم النُّهوض بمَا يمليه عليها الوَاجبُ وما يفرضُه الضَّمير. نعم ليسَت المَرأة إلاّ أحَد شَطريْها، فلتفهم هذه الحَقيقةَ ولتَجعلهَا نُصب عينيْها في كلّ وقْت من أوقاتها لتكُون لها دافعًا قويا يدفعهَا إلى المثل العُليا وهدَفًا ساميًا يعلو بها إلى سمَاء العزّ والسَّعادة...

ومهمَا أدرَكت المرأةُ هذا الواقع الصَّريح لم يبقَ عليهَا إلاَّ أن تستعدَّ وتهيّئَ نفسهَا لتكون العُضو النَّافع، بل العضُد الأيمَن للرَّجل حتى يتسنَّى للشَّطرين – وهما مجتمعَان – أن يسيرَا قدمًا نحو عمل أحسن، وحياة أفضل.

ولا تَعتقد أيُّها القارئُ الفَاضل أنَّ حديثي موجَّه لأيَّة امْرأة كانتْ، ولكنّي قصدت به المَرأة الجزائريَّة وحدَها لأنّي على اطّلاع واسع من حيَاتها، ولأنَّ لي درايةً تامَّة بإحسَاسها وشعورهَا، وليس هناك اختلافٌ كبيرٌ أو تباينٌ عظيمٌ بينَ النّساء المسْلمات في شتَّى بقاع الأرض الجزائريَّة.

خصَّصتُ هذا الحَديث للمَرأة الجزائريَّة حتَّى تكونَ على بيّنَة من أمْرها، وتفيقُ من سُباتهَا وتثوب إلى رُشدهَا، وتعلَم أنَّها امرأةٌ من الجَزائر وإلى الجَزائر لا يحقُّ لهَا أن تُهملَ مسْؤوليَّاتها وتفْقد شخصيَّتَها، وترضَى بأنْ تبقى مجهولة الأصْل، عديمَة الأهميَّة لا عيرَ لها في مجتَمعنَا ولا نفي يحْسبُهَا النَّاسُ أنَّها آلة لا تصلحُ لشيْء سوى النَّسل، ولا تَتطلَّع لأكْثر ممَّا يملأ البطنَ ويمُت للاستلذاذ بسبب.

ألاَ فلتُبرهني على وجودك أيَّتها المَرأة الجزائريَّة فليسَ الوقتُ وقتَ لَهْو ومتَاع، ولتُعلني للمَلأ بأنَّ لك شُعورًا صادقًا لا يقلُّ عن شعور الرَّجل، ولتُساهمي بأفكارك، وثروتك، وجهُودك، في سبيل إنقَاذ وطنك من بَراثن الذّئاب الجَائعة، فكها من بين أنياب الوحُوش الضَّارية وتحطيم الأَغلال عنْها لتصبحَ حرَّة طليقةً، قد استعادت سيادتها المغصُوبة، واستردَّت سُلطتها المسْلوبة ...

إيه أيَّتها المَرأة الجزائريَّة انهضي وانفُضي غبَار الكَسل عنْك، وأَزيلي ردَاءَ الجُمود الذي كبَّلك واسْتَجيبي للحيَاة فهي تدعُوك، وكُوني أسْماء بنْتُ أبي بكر الصدّيق، وهند بنت عتْبة وأمّ أبان، وخوْلة وعزَّة بنت عامر، ومن إليهنَّ من اللَّائي شَاهدن وقعة اليَرموك الشَّهيرة، وتأهَّبن ليَصِحنَ في وجْه كلّ مُجَاهد يريدُ أن يرجع القهقري ويفرّ من ساحة الوغَى. ولا تَكوني من أُولئك اللَّواتي لا همَّ لهنَّ إلاَّ اللّهو والاستلذاذ، ولا شيء أحبَّ إلى نفوسهنَّ من الأعْراس والمَآتم.

واحذري أن يعزُب عنْك ما أنت مُطالبَة به من عمَل جليل وسَعي عظيم لخَير أمَّتك وصَالحها...

لأَنَّ بلادك يا سيّدتي تتشوَّف إليك فما هي الخدمَات التي ستقدّمُها إليها؟ إنَّ المَجال أمَامك فسيح فشمّري على سَاعديْك، وإنّي أهيبُ بك أنْ لا تظلّي عالةً على الرَّجل في الكبيرَة والصَّغيرة وأنَاشدك أن تعتَمدي على نَفسك، وأن تخفّفي عَنهُ ما أمكنَ من دَواعي المَنزل البَاهظة على الأقَلّ ليتفرَّغَ هو إلى أعْمَال أهَم وادَّعى إلى الاشْتغَال بها ...

ولا سبيلَ لك للحُصول على قسْط وافر منَ الحيَاة إلاَّ إذا قدَّمت مجهودَات جبَّارة كَعُربون خَالص من أجْلها، وتعهَّدت وظائفَك، وسَهرت على تنْفيذهَا بنشَاط وإتقَان، تلك الوظَائفُ التي من شَأنهَا أنْ تَرفعَ من قيمَة المَرأة الجزائريَّة وتقْعدهَا في مسْتوى رفيع يليقُ بها، ويخْلقُ لهَا مركزيَّة عُظمَى بينَ سائَر نسَاء الأُمَم الحيَّة.

الرواشد

المقال الثَّاني: المرأة العربيّة بين عهدين[1]

كانت المرأة في عصر الجهل والظّلمات مهضومة الجانب، محرومة من كلّ عدل وعطف ورعاية، بعيدة من كلّ الميادين بعد أجسام الشّهداء عن الجحيم، نظرا للحواجز المقاومة في وجهها كي لا يتسرّب إليها شعاع النّور، ولا يدغدغها نسيم الحرّية؛ تلك السّدود التي كان يلجأ إليها القدماء فيضربون بها أسوارا محكمة حول المرأة لئلاّ تجد لنفسها متّسعا فيضيق صدرها وتقضي نحبها خنقا...

وكانت المرأة في عهد الوحشيّة الفاضحة، والعصبيّة الجائرة، عرضة لهجمات القبائل المتعاديّة وهدفا رئيسيا لغارات الغازين نكدا و..و.. وتشفيا.

وكانت في.. زمن الهمجيَّة السَّافلة والطُّغيان الآثم، تقبر في لحدها على أثر وضعها في مهدها خشية أن تلطّخ شَرف أقاربها إذا هي أبقيت حيّة، وبلغت أشدّها وسرى ماء الفتوَّة في عروقها وأصبحت فتاة في عنفوان شبابها، وأخذ مغناطيس الغريزة البشريّة يلفت إليها أنظار من هم في سنّها من الرّجال.

... وهكذا كانت الأحكام العرفيَّة والتَّقاليد العمياء ترغم النَّاس أن يعاملوا المرأة بمثل هذه المعاملة التي تقشعرّ لها الجلود، كأنّ قلوبهم – في قساوتها – حجارة أو حديد، فهي لا ترحم ولا تلين، وهي لا تكفّ عن غيّها، ولا تقلع عن باطلها ولا تزيد للمرأة إلاّ إهانة واحتقارا، وهيهات أن تحمل لها حرمة، أو تعترف لها بحق إنساني، ومن هي المرأة التي تستطيع – إذ ذاك – أن تدلي برأيها أو تباشر خدمة شعبيَّة بنفسها، أو تشارك الرّجل في أعمال، أو أفكار، أو تدابير، تعود على

[1]– العالية لعلي بو علي، المرأة العربية بين عهدين، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 19 رجب1375هـ 2مارس 1956م، مج8، ص291.

الجنس البشري بالصَّالح العام؟ ومن التي تقدر أن تعبّر عن إحساسها وتصف شعورها، وتثور عن الكبت الذي تسلّطه عليها قوَّة غاشمة من طرف الرَّجل المستبد!

بمثل هذه الصُّورة البشعة، وبمثل هذه الحالة التَّعسة، قضت المرأة قبل الإسلام حياتها – في مذلَّة وشقاء – ترزح في قيود العسف والإرهاق، لا يُفارقها الظُّلم ولا تذوق طعم السَّعادة لحظة واحدة من عمرها؛ ناهيك أنَّ الرَّجل الواحد يقترن بعشرة نسوة، فيرحم منهنَّ من يشاء، بيده الأمر والنّهي فلا راد لما يأمر به، ولا ناقض لما يبرمه، فهو السُّلطان الجبَّار، ونساؤه مطيعات. أليس هذا هو الهوان بعينه! أليس هذا ظلما بيّنًا من عنصر الرّجال لعنصر المرأة؟ أليس هذا الاستعمار أدهى من استعمار الأمم القويَّة الضَّعيفة؟ اللهمَّ إنَّها النّهاية في القساوة والنّكاية وعدم احترام حقوق الإنسان!!!

ولكنّ اللّيل مهما طال لابدَّ أن يظهر صبحه، وتبزغ شمسه؛ والظّلم مهما اشتدَّ لابدَّ أن يحين انجلاؤه ويصلَ إلى نقطةِ النّهاية؛ والبَاطل مهما صال وجال لابدَّ أن يضمحلَّ ويزولَ ويحلَّ محلُّه الحقّ "ولن تجد لسنّة الله تحويلا " وشاءت إرادة الله أن يمحي ذلك الحيف، وأن تصبح للمرأة حقوق مشروعة في هذه الحياة تعيش بها هادئة مطمئنَّة وتتولَّى هي الدّفاع عنها بنفسها والمحافظة على مشروعيتها والعمل على إثباتها، والسّهر على تدعيمها وتعميمها في أوساط المجتمع النّسائي، حتّى تنال كلَّ امرأة حقوقَها كاملةً واضحةً لا نقص ولا غموض.

وأرسل الله رسوله بالهدى ودين الحقّ، وأعلن على لسان نبيّه حقوق الإنسان قبل أن تنطق بها. المدنيَّة الحديثَة بما يربوا عن العشر قرون، والمرأة ولا شكّ أحد عنصري الإنسان الذي جهر رسول العدل والحرّية بحقوقه، بل المرأة كانت موضع عنايته صلّى الله عليه وسلّم أكثر من الرّجل، حتّى ثبَّت لها حقوقها ورسم لها حدودها.

ومنذ ذلك أصبحت المرأة صاحبة حقّ معلوم، وذات شرف مصون، لا يجرؤ أحد على انتهاك حرماتها، والحطّ من قيمتها، والنَّيل من كرامتها وسلبها من عزَّتها، ومنع نور الحرّيَّة – التي

لم تخرج عن حدودها – من الانطلاق إليها، ونسيم الحياة من الهبوب عليها، وَوَأْدِهَا من غير جرم اقترفته والسَّعادة الحقيقيَّة وظفرت بالمساواة، وظلَّت مع الرَّجل في كف ميزان واحد لا يعدلها، ولا تعدله، كلّ له حقوقه وكلّ عليه واجباته يتعيَّن عليه القيّام بها، وهو مسؤول عليها، مذموم أن تراخى أو تهاون بها، فلتحمد المرأة عامَّة، والمرأة الجزائريَّة خاصَّة ربّها على الدّرجة التي ارتقت إليها بفضل الإسلام ولتعلم أنّها – بهذا الاعتبار– متوانيَّة جدًا على المهام المطالبة بها، وهذا ما تركنا في العصر الحاضر نرى التَّوازُنَ يختلُّ بين الجنسين وما ذلك إلاّ لأنَّ الرَّجل شاعر بتبعاته، جادٌّ في النّهوض بواجباته.

أمَّا المرأة فقد أطلقت الحبل على الغارب، ومالت إلى التَّرف والخلاعة وأبت أن تحافظ على سمعتها، وتجتهد في التَّثبُّت بمرتبتها العاليَّة من حقّ إلاّ إذا تحرَّكت ونفضت عنها غبار الكسل ووثبت وثبةً واحدةً، تكون بها محاذيّة للرّجل، وريَّضت نفسها لتسير بخطى سريعة، فتشاركه في كلّ الميادين؛ وتفرض نفسها فرضًا حتَّى يعترف بها، ويتشجَّع بوجودها إلى جانبه وتعيد ثقته بها، وتكسب خطوة عنده كاملة كما جعلها لها الشَّرع العزيز.

انتبهي أيّتها المرأة الجزائريّة، واحرصي على أن تكوني سيّدة حقّا، وأن يحسب لك حسابك وتسمع الألسن ناطقة بالثَّناء عليك، ومردّدة جميل خصائلك، وما ذلك بالصَّعب عليك إن أنت نفَّذت الواجبات التّي نفصّل لك بعضها في بضعة أعداد قادمة إن شاء الله وإلى اللّقاء.

الرواشد

المقال الثَّالث: هل المرأة متديّنة[1]

سُؤالٌ يَبدُو – في أوّلِ لَحظةٍ – أنَّهُ غَريبٌ، وَلكن بَعدَ التَّمعُّن فيه والتَّبصُّرِ في مَضمونهِ، تَزُولُ الغَرابَةُ وتَثبُتُ الحَقيقَةُ المُرَّةُ التي لا مَفرَّ منهَا، تلكَ الحَقيقَةُ الواقعيَّةُ التي نَلمسُ منها جَوابًا مُقنعًا عَلَى هذا السُّؤَال، ولا يَكُونُ الجَوَابُ إلاَّ بالنّفي قَطعا، لأَنَّ المُشاهدة وحدها تكفي لتكون حجَّة دامغة على أنَّ المرأة في بلادنا – بصفة إجماليّةٍ – ليست متديّنةً وليسَ الدّينُ في نَظرهَا إلاّ خرافةً قديمةً أخنى عليها الدّهرُ كمَا أخنى على لُبَد؛ وَ مَا الدّينُ في عَقيدتهَا إلاَّ للعجوزِ المسنّةِ التي انْقطعَ طَمعهَا في الحياةِ، وأصْبحت تُحسُّ بأَنَّ الموتَ، يَدنُو منهَا وهي تُسرعُ إليهِ.

ومَا دَامت الحَقيقَةُ وَاضحَةً، والقَضيَّةُ مسلّمةٌ لا جدالَ فيهَا؛ فما الذي يمنعنَا من أَن نَأخُذ بيَد المَرأةِ الجَزَائريَّةِ المسكينَةِ التي قضَى عليهَا جهلهَا، وطَغَى عليهَا تيَّارُ المَدنيَّةِ الغَربيَّةِ – المليئَةِ بالأوبئَةِ الفَتَّاكةِ – فجَرفَها إلى مُنحدرٍ خَسرتْ بهِ سَبيلَ عزّهَا وشَرفهَا، ألا وهو دينُهَا الحَنيفُ!؟

إنَّهُ لَمنَ الوَاجب عَلى كُلّ امرأة رَزَقها الله نصيبًا منَ التَّبصُّر والمَعرفَة، أن تَرشُدَ أختَهَا للتَّمسُّك بدينهَا والتّشبُّث بأهدابه، والوُقُوف عندَ حُدوده والامتثَال لأَوَامره وعَدَم الخُروج عَن قَوانينه، والعَمَل بمُقتَضَياته وتَعَاليمه...

وإنَّ على الرَّجُل أن يُقوّمَ امرَأتَهُ حتَّى تَكُونَ قدوَة لغَيرهَا في الطَّاعة، ومَضرِب المَثَل في العبَادة وعَليه أن يُهذّبَ نفسَهَا، ويَخلقُ فيهَا صفَةَ الأَمَانَةَ حتَّى تَشعُرَ بأَنَّهَا أمينة على دينها، وأنَّ الدّينَ أمَانَة عندَهَا يَنبَغي لها أن تَكُون محَافظَة عليهَا وتَرعاهَا دونَ أنْ تغفَلَ علَيهَا وتُهملَها.

[1]– لعالية لعلي بوعلي، زاوية: هل المرأة متدينة؟، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجمعة 10 شعبان 1375هـ – 23 مارس 1956م، مج 8، ص323.

وما هي قيمة المرأة إذا نَسيت دينَها العَزيز الذي رفَع من معنَويَّاتِها، وجَعل لهَا مَكانةً مرموقةً في الحيَاةِ الدُّنيويَّةِ، وأعلَنَ لهَا حُقوقًا تُخرجُهَا منَ الظّلمَاتِ إلى النُّورِ، وتَسمُو بهَا إلى دَرجاتِ العزَّةِ والكَرَامةِ، وتعلُو بهَا إلى منَازلِ السُّؤدَد والمَهَابةِ.. و!!!؟

وكيفَ تَكونُ... جديرَةً بالاحترَامِ وحريَّة بالاعتبارِ، إذَا كانت تضيّعُ أهمَّ تَبعةٍ ألقيَتْ على كاهلهَا وتَرمي بهَا ورَاءَ ظَهْرهَا، وتُلْقي بهَا إلى مَكانٍ قصيٍّ، وتُوَلّي وجْهَهَا شَطر اللَّهو والزّينَةِ وتجعَلُهُمَا نُصْبَ عينيهَا فتَذْهبُ مُهَرْولةً نَحوهمَا، لتَتلهَّى بشَهْوتهَا ولا تَفيق من غفْوتهَا حتَّى يُؤذّنَ المُؤذّنُ بانتهَاء أجَلها! اللّهمَّ إنَّ مثْل هذه لا يَجدرُ بهَا أن تَكُون أهْلاً للاحترامِ والتَّبجيلِ!!!

إنَّ أعظمَ مسؤوليَّةٍ تُواجهُ المرأةَ الجَزَائريَّةَ وهي في طريقهَا إلى التّقَدُّمِ والرُّقي هي مسؤوليَّةُ الدّينِ وكلّما اسْتعصَى عليهَا أنْ تُمرّنَ نفسهَا على التّديُّنِ، عسُرَ عليها ما تنشدُه منْ حرّيَّة، وتتبجَّحُ بهِ منَ الانطلاقِ وعدمِ التَّقيُّد بقيود المَنْزلِ والحجابِ، ومتى أرادت أنْ تضربَ بقسْطهَا مع الرَّجُل في كلّ ميدانٍ، كانَ لزَامًا عليها أنْ تُشْربَ قلبهَا الإيمَان الصَّحيح، وتَمْلأ فُؤادَها ثقةً بنَفسهَا، وتَسير على منْهاجِ دينهَا القويم، وبذلكَ يَكُونُ منَ السَّهل عليهَا أنْ تصبُو إلى مَا تصبُو إليْهِ نسَاء العَالَم المُتمدّنِ وترنُوا إلى ما ترنُوا إليْهِ كلُّ امرأةٍ مثَّقفةٍ في كلّ شعبٍ يتمتَّعُ بالحرّيَّةِ الحقيقيَّةِ والحضَارةِ الصَّحيحةِ.

الفصل الثّاني:

المقال النّسوي في جريدة البصائر وأثرهُ في الإحياء اللّغوي

الفصل الثاني:

1- المبحث الأول: الصّحافة في جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريّين: اعتمدت جمعيّة العلماء المسلمين على وسائل عدَّة؛ بُغيَة نشر الوعي والصَّلاح لأفراد المجتمع الجزائري؛ فقد اعتمدت المسَاجد والصُّحف والمجلّات منابر لنشر دعوتها، وكانت الصّحافة أحد أفضل منابرها بما تحقِّقه من عمليّة نشر الأخبار والأحداث، ونقل أهم القضايا والمواضيع التي تُحسّنُ حياة الفرد والمجتَمع، واقتراح الحلول المُناسبة لأهمّ القضايا، فالصّحافة هي التَّعبير عن الحال، والتَّصوير لواقع تشهده الأمَمُ في مختلف العصور في جميع الميادين، من سيَّاسة وثقافة وتعليم وصحّة وغيرها.

- **جريدة البصائر:** تعدُّ الجرائد والصُّحف من أهمّ الوسائل التي اعتمدتها جمعيَّةُ العلماء المسلمين الجزائريّين، والتي اعتبرتها من أهمّ الوسائل التي تنشر الوعي وتفتح البصائر وتهذّبُ النُّفوس؛ وقد عملت فرنسا في تلك الحقبة على التَّضييق على الجزائريّين ومنعهم من العمل الصِّحافي لكي لا تخرج القضيَّة الجزائريَّة الوطنيَّة السِّيَّاسيَّة إلى العالم؛ وخاصَّة للعالم العربي وفي هذا يقول الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي الذي يردُّ على ذلك القرار المشؤوم؛ الذي أدرجه شُوطَان أحد رؤساء الوَزارات الفرنسيَّة: «لا تزال آثار ذلك القرار (الشَّوطاني) باديَّةً في معاملة الصِّحافةِ العربيَّة واعتبار لغتها أجنبيَّة في وطنها، ولا تزال الأمَّة العربيَّة الجزائريَّة تتكره وتتحدَّاهُ؛ فهل آنَ الأوانُ لإلغائه والتَّنفيس على الصِّحافة وإعطائها حقوقها الطَّبيعيَّة؛ وهل آنَ للإنصاف أنْ يلامس هذه الأفكار الرَّجعيَّة؟[1]» فقد حرص علماء الجمعيَّة على ضرورة إنشاء صِحافة خاصَّة بها؛ لتكون لسان حال جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريّين، تكون الغايةُ منها نشر الوعي وتفتيح البصائر في تلك الحقَبة التي تعتبر من أسوَأ الفترات التي مرَّت بها الأمَّة الجزائريَّة منذ افتتاح هذه الجمعيّة يقول

[1]- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، مرجع سابق، ص07.

أبو القاسم سعد الله: «منذ 1933 أصدرت جمعيَّة العلماء صحفها الخاصَّة وهي بالطَّبع صحف إصلاحيَّة تعبّر عن اتجاه الجمعيَّة في التَّعليم العربي والنَّهضة الإسلاميَّة ومحاربَة البِدع والطُّرقيَّة المرتبطة بالإدارة الفرنسيَّة[1]» فسعت هذه الجمعيَّة لنشر هذا الوعي الدّيني والأخلاقي والثَّقافي الذي يساعد على تغيير الفكر وتنوير العقول بما تعالجه كتاباتهم النَّابعة من فكرهم الرَّاقي، الذي يخدم الأمَّة ويرفعها ويزكّيها، فصدرت جريدة "البصائر" لسان حال جمعيَّة العلماء المسلمين، والتي كانت خير جريدة أخرجت للأمَّة الجزائريَّة بعد أنْ تمكَّن العلماء من إصدارها، يقول رابح تركي: «وفي عام 1935 تمكَّنت جمعيَّة العلماء بعدَ جهودٍ كبيرة من الحصُول على رُخصة عن الحكومة الفرنسيَّة بإصدار جريدةٍ باسم الجمعيَّة فأصدرت في 27 سبتمبر سنة 1935 جريدة البصائر[2]» وقد عادت هذه الصحيفة على الجمعيَّة بالخير واليمن وأعادت للشَّعب الجزائري أمَله الضَّائع؛ وصحَّحت فكره وأنارت عقله؛ وجمعت شمله؛ ونفعت أبناءه وحرَّرت نفوسهم من الظُّلمات وحلكة الجهل وقد صدرت في عهدين متتابعين لحقبتين مختلفتين من تاريخ الجزائر: «صدرت البصائر في قسنطينة في عهدها الأوَّل، ثمَّ صدرت البصائر في قسنطينة في عهدها الثَّاني (قبل الحرب العالميَّة الثَّانيَّة)[3]»، فظهرت في هذه الجريدة العديد من الأقلام النّسويَّة وقد حملنَ همَّ الأمَّة وناضَلنَ في سبيلِ تحريرِ العقولِ من الأوهام، وسعينَ لمحو الجهالة وإنارة البصيرة و قد توجَّهن بخاصَّة إلى قريناتهن من النَّساء فعملن على تنوير فكر المرأة الجزائريَّة التي عانت العبوديَّة والعُنف والهوان فكانت تلك الكتابات النِّسوية مشاركات لإخراج أخواتهنَّ الجزائريَّات من الواقع المظلم، فبرزت أقلام رائدات المقالة الصُّحفية الجزائرية من مثيلات: زهور ونّيسي ومليكة بوعامر وليلى ذيّاب والمعلمة

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثَّقافي، عالم العرفة، الجزء الخامس 1830 –1945، الجزائر، ص253.

[2]– تركي رابح، عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، مرجع سابق، ص113.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثَّقافي، عالم المعرفة، الجزء الخامس 1830هـ–1945م، الجزائر، ص253.

زليخاء إبراهيم عثمان، تنشر الوعي التَّعليمي في النُّفوس، وتخوض في العديد من القضايا الاجتماعية والدّينيَّة والثقافيَّة؛ فكانت النَّتيجة بُشْرَى وخير للشَّعب الجزائري عامَّةً؛ فقد فتحَت هذه المقالات بصيرَة المرأة الجزائرية على آفاق واسعة من الصَّلاح والإصلاح.

2- المبحث الثاني: المقال في جمعيَّة العلماء المسلمين: يعدُّ المقال فنّا من فنون النثر الأدبي؛ إذْ أنَّه يعالج القضايا بمختلف أنواعها، والمقال الأدبي هو: «تعبير فنّي صادق عن تجارب الكاتب الخاصَّة والرَّواسب التي تتركها انعكاسات الحياة في نفسه. وهي في أحسن حالاتها ضربٌ من الحديث الشَّخصي الأليف، والثَّرثرة والمسامرة، والاعتراف والبوح. ولكنَّها تمتاز إلى جانب ذلك بروعة المفاجأة وتوقد ذكاءً والتألُّق والفكاهة[1]» وقد ارتبطت المقالة الحديثة بظهور الصُّحف والمجلَّات، وللمقالات أنواعٌ عديدة تختلف حسب اختلاف المواضع في شتَّى المجالات: المقال العلمي، المقال الصّحفي، المقال السّياسي، والمقال الاجتماعي.

أ) المقال الأدبي الإصلاحي: ظهر المقال الحديث في جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريين، في الصُّحف والمجلّات وكان ظهوره بظهور الصّحافة في ذلكَ الوقت؛ حيث برزَ فيه الشَّيخ "ابن باديس" و"العربي التبسّي" و"مبارك الميلي" و"الطَّيب العقبي" والمقال: «قد نشأ أوّلا في أحضان الحركة الإصلاحيَّة، التي كانَ كتَّابها يصُدرون عن رؤيةٍ دينيَّة إصلاحيَّة، وينفَعلون بما يكتبون ويعبّرون عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه المجتمع والحياة[2]» إلاَّ أنَّ هؤلاء الأعلام لم يهتمُّوا بالأسلوب الفنّي الأدبي لأنَّهم كانوا مُتأثِّرين بالأحداث الوطنيَّة، والقضايا السّياسيَّة والاجتماعيَّة والدينيَّة فلم يعتنوا بالأسلوب البلاغي، ونجدُ أنَّ المقال الإصلاحي قد كان لظهوره عوامل عديدة لظهور هذا الفنّ في الوسط الجزائري في الحقبة الاحتلاليَّة الشَّنيعَة: «كذلك فإنَّ هناكَ عواملَ أخرى

[1]- محمَّد يوسف نجم، فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، ص102.

[2]- عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث 1830- 1974م، دار الكتاب العربي، ص159.

أسهمت في ظهور المقال الأدبي مثل الصّلة بالمشرق واقتفاء الكتّاب والأدباء لأثر المشارقة إلى جانب الحركات السّيَّاسيَّة والإصلاحيَّة التي لعبت دورها في هذه اليَقظة الفكريَّة الأمر الذي أسهمَ في أنْ تتعدَّد الأساليب وتظهرُ الأشكال الأدبيَّة مثل المقال الذي جاء ليُعالجَ مشاكل سيَّاسيَّة ثمَّ إصلاحيَّة ثمّ أدبيَّة إصلاحيَّة[1]» فنجد أنَّ أغلب الكتّاب تتلمذوا في البلدان العربيَّة الأخرى وخاصَّة "تونس" و"مصر" فأخذوا العلمَ هناك، وأتقنوا اللُّغة العربيَّة وتعلَّقوا بها ومجَّدوها، وجاءوا لإحياء اللُّغة العربيَّة وما اندثرَ منها للظُّروف التي آلَ إليها الشَّعب الجزائري؛ حيث أنَّ هؤلاء الكتَّاب الذين أتوا لإحياء اللُّغة العربيَّة وإعادة بعث الدّين الإسلامي والرُّوح الوَطنيَّة في نفُوسِ الجزائريّينَ والجزائريَّات الذين ندّدُوا بالطُّغيَان والمكائد من فرنسا بلا رحمةٍ ولا شفقة: «فإحياء التراث ونشر الصُّحف وخلق أدبٍ جديد يُواكبُ التَّطوُّر في المُجتمع، لم يتمّ سوى في القرن الحالي لظروف كثيرة[2]» فأغلبُ الجزائريّين تأثَّروا بالحركة الصُّحفية في المشّرق، والتي تهيأ لها من الظُّروف ما لم يتهيَّأ لمثيلتها في الجزائر، وفي هذا يقول عبد المالك مرتاض: «من أجل ذلك نجدُ معظَم الذين قامت على النَّهضة الأدبيَّة وأصبحُوا فرسان الكتابة وأعلامها، رحَلوا إلى الشَّرق العربي، وقضوا فيه زمنًا يقصر أو يطُول، ولكن الرّحلة وقعت إليه على كلّ حال. خُذ لذلك مثَلا ابن باديس والإبراهيمي الذي أقام بالحجاز ودمشق زمنًا ليس بقصير[3]» فنجدُ أنَّ كتَّابنا تأثَّروا بأدباء المشرق الإسلامي في وقت قد كادت اللُّغة العربيَّة تندثر في الوسط الجزائري ولم يتبقَّ منها إلَّا الدَّارجة في مختلف الأوساط الجزائريَّة، وفي هذا يقول النَّاقد الجزائري عبد المالك مرتاض: «لقد كانت المُؤثّرات المشرقيَّة في نشر الأدب في الجزائر قوّيَّة ومُختلفة منها ما انصبَّ على موضوعات المُعالجَة نفسها ومنها ما

---

[1]– المرجع نفسه، ص153–158.

[2]– المرجع نفسه، ص158.

[3]– عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931–1954م، جامعة وهران، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 198م، ص326–327.

اتَّصلَ بالجانب الشَّكلي لأسلوب الكتابة، وهو الذي يعيننا هنا بالذَّات. وكانت أسبابُ هذه المُؤشّرات ناشئة عن الرّحلة المُتبادلة بينَ الكتَّاب الجزائريّينَ ومُثَقَّفيهم والكتَّاب المصريّين خاصَّة من بُلدان المَشرِق العربي[1]» حيثُ أنَّ هذا التَّأثير الذي ظهر على هؤلاء الكتَّاب نتج منه المقال الإصلاحي الذي أرادوا به إصلاح الأمَّة الجزائريَّة والفرد الجزائري من الغَفلة وفتحِ بصيرته وتحذيره من خطط المحتل ومشروعاته، فكتبوا مقالات إصلاحيَّة اجتماعيَّة، وإصلاحيَّة دينيَّة وإصلاحيَّة وطنيَّة لنشر الوعي وإيقاظهم من غفلتهم: «بل وحتَّى كتَّاب المَقالة السّيَّاسيَّة الذينَ كتبُوا مقالاتٍ كان هدفُها إيقاظ الشَّعب وتنبيهه إلى ما يُعاني منهُ جرَّاء التَّخَلُّف والاستعمار، فقد سيطرت على المقال بوجه عام روح الوعظ والأسلوب المُبَاشر[2]» إذ كانَ هدفُ الكتَّاب الإصلاحيّين كتابة المقالات بأسلوب مباشر بعيدًا عن الغرابَة والتَّعقيد، لنَشر اللُّغة العربيَّة الصَّحيحة البسيطة وإعادة بعثها في الأوساط الجزائريَّة، ونشر مقالات توعويَّة في الجزائر على اختلاف الصُّحف، ومن هذا فإنَّ المَقال الإصلاحي لم يرقَ بالأسلوب الجمَالي والفنّي وهو: «يعبّر عن تفرُّد الكاتب وأُسلوبه الخاص بينما في المقال الذي لا يلتزم ما ذكرنا نفتقدُ فيه التّرابط والتّماسك، ولذا لا نستطيعُ أنْ نُطلق عليه مقالا أدبيًا فنيًا خاصَّةً إذا كان لا يُعبّر عن إحساس الكاتب ومزاجه الخاص، وهذا النَّوع يكثُر في النَّثر الجزائري الحديث، وخاصَّةً في المقال الإصلاحي الصَّرف أو الصُّحفي بوجهٍ عام[3]» فالهدف من كتابة المقال ليسَ هدفًا أدبيًا فنّيًا إبداعيًا، بل لأجلِ توعيَّة وإيقاظ الجزائريّينَ من الغفلة وهذا ما عرف بالمقال الإصلاحي السِّيَّاسي الذي يهدفُ للنُّهوض بالأمَّة الجزائريَّة التي جهلت لغَتَها ودينَها فساهمت الصُّحف في نشر هاته المقالات:« إذن هناك أنواع من "المقال" ظهر في النَّثر الجزائري الحَديث؛ ولكنَّ العامل الأساسي الذي ساعد على وجودها وتطوُّرها وعلى انتشارها هو أنَّ الصّحافة

[1]– المرجع نفسه، ص327–328.

[2]– عبد الله الركيبي، تطوُّر النَّثر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص160.

[3]– المرجع السابق، ص159.

قد لعبت دورًا هاما في إذاعة هذا الشَّكل النَّثري كما ساعدت على إذاعة غيره من أشكال التعبير نثرًا وشعرًا[1]»؛ فقد ظهر المقال الإصلاحي في جمعيَّة العُلماء المُسلمينَ الجزائريّين بظهور الصّحافة فكانت الصّحافة سببًا لظهور المقال الجزائري الحديث بلغةٍ مباشرة، لأنَّ الإصلاحيّين قد ركَّزوا على وظيفة المقال الدّينيَّة والتَّعليميَّة التَّربويَّة.

ب) المقال الأدبي الفنّي الإصلاحي: ينتج المقال الأدبي الفنّي عن تجربة الأديب الخَّاصَّة في الحيَاة، وهذا المقال هو فنٌّ ذاتي عاطفي، مكتوب بأسلوب جمالي ومؤثّر وسَلس، فيه تأنُّق في اختيَّار الألفاظ الموحيَّة والعبارات الجَزْلَة والصُّوَر المعبّرة مع تدفق العاطفة وقد برزَ هذا النَّوع الفَنّي الأدبي في مقالات الشَّيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي تمَيَّزت مقَالاتُه وكتاباته بانتقاء الألفاظ الموحيَّة والعبارات الجزلة والصُّور المُؤثّرة والعاطفة الجَيَّاشة والخيال الواسع، مع العرض الجميل المُؤثّر بأسلوب رفيع وسَلس في غاية الإمتَاع وهو النَّوع الثَّاني من المقَال الإصلاحي: «أمَّا النَّوع الثَّاني من كتَّاب المقالة الإصلاحيَّة فهم أولئك الذين عنوا إلى جانب الفكرة بالتَّعبير والتَّصوير واهتمُّوا باللُّغة وحدَها لا من حيث نقاؤها وصفاؤها ومرونتُها كما فعل السَّابقون بل عانو بها من حيثُ الإيحاء وجمال التعبير ومراعاة الصُّور البَيَانيَّة[2]»؛ حيثُ كان أبرزُ هؤلاء الأدباء والكتَّاب الذينَ اهتمُّوا باللُّغة بأسلوبٍ شيّق ولائق هو العلّامة الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي رحمه الله، الذي كان قوي الشَّخصيَّة ومُربّي مُخلص ومُصلح أمين، مَلَكَ زِمَامَ اللُّغةِ، وأحاطَ بغريبها، وهو من تزَعمَ المدرسَة المُحافظة، ويقول عبد المالك مرتاض: « ويتزعَّم المدرسَة المُحافظة محمد البشير الإبراهيمي بلا منَازع في الجزائر خلال هذه الفترة. فقد كانت ثقَافتُه العربيَّة العميقة، وحفظهُ الموفور للمقامات والخطب وأشعار وشوارد الأمثال ونوادر اللُّغة أهَّلتهُ لهذه المَنزلة، وجعلت منه خيرَ مُمَثّل

[1]– المرجع نفسه، ص161.

[2]– المرجع السابق، ص163.

لهذه المدرسة في الجزائر. فكان يصطنع السَّجع حينَ يريد، دونَ أنْ يحولَ بينَهُ وبينَ التَّعبير الدَّقيق عمَّا يريدُ تصويره من عواطفٍ وأفكار، وعمَّا يريدُ معالجته من معانٍ[1]» لقد ساهم الإبراهيمي في إحياء اللّغة العربيَّة في الأوساط الجزائريَّة بصورة جماليَّة زادتها رونقًا وجمالاً ممَّا كانت عليه ليتذوّقها القارئ بأبهى صورة وأجمل حلَّة.

أقبل القُرَّاء على تذَوُّق هذا الفنّ الجمالي من خلال هاته المقالات، فكانَ غرض البشير الإبراهيمي من هذا الأسلوب هو الإمتاع والتَّأثير والإقناع في نفس هؤلاء القرَّاء، فقد علَّق الدُّكتور إبراهيم السَّامرَّائي على كتاب "عيُون البصائر": «وقد قال لقد كانت هذه المقالات نماذجَ أدبيَّة عاليَّة وذلكَ أنَّ صاحبَها ملك من العربيَّة ناصيَّتها، فذلَّت له أوابدها، وعرفَ شواردها. فالعبارة سليمة تعتمد أدب العربيَّة في أعصارها الزَّاهرة. وإنَّ القارئ ليشعُر وهو يقرأ هذا السفر الغالي من أنَّ صاحبه ثقف أدب القرآن وعرف بيانهُ، ووعى أسراره، فكانَ ذلكَ أمارةً من أمارات أدبه، وطابعًا يتميَّزُ بهِ فنُّه الأصيل...[2]»؛ حيثُ تميَّز أسلوب الإبراهيمي بالأناقة القائمة في كتابته من خلال الألفاظ الجَزْلَة والجمل المتناسقة، فكان يوظّف في مقاله المحسّنات البديعيَّة وخاصَّة السَّجع: وكانت لهجَة خَطَابيَّة لأنَّ مقالاته كانت ذات طابع أدبي وأخلاقي وتعليمي، وكان يحتفظُ بالغريب من الألفاظ فقد امتلك الشَّيخ ناصيَّة اللُّغة ومسَكَ زمامها، وقد التزمَ بقضايا الأمَّة والدَّعوة إلى الإحياء في اللُّغة العربيَّة وإعادتها حيَّة بعد انحسارها ومواتها في المجتمعات الجزائريَّة، وكان الإبراهيمي يحلّلُ الأفكار ويُعَمّق المَعاني في مقالاته؛ حيثُ كانت تبنى المقالة على:« رأينا أنَّ الإطار العام للمقَالة راعى خلال هذه الفترة، القوالب المَعروفَة لفنَّي المقالة من التزام منهج قائمٍ في

[1]- عبد المالك مرتاض، فنون النَّثر الأدبي في الجزائر، مرجع سابق، ص328-329.

[2]- المرجع نفسه، ص330.

الغالب على ثلاث عناصر: مقدّمة وعرض وخاتمة[1]»، وهذا القالب نسَجَ عليه الإبراهيمي مقالاته الإصلاحيَّة الأدبيَّة الفنّيَّة التي كانت في أبهى صورة.

ج) المقالة الصُّحفيَّة النِّسوية في صحافة جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريين: أحالت المخرجات الأولى للتَّعليم العربي الحرِّ في الجزائر على نتائج طيبة، فقد أصبح للجزائر تحت الاحتلال طبقة من العلماء والمعلِّمين وفريق من الصُّحفيين، وهي فرق تشكَّلت على مرِّ السِّنين التي أعقبت ظهور التَّعليم الحرِّ ونشأة الصحافة العربية الجزائرية، فقد أصبح للجزائريّين مدارس لتعليم البنين والبنات وصارت لهم صحفٌ تَنشُر الوعي بينهم؛ وتعالج قضاياهم، وتنشر اهتماماتهم في العالم العربي والعالم كلِّه، وأصبح لدى هذه الجمعيَّة معلِّمون ومعَلّمات في المدارس الحرَّة، وأصبح لديهم أقلام يكتبون باللُّغة العربيَّة بعدما أحيتها هذه الجمعيَّة، بعد أن لم تكن في الوسط الجزائري إلَّا الدَّارجة التي عمل الاحتلال على جعلها الأداة الأولى والوحيدة للتّواصل الكتابي والشِّفاهي في الأوساط الجزائرية وبلهجاتٍ مختلفة في كلّ ناحيّةٍ من نواحي التُّراب الوطني، ليتراجع هذا المشروع أمام نجاح المشروع التَّعليمي الإصلاحيّ، فأصبح الولدان والبنات يتقنون اللُّغة العربيَّة على أصولها وعلى تراكيبها الصَّرفيَّة والنَّحويَّة والبَلاغيَّة المُختلفة، فتخرَّج العديد من النَّاشئة من هذه المدارس الحرَّة؛ وأصبح هناك أقلام تمدُّ هذه الصُّحف والجرائد والمجلَّات بمادَّة نابعة من اهتمامات الوطن.

اهتمَّت الصّحافة بنشر القضايا الوطنيَّة والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة والدّينيَّة في مختلف بقاع التُّراب الوطني، وفي هذا يقول الدكتور محمّد ناصر: «كان لابدَّ للمقالة الصِّحفيَّة أنْ تشمل بعنايتها مشاكل الصحافة العربيَّة الجزائريَّة، وكان طبيعيًّا أنْ تطالعَنا الأعداد الأولى من كلّ جريدة عربيَّة

[1]– المرجع السابق، ص392.

بمقالات تدعو فيها الأمَّة للاتِّفاق حولها[1]» حيثُ ظهرت العديد من الأقلام الصّحفية التي تخرَّجت على يد المدارس العربيَّة الحرَّة الجزائريَّة، رجالاً ونساءً، فوجدنا العديد من الأقلام النِّسويَّة الصُّحفيَّة الجزائريَّة التي تناولت العديد من المشكلات والقضايا التي تشغل المرأة الجزائرية، وصوَّرت الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الجزائريُّون والجزائريَّات إبَّان هذه الفترة، فأحدثت الصُّحفيات الجديدات ثورةً فكريَّة عبر صحيفة "البصائر" معتمدات إياها أبرز الوسائل في معالجة الأمراض الاجتماعية المتفشِّية، وتنوير الأذهان بعناصر الصلاح والإصلاح، متبنيّة فكرة الشَّيخ الإبراهيمي حول جدوى الصُّف في الإصلاح في قوله: «إنَّ الصُّحف العربيَّة الحرَّة لا تعمل إلّا لإحداث ثورةٍ فكريَّة حتّى يكون المُسلم على بيّنةٍ من واجباته، ويعلم ماله وما عليه[2]» فكانت مشاركاتهنَ في نشر الوعي، والنُّهوض بالمرأة الجزائريَّة التي تعاني من الجهل ونقص الوعي ظاهرة للعيان، بما نشر من مقالات ذاتيَّة، تميَّزت فيها كلُّ كاتبةٍ بمواضيعها وقضاياها، واحتضنت أعداد جريدة "البصائر" العديد من المقالات، لتنوير العقول ونشر الفكر الاجتماعي والتَّعليمي والدّيني، وتعزيز الانتماء الوطني للنُّهوض بالأمَّة، والحفاظ على المقوّمات الوطنيَّة، وإحياء اللُّغة العربيَّة والدّين الإسلامي والوطن الجزائري «اهتمت المقالة الصُّحفيَّة لمشاكل الصَّحافة العربيَّة مع النَّاس[3]»، وقد اجتهدت الكاتبات الصُّحفيات في تعزيز مكانة المرأة في المجتمع الجزائري، فكانت هاته الكاتبات من المهتمَّات بهموم المرأة والمتحمِّسات بالنُّهوض بها من واقعها المُظلم، فمن إسهامات المثقَّفات الجزائريَّات المناضلات في جريدة البصائر، هو نشر العلم فكتبت زليخاء عثمان إبراهيم مواضيع عن الأميَّة المتفشيَّة والمنتشرة في البنات الجزائريَّات واللَّاتي كنَّ ضحايا آبائهنَّ الَذين جهلوا الدّين ولم يفقهوه فِقهًا

[1]– محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وأعلامها تطوّرها أعلامها من 1903 إلى 1931م، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، مج2، ص61.

[2]– المرجع نفسه، ص68.

[3]– المرجع نفسه، ص70.

صحيحا ليلتحقن بالتَّعليم، فتظفر بحرّيتها الحقيقية من الجهل، وتربّي أبنائهَا على الصَّلاح والعلم والدّين وفي هذا تقول:« وما زالت جمعيَّة العُلماء ترفَع من قِسْمةِ المرأة وتستردُّ لها حقَّها الضَّائع إلى أن فكَّرت في استغلالها وإنشاء مدارسَ خاصَّة بها تزيد في قيمتِها[1]»؛ فاهتمّت بتعليمها وتهيئتها لإعداد ناشئَة الأمَّة.

فهذه الجمعيَّة كرَّست نفسها لتعليم البنت الجزائريَّة، كما أنَّ الفتيات قد أصبحنَ يُعلّمن غيرَهنَّ منَ النِّساء؛ فقد تَعَلَّمنَ في هذه المدرسَة الباديسيَّة وعَلَّمنَ فيها؛ كما أنَّ زليخاء إبراهيم عثمان تعلَّمت فيها وعلَّمت الفتيات فيها؛ حينَ أصبحت مناضلةً تعلِّم البنات غير المتَعلّمات والأميَّات وتقضي على الجهل في بيوت الجزائريّين لتفتَحَ عليهم أنوارًا وسُبُلًا جهلنَ العبورَ فيها، فتقول المعلّمة الرَّاشدة والمناضلة في سبيل العلم: «بشرى لك أيَّتها المرأة لهذا العهد الجديد بعد ما تخبَّطت في عهدٍ كُلُّهُ ظلْمٌ وظَلَام[2]» فناضلت هذه الكاتبة بقلمها وكتبتَ ونشرَت وذيع صِيتُها في مختَلف البقاع الجزائريَّة.

كما نجدُ أنَّ هذه المَقالات كانت تُعالج قضايَا ذات طابع ثقَافِيٍّ؛ فالكاتبة ليلى ذياب قد كانت لها مواضيع اجتماعيَّة تحثُّ على إصلاح الواقع المرير للمرأة الجزائرية، وفي هذا تقول السيدة ليلي بن ذيّاب: «نعم قد نتسامح قليلا فنترك بعض الميادين للمرأة فتكون مُعلّمةً فاضلة، وطبيبَةً حاذقَةً وكاتبةً بارعةً، وشاعرةً غريدَة، وصِحافيَّة ماهرة ومصوّرةً مفتنة، ومشاهدةً كيف أنَّ النجاح يكونُ حليفها[3]»؛ فقد نادت ليلى ذيَّاب بضرورةِ تعليم المرأة، لتكون المعلمة والطَّبيبة والأديبة والصِّحافيَّة لتنجحَ في حياتها وتخْدُمَ الأُمَّة ومسْتَقبلها، لتكون المرأة كريمة عزيزةً، وتحيا حياةً هنيئةً وفي هذا تقول: «وقد كانت المرأة العربيَّة سيِّدة نسَاءِ العالم وزعيمتهنَّ وكان لها من المنزلةِ السَّاميَّة المكانةِ

[1]– زليخاء إبراهيم عثمان، حفلة افتتاح مدرسة عائشة الخَّاصَّة في تلمسان، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص99.

[2]– زليخاء إبراهيم عثمان، التَّعليمُ وحظُّ المرأة منه، البصائر، دار الغرب الإسلامي، ص26.

[3]– ليلى ذياب، اخترت لكم، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، مج 4، ص221.

الرَّفيعة مالم تستطع أنْ تَحظى به غيرها من النّساء حينئذٍ[1]» فهي توجّه النّساء إلى التَّعليم وحثّهنَّ على النَّجاح في الحياة، فناضلت بقلَمها لتكُونَ النّسَاءُ كريماتٌ في بيُوتهنَّ ومجتمعهنَّ، فالعلم يرفع أهلهُ وتُبْنَى به الأمَمُ، ويُعلي من شَأنها ومن شأنِ أبنائها، فحياة الأمم بالعلم والعمل.

ناضلت الصُّحفيات الصَّامدات والمجاهدات بأقلامهنَّ وبفكرهنَّ الذي قرأن به مشكلات الأمَّة الجزائريَّة وما تُعانيه من أمراض عديدةٍ، كالجهل والأميَّة والتَّخلُّف الذي سبَّبَه الاحتلال الفرنسي، إلَّا أنَّ المشروع الإصلاحي للعلماء، وتبنيهم للصِّحافة منبرا لنشر مبادئه كان حامل البشرى للجزائريّينَ بالخير، حين أعدُّوا جيلا متعلّمًا من البنين والبنات، وأصبحوا مناضلين في سبيل نشر العلم والنُّهوض بالأمَّة الجزائريَّة التي كادت لا تفقه شيئًا وفي هذا يقول أمير الشُّعراء أحمَد شوقي:

لكـــلِّ زَمـــنٍ مضَـــى آيـــة وآيَـــةُ هـــذا الزَّمـــانُ الصُّـــحف

لســـانُ الـــبِلاد وفـــيضُ العبـــاد وكهـــفُ الحُقـــوق وحـــربُ الجُنـــف

3- المبحث الثالث: المقال النّسوي الجزائري في صحيفة البصائر: كانَ لظهور المقالة النسويَّة ظروف وعواملَ عديدة، فلم تظهر المقالة النّسويَّة إلّا بعد ظهور التَّعليم الجزائري الحرّ، والمدارس الحرَّة التي شَيَّدتها جمعيَّة العلماء المسلمين في كامل بقاع التُّراب الوطني بأموال الشَّعب، فالذي عهدناهُ في واقع المرأة أنَّها لم تتَعلَّم لتَحظى بالكتابة والقراءة، فقد كانت مقيَّدة في ذهنها ومحدُودَة المعارف والمهام إلا أنَّنا نجدُ أنَّ بعدَ فتح المدارس الحرَّة نالت حظّا في التَّعليم، وارتقى بها المستوى العلمي والفكري والثَّقافي، فأصبحَت تنسُجُ المقال الإصلاحي في جريدة "البصائر"، لتصبحَ قلَمًا يُصلح حال الأمَّة وخاصَّةً حال المرأة التي عانت وضعًا سيَّاسيًا وفكريا وتعليميًا مزريا في وطنها.

[1]- المرجع نفسه، ص221.

فبرعت من خلال تعليمها وأصبَحت تنسُج مقالات تحوي مواضيع وقضايا وطنيَّة، والمقال الصُّحفي هو: «الكتابة الفنيّة التي تتيحُ للمحرّر الصُّحفي –استنادًا إلى فكرة متميّز من خلال قيَّامه بمسؤوليَّات وظيفيَّة– تسجيل الأحداث المهمَّة الحاليَّة والمتجَدّدة ونقل الوقائع والتَّفصيلات والصُّور الظّاهرة والخفيَّة وتقديم المَعلُومات والبيانَات المُفيدة[1]» فكانت الكتابات النّسويَّة تحوي مواضيعَ اجتماعيَّة، منقولة في طَابع أدبي عبرَ فنّ المقال الصُّحفي ليعالجنَ مُختلف القضايَا الاجتماعيَّة في الوطن الجزائري، وكانَ الهَدفُ من كتاباتهنَّ إنارة عقل المرأة وتشجيعها عن طلب العلم، والحثّ على إصلاحها في مجال العلم والعَمَل والدّين؛ وذلك لتثقيفها في حيَاتها الاجتماعيَّة: «فإنَّ الحياة الاجتماعيَّة كان لها تأثيرُها في هذا الاتّجاه، فهنَاكَ ضَغط على الأسرة الجَزائريَّة وعلى المجتمع ضَغطٌ سبَّبه غزوُ العادات والتَّقاليد الأوروبيَّة الفرنسيَّة للمُجتَمَع الجزائري وتقليد الجزائريّين لهذه البيئة الأجنبيَّة بالإضافة إلى الضَّغط الاستعماري على الفرد والمُجتَمَع[2]» فكانت مقالاتهم فنيَّة إصلاحيَّة تصُبُّ لإصلاح حال المُجتَمع الجزائري وإنهاض المرأة في الدّين والثَّقافة والعلم، لتربّي جيلاً له همٍ عاليَّة يعود على أمَّته بالصَّلاح بعد الفساد الذي كان عليه.

فالمقالة النّسائيَّة الأدبيَّة الفنيَّة الإصلاحيَّة، كان لها رونق وبديع وجمال فكانت ذات لغة سليمة ومعاني تخلّف أثرًا في نفس القارئ "المتلقي" وتجذبه نحوها وكأنَّها سحرٌ، فكان أسلوبهنَّ يماثل أسلوب الشيخ البشير الإبراهيمي؛ فقد كان مُعلّماً لهنَّ، فبرعن في اللّغة وكتبنَ بأساليبَ راقيَّة أَحْيَتِ اللُّغة في واقع اجتماعي لا يحسدُ عليه.

فنجد أنَّ ليلى ذيّاب كان لها أسلوب راقي، يُعبّر عن جدارتها في الكتابة، عبر مختاراتها الأدبيَّة الفنيَّة فمثلا قولها: « فالمنزل في حاجة قصوى إلى امرأة متعلّمة تدير شؤونه وتهذّب

[1]– عبد الجواد سعيد ربيع، فن الخبر الصّحفي دراسة نظريّة وتطبيقية، دار الفجر للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2005، ص16.

[2]– عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص168.

الأبناء، وتعلّمهم وتبثّ الشّيم السَّاميَّة في نفوسهم، فيكونون أبناء صالحين، يرجى منهم الخير للوطن، والنَّفع للأمَّة[1]» وكذلك زهور ونيسي كتبت مقالات بشكل راقٍ وجميل من صميم الواقع الاجتماعي، تعالج عبر مقالاتها القضايا التي تشغل بالها، وكذلك نجد أنّ زليخاء إبراهيم عثمان برعت في المقال الإصلاحي التَّعليمي تقول في هذه القضية: «ولقَد نصَحتُك نَصِيحتي إن قبِلت نصِيحَتي والنُّصح أغلَى ما يُباع ويُوهب، نحنُ شِبلات جمعيَّة العُلماء السَّائِرات على مِنوالهَا والقَائِمات بكلِّ ما قَامت بِه حتى نَرى الضَّعِيفات مِن قَومنا في قمَّة الشَّرف العالِي والعَاقِبة للمُتَّقين[2]» كانت غايتها حثُّ نساء الجزائر على التَّعليم، فكان نضالها في سبيل نشر العلم والمعرفة لإخراج أخواتها الجزائريَّات من واقعهنَّ المأساوي.

4- المبحث الرابع: أثر الإحياء اللّغوي في المقالة النسويَّة الجزائريَّة: لقد كان للإحياء اللُّغوي دورٌ بارزٌ في ظهور المقالة النّسويَّة في الصّحافة الجزائريَّة، وهو إحياء اللّغة العربيّة بعد مواتها وإصلاحها من حيثُ أسلوبها وكتابتها، وقد شهدت الجزائر تحت الاحتلال ضعفا في التَّعليم؛ بسبب سياسة التَّجهيل؛ ممَّا أدَّى باللُّغة العربيَّة إلى انحسارها بسبب الظُّروف التّعليميَّة التي كانت تنعدم في الأوساط الاجتماعيّة، وفي هذا يقول الدُّكتور عبد الحفيظ شريف: «وقد يكون -إذن- من المنهجيّة العلميّة والتَّاريخيَّة أنْ تتأسَّس حركة الإحياء المُفترضة على واقع هو صنيعةُ قرون متواليَّة من الإهمال، وثمرة فتراتٍ متلاحقة من التَّراجع، أفضت كلُ فترة إلى التي تليها بأسباب الضّعف والإبعاد[3]» فشهدت اللُّغة العربيَّة في مرحلة الاحتلال الفرنسي، وذلك لما عمدته من سيّاسة تجهيليَّة

---

[1]- ليلى ذياب، اخترت لكم، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الاثنين 29 شعبان1370هـ -4 جوان 1951م، مج4، ص181.

[2]- زليخاء عثمان إبراهيم، نموذج من إنشاء تلميذات السنة السادسة التعليم وحظ المرأة منه، البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الإثنين 9 محرم 1369هـ- 31 أكتوبر 1949، مج3، ص26.

[3]- عبد الحفيظ شريف، مشروع إحياء اللّغة العربيّة في الجزائر خلال القرن العشرين – مقاربة في المعالم والأبعاد- أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، 2019م، جامعة البويرة، إشراف: صالح بلعيد، ص69.

للقضاء على اللُّغة العربيَّة وعلى الدّين الإسلامي، لأنّها لغة القرآن الكريم، وهذا مما أدّى بفرنسا للقضاء على اللغة العربيّة والدين الإسلامي، لتنشرَ اللُّغة الفرنسيَّة والدّيانة المسيحيَّة؛ إلا أنَّ اللُّغة العربيَّة لم تحي في الأوساط الجزائريَّة إلا بعدَ افتتاح المدارس الحرَّة فظهر جيلٌ من الكتَّاب والأقلام في صحيفة البصائر؛ فنجد أنَّ الإحياء اللُّغوي ظهر في المقالة النّسويَّة في الصحافة، التي كانت معدومة من قبل ولم يتسنّ لها الخروج في الميدان الصّحافي فظهرت عدَّة أقلام نسائيَّة ناضلنَ في سبيل إحياء التَّعليم والثَّقافة وإصلاح حال المجتمع؛ وخاصّة معالجة قضيَّة المرأة في المجتمع

أثر الكتابة لإحيائية في مقال التِّلميذة كلثوم

هذا النَّصُّ يعكس صورةً واضحة لما صارت عليه لغة المتعلِّم الجزائري لهذه المرحلة (أربعينيات القرن العشرين) أو بالأحرى ما كان يوجَّه إليه المتعلِّم الجزائري، فمن الممكن أنْ يكون بعضُ النَّصِّ من إبداع التّلميذة، لكنَّ حضور المشرفين عليها أو معلِّميها واردٌ توجيها أو تقويما أو تصحيحا، فالنَّصُّ بلُغتِه العالية وأفكاره واستشهاداته يبعد أنْ يكون من إبداع تلميذ في مراحله التَّعليمية الأولى، ومع ذلك فإنَّ هِمَم القائمين على التَّعليم العربيّ الحرِّ يومذاك، في تعيين مصادر اللُّغة والأدب التي لا شكَّ في أنَّها أصبحت متداولة بين المتعلِّمين ولو على فروق بينهم. وهو ما نستحضر بمناسبته مقارنة لما كان عليه المتعلّم الجزائري زمن تحكُّم الاحتلال في مقاليد التَّعليم في الجزائر بعد الاحتلال، ولا أوضح في هذه المقارنة من اقتباس نصٍّ تعليميٍّ من النُّصوص التي كانت مقرَّرة على التَّلاميذ الجزائريين في مدارسهم، وتحديدا من كتاب: جامع اللَّطايف وكنز الخرايف للمستشرق: ج. دلفين. سنة 1891م وهو كتاب ضمن سلسلة كتبٍ قدِّمت مادَّتُها لإحلال العامّية مكان الفصحى في الجزائر بعد أنْ تعذَّر على المحتلِّ إبادة العربية.

النَّصُّ: خلافة النُّطق بين العرب في الحروف

"عرب التّل وعرب الشراقة وعرب الصحراء والقبائل الكلّ يتكلّموا بالعربية لايني [بمعنى لكن] يبدلوا ويغيروا الحروف والكلام دايم راجع لكلام ناس التّل على خاطر عرب التّل هما العرب الصّحاح، كان واحد عربي سال قبائلي قال له ضربك فلان جاوبه القبائلي طربني حتى طرّني طهري وام ناس الصّحراء كان صحراوي وصى خوه قال له يا قانم ما تنزل شيء غرب اتل يدي ليك يا كيتك ولد غادي قلمك يعني يا غانم ما تنزل شيء قرب التل ليضح يدي ليك ولد قادي غنمك يعني المال انتاعك[1]" ولا نحتاج إلى جهد كبير لنرى الفرق بين المرحلتين، ونكتشف الهدف في كلا النَّصَّيْن.

أما الشَّاهد في التَّمثيل بالنَّصِّ التُّراثي ويتجسَّد في إيراد نصٍّ من عيون أدب العرب في العصر الجاهلي، مقتبس من وصية أمامة بنت الحارث وهي عماد الحياة الزَّوجية حين قالت أمامة بنت الحارثة وهي توصي ابنتها "أيْ بنية! إنَّ الوصية لو تُرِكت لفضل أدبٍ تُرِكَت لذلك منك، ولكنَّها تذكرةٌ للغافل ومعرفة للعاقل...إلخ" فيشير إلى أنَّ تلاميذ المدارس الحُرَّة –ومنهم كلثوم– كانوا يُشجَّعون على الاطِّلاع على عيون التُّراث العربي القديم، ويوجَّهون إلى صياغة كتابات على نمطه.

أثر الكتابة الإحيائية على مقال: بنت سيدي عيسى

لم يكن لهذه الكاتبة في صحافة الجمعية إلا مقال واحد، وعليه فإنَّ الحكم عليها من خلال مجانبة للعدل، ولكنَّ ذلك لا يمنع من ملاحظة لغة سليمة، مفهومة لا تستصعبها الطَّبقة العامَّة ولا تستنكرها الطَّبقة المثقَّفة، وقد نوَّعت في أساليب العرض فمرَّة تحثُّ وتشجِّع كقولها: "فالنَّصر حليفك

[1]– فريد حاجي، السِّياسة الثَّقافية الفرنسية في الجزائر، المنطلق السَّيرورة المآل، د ط، دار الخلدونية، الجزائر ص329.

والله معك والنفوس الزكية تؤيدك" ومرَّة تتساءل مستنكرة أو مستغربة: "ما هو المقدار الذي أخذته من غذاء روحها منه دينا ودنيا؟" أو "أراها لم تأخذ شيئا يذكر؟" وقد خرج المقال بسيطا في عرض الفكرة، ومضمون هادف لإصلاح فكرة، مباشرا خال من الغرابة والتّعقيد والألفاظ التي تستعصي على المتلقي، تتخلَّله زخارف لفظية إلاَّ أنَّها ليست متكلَّفة ولا مصطنعة، "روحيا وعقليا" والتَّجنيس في مثل: "الشَّرق ≠ الغرب، الجهل ≠ العلم، صلاح ≠ فساد، الحق ≠ الباطل، المتفرقين ≠ المجتمعين، فتاة ≠ فتى" كما يلاحظ على النَّصّ توظيف القسم مرَّات "وربي، "كثيرا ما تمنيت– وربي–" وهو ما ينقل حرصها على تبليغ فكرتها ومحاولة إقناع قرائها بها. وقد يكون استخدام لغة بسيطة كهاته مناسبا لواقع المجتمع الجزائري ووضعه الثَّقافي والاجتماعي السَّائد.

أثر الكتابة الإحيائية على مقال: ف. كاهية

ليس في النَّصّ ما يميّزه عن النُّصوص الأخرى الواردة في هذه الفترة، فهي على لغة بسيطة مباشرة، كما هو شأن الكتابة الصُّحفية السَّائدة، وليس فيها من خصائص الكتابة العالية، إلاَّ سلامتها اللُّغوية، وبعدها عن الابتذال أو العامية، وتحاول صاحبة النَّصّ الارتقاء بموضوع الكتابة حول قضية فكرية كبيرة حمل لواءها يومئذ الإمام ابن باديس نفسُه، وهي حقيقة العلاقة الفكرية بين الغرب ممثَّلا في مستشرقيه، وبين علماء الإسلام بأفكارهم وآرائهم، وعن بعض ذلك تعبّر الكاتبة بالقول: "فإنَّ المدنيَّة العربيَّة قد حجبت سُموم المدنيَّات الأخرى وأسدلت عليها ستارًا، لأنَّها عامَّة تبحثُ في كافَّةِ محتوياتِ الحياة. ولم تبق صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصتها" وفيما عدا الاقتباس القرآني الظَّاهر في آخر العبارة من قوله تعالى﴿ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف: 49]، فقد كان بقية ألفاظ النَّصّ من مألوف تعبيرات الفترة واستعمالاتها.

أثر الكتابة لإحيائية في مقالات ليلى بن ذياب

مع أنَّ الظَّاهر الغالب من هذه المقالات هو اختيارات من نماذج كتابية أخرى، كانت تجتهد في انتقائها من عيون الكتابة العربية حسب اعتقادها؛ إلاَّ أنَّ هذا الاختيار في ذاته يعكس مستوى الوعي الذي بلغته الكتابة النِّسوية، وطبيعة الاختيارات اللُّغوية، وبغضّ النَّظر عن مضامين هذه المقالات التي كانت في مُجملها حول تعليم المرأة وإصلاح وضعها الاجتماعي؛ فقد كانت لغةُ هذه المقالات مباشرة بسيطة في غير ابتذال، راقية دون تكلُّف، كما أنَّه كان اختيارا يتناسب مع لغة مدرسة الإبراهيمي البيانية، والتي تكوَّنت فيها جميع الأقلام الصُّحفية النِّسوية خلال هذه الفترة، من تاريخ الجزائر، ويعكسه استخدام العبارات القصيرة قاصدا وضوح الفكرة دون الإسراف في الصَّنعة اللَّفظية، وذلك في مثل قولها في المقال الأوَّل: "والمرأة هي قوام المنزل، وربَّة الدَّار، وأمُّ الأشبال، ودعامة الأسرة، وهي القدوة **الحسنَة** لأبنائها إذا **صلحت**، و**السيّئة** إذا **طلحت**، وهي المسؤولة على إسعاد أطفالها، ومراعاة نظافتهم وصحَّتهم". أو قولها: "ولا نسمع لقول الذين يقولون أنَّ التَّعليم ليس من شأن المرأة، ولا يليق بموقفها، فإنَّهم قد **أخطأوا خطأ عظيما لو كانوا يعلمون، وضَلُّوا ضلالا مبينًا لو كانوا يفقهون**". أو في مثل قولها في المقال الخامس: "نعم قد نَتسَامحُ قليلاً فنَترك بعض المَيادين للمرأة فتكون معلّمةً فاضلةً، وطبيبَةً حاذِقةً وكاتِبةً بَارعةً، وشاعرةً غريدةً، وصحافيَّةً ماهِرةً، ومصوّرَةً مفتنَةً، ومشَاهدةً كيفَ أنَّ النَّجاحَ يَكونُ حليفَها" وهي وإنْ استخدمت المقابلة أو الطِّباق أو الجناس طباق إيجاب: الحسنة ≠ السيئة، العلم ≠ الجهل، جاهلة ≠ متعلمة، قنوط ≠ رجاء، الأرض ≠ السماء. والمقابلة: القدوة الحسنة لأبنائها إذا صلحت ≠ السَّيئة إذا طلحت، والجناس النّاقص: مربيات

≠ ممرضات. فقد كان ذلك كلُّه في حدود استخداماتها اللُّغوية العابرة فلم تتعسَّف فيها، بل كان تركيزها على الفكرة دون إهمال اللَّفظ.

وأمَّا عن اختياراتها من المقالات التي كانت تنشرها بين الحين والآخر، فهي وإن كانت ليست من إنجازها فإنَّ هذا الاختيار في ذاته يعكس توجُّه الكاتبة ابن ذياب اللُّغويّ، ويكشف لنا ذوقها الأدبي، فهي قد انتقت مواضيع ذات طابع اجتماعي وثقافيٍّ، لكنَّها كانت مقالات ذات بنيات لغوية تتناسب مع الشَّكل الكتابيّ الذي كان غالبا على الكتابة الصُّحفية يومئذ ومن ذلك ما صرَّحت به من انتقائها نصَّ والدها المعلِّم، والذي أعدَّه حوارا شبه مسرحيٍّ لتؤديه تلميذتان بمناسبة المولد، فهو يقوم على الحوار بين زهرة ومختارية. ولا يخفى ما في طريقة الحوار من فعالية في اكتساب المتعلِّم للُّغة، وذلك من خلال الممارسة الفعلية لها.

كما أنَّها في تقديمها لهذه المختارات لا تقف موقفا سلبيا ناقلا؛ بل تقدِّمها تقديما إيجابيا مفيدا، من ذلك تقديمها لقصيدة إيليا أبي ماضي "هدايا العيد" في المقال التَّاسع، وما تضَّمنه من عبارات راقية وأسلوب متين، وتختمه بعبارات مماثلة، وبتضمين لاقتباس قرآني ذكي في قولها: "وسلامٌ عليكَ يومَ ولدتَ، ويوم نبَغتَ، ويومَ شرَّفتَ الشّعر بهذه الشّذراتِ" أخذا من قوله تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥ ﴾ [مريم: 15] وهو اقتباس لم يقتصر على مثل هذه المناسبة في التَّقديم، بل هو ما تعتمده ليلى بن ذياب في غير هذا الموضع، كما في المقال العاشر "السَّنة الدِّراسية الجديدة" وجاء فيه: "وجدّوا كدّوا فستُسقَوْن بعد النّصب كأسا دهاقا سلسبيلا لن يرشفكم إياها غير المعلمين" وهي ألفاظ قرآنية واضحة ﴿ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤ ﴾ [النبأ: 34] و ﴿ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨ ﴾ [الإنسان: 18].

إنَّ ما طبع أسلوب كتابة ليلى بن ذياب هو تمثُّلها الواضح لأسلوب الكتابة الإحيائية العربية ذات الامتداد التُّراثيّ، وبخصوصيتها الجزائرية التي وضع لمساتها الشَّيخ الإبراهيمي. والدَّعوة إلى تعليمها وإصلاحها وإعدادها الإعداد الحسن، لأنَّ قضيَّة اللُّغة العربيَّة أصبحت قضيَّة هوّية ومقوّمات وطنيَّة؛ حيثُ نجد أنَّ اللّغة عند تلكَ النّسوة شهدت تحسُّنًا تصاعديًا على ما كانت عليه، وظهرت ملكة التَّعبير الإبداعي بمهارة جليَّة؛ ومنه نرى أنَّ اللُّغة استخدموها استخدامًا حسنًا، من حيثُ توظيف الألفاظ والأساليب ويظهر ذلك في مقالاتهنَّ التي قمت بتجميعها.

أثر الكتابة الإحيائية في مقال: فتيحة لقورصو

رغم أنَّ هذا المقال هو المساهمة الوحيدة للكاتبة في جريدة البصائر؛ إلا أنَّه عرض محاولة كتابية تدلُّ على تمكُّن صاحبتها من لغة كتابة راقية، فقد استعمل المقال ألفاظا سهلة بسيطة غير معقدة، استهدفت الموضوع بصفة مباشرة، فتناولت إنجازات المرأة التلمسانية، وما خُصَّت به من مدرسة خاصَّة للبنات، فجاء وصفها تقريريا مباشرا بعيدا عن كلِّ تكلف، ولم تخرج عن طريقة كاتبات الفترة في الاستشهاد بالموروث الدِّيني ممثَّلا في الحديث النَّبويّ عن فضل عائشة رضي الله عنها، الذي ذكرته بنصِّه، إضافة إلى بعض العبارات التي مسحتها بمسحة بلاغية لفظية طبيعية، من مثل قولها: "وتشجِيع النُّفوس الجَامِحة، وتَأييد العُقول الطَّامِحة" وقولها: "تخلِيدا لِذكر أمِّ المُؤمنِين (رضِي الله عنها) العَالمة العظِيمة والزَّوجَة الكرِيمة" وقولها: "تُشارِك الفِتيان مُشَاركة فعَّالة فِي كُلِّ ما فِيه خَير البِلاد وصَلاح العِباد". وهو زخرف لفظيٌّ يسير لم يقصد لذاته، ولا ينفر سامعه من جرسه، ولا ينزعج من ألفاظه.

أثر الكتابة لإحيائية في مقالات زهور ونيسي

1- تنوُّع الأنساق الكتابية وأثره على اللُّغة: لا يمكن الإحاطة تفصيلا بخصائص كتابة زهور ونيسي في هذه العجالة، فهي صاحبة قلم مشهور، وعليه فمتابعة هذه الخصائص تختصُّ بمقالاتها

الأولى، والتي كانت فيها في بداية طريقها وقد عرفت مقالاتها أساليب كتابية متعدِّدة، فخرجت مقالاتها متَّسمة بلغة الوصف مرَّة، وبلغة السَّرد القصصي مرَّة، وبلغة التَّقرير والإخبار تارة، وبلغة الوعظ والإرشاد أحيانا أخرى. ورغم ما توصف به كتابتها –على الجملة– من أنَّها تصنَّف ضمن الخطِّ العام للكتابة الإبراهيمية النَّاشئة؛ فلها خصوصياتها الفردية.

فقد اتَّسم المقال الأول لزهور ونيسي "سلام باي يحتفل بشهر رمضان" بلغة الوصف، ويتجلَّى هذا في وصفها للحفلتين اللتين أقيمتا بمدرسة الصَّادقية، بحي "سلام باي" قام بتمثيلها بعض تلاميذ المدرسة ومحاورات وخطب وقصائد وأناشيد. وكذلك وصفت الحفلة الثَّانية "أقامتها معلمات المدرس بمشاركة التلميذات العاملات وقد كانت حفلة رائعة بذلت فيها الجهود العظيمة لتكون حفلة جديدة من نوعها" ومع غلبة الوصف في النَّصِّ، فلقد مرَّرت الكاتبة مضامين الفكرة الإصلاحية في لغة واضحة مباشرة: "وبعدَ الانتهاء من الرّواية ذات الثَّلاثة الفصول ألقيت محاورة رائعة من بين المحاورات دارت بينَ المثقَّفة بالعربيَّة والمثقَّفة بالفرنسيَّة، وقد ذكرت فيها أعمال وجهاد رجال جمعيَّة العلماء الأبطال وما تحمَّلوا وذاقوا من عذاب واضطهاد" بينما غلبت على المقال الثَّاني لغة الوعظ اعتبارا للمقام الذي كُتِب حوله "حول كارثة الأصنام إلى التي استهانت بعذاب الله" ويتمثل ذلك من خلال هذه العبارات: "ونُهِينا عن الفواحش والمحرَّمات" و قولها: "لكنَّها لا تساوي شيئا من عذاب يوم القيامة" وقولها: "فعسَاكِ أن تكفّري عن خطِيئتك وتستَغفري عمَّا جنيتِه" وكلُّها عبارات أنتجها الوسط الدِّيني الذي تربَّت فيه الكتابة، ومنه تأخذ رصيدها اللُّغويّ.

2– الاستشهاد بالنَّص الدِّينيّ: وهو أثر لاستعمال لغويٍّ كان ثمرة للبيئة التي احتضنت هؤلاء الكاتبات فقد قام التَّعليم العربيُّ الحرُّ على إعطاء أولوية كبيرة للقرآن الكريم والحديث النَّبوي حفظا وامتثالا، وكان طبيعيا أن ينعكس هذا المحفوظ على الكتابة الصُّحفية عند زهور ونيسي، ففي المقال ذاته قولها: "المغضُوب عليهم في الدُّنيا قبل يَوم الدِّين" وفيه اقتباس من قوله تعالى

﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: 7]. وقولِها الذي صار قاعدة في النَّار: إنَّ الله غفورٌ رحيم، ولم تدرِ أنَّه شديد العقاب" وهو قريب من قوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠ ﴾ [الحجر: 49-50] وقولها "ولا من مُجير إلَّا من عطف القدير الذي إذا قضى أمرا فإنَّما يقول له كن فيكون" وهو من قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝١١٧ ﴾[البقرة: 117]، وغير بعيد عن ذلك تضمينُها الكلام شيئا من الحديث النَّبويّ الشَّريف في قولها: "فالبدار البدار قبل وقُوع العَار وارحَموا من فِي الأرض يَرحمكُم من فِي السَّماء" وهو بلفظه في الحديث عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي اللهُ عنهما، أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «الرّاحمونَ يَرحَمُهم الرّحمن، ارحَمُوا من في الأرض يَرحَمْكُم من في السَّماء[1]».

3- التَّوظيف البلاغي: أمَّا الاستعمالات البلاغية في كتابات زهور ونيسي فقليلة، وما وجد منها ففي غير إسراف ولا تكلُّف، منها ما جاء في المقال السَّابع: "من صميم الواقع: الأمنيَّة" من قولها: "وِطاؤُهم الأرض وغطاؤهم السَّماء" أو قولها في المقال الثَّامن: لنترك الثَّرثَرة! "ويثمر نتيجة مرَّة: تباغض وتنافر وتدابر" ويدخل ذلك في إطار الكتابة الصُّحفية التي عرفتها تلك المرحلة.

4- لغة الأنساق الأدبية في كتابات زهور ونيسي: الملاحظ على كتابات زهور ونيسي التي أشرت إلى تنوُّعها، أنَّ قوَّتها في أسلوبها القصصيّ، فلغتها في ذلك متماسكة العبارات، غنية بالألفاظ، مليئة بالصُّور والمشاهد، وهو ما نقلته مقالاتها التي خرجت في شكل قصص قصيرة تعمل مضامين إصلاحية وثقافية، ما يهمُّ منها هو لغتها المتميّزة، كما يلاحظ أثر الزَّمن في تكوين هذه الملكة اللُّغوية، وصقل موهبتها الكتابية، فقد صدر مقالها الأوَّل "سلام باي يحتَفل بشهر

[1] - أبو بكر البيهقي، السُّنن الكبرى، تح: محمَّد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م، ج9، ص71.

رمضان" في جوان 1954م، وكان مقالا واصفا في لغة مباشرة بسيطة "وقد أقبلت النّساء الجزائريّات والعائلات الكبيرة من كلّ حدبٍ وصوبٍ أتينَ للتَّفرُّج على تقدُّم أختهنَّ المرأة المسلمة، واعتمادها على نفسها بإقامة الحفلات وتأليف الرّوايات وبثّ العلوم والمعارف في عقول الجاهلاتِ". فإذا ما نظرنا في المقال التَّاسع: "من صميم الواقع: من الملوم؟" الصَّادر في ماي 1955م، والذي جاء فيه: "كنت متَّجهة إلى الحمام عندما لمحت سيارة فاخره تسير ببطء" ثم تقول: "كانت تشمل عجوزا صفراء اللَّون محدودبة الظَّهر، يظهر أنَّها تقاسي الشَّلل" ثمَّ قولها: "رأيتها تبتسم ابتسامة غامضة فعرفت المراد منها". أو المقال العاشر: "نتيجة مؤلمة" الصَّادر في أكتوبر 1955م، الذي استهلَّته بقولها "وترعرعَ الطّفلُ على أسعدِ حالٍ في يسرٍ ونعيمٍ لأنَّ والدهُ كانَ يشغلُ وظيفًا هامًا من وظائفِ الحكومَةِ" وقولها: "وكانت أمُّهُ سليلةَ أسرةٍ كبيرةٍ غنيَّة لم يمنَّ الله عليهَا بسوَى ذلكَ الولدِ العزيزِ بعدَ قحطٍ دامَ معهَا عشرَ سنواتٍ من زواجهَا بصاحبِ الجاهِ والمالِ والكلمةِ العاليَّةِ سِي عبد القادر"؛ يلاحظ ذلك الفرق الواضح في أسلوب الكتابة وقوَّة لغتها، وهو ما سيظهر فيما بعد من تميُّز هذه الكاتبة في السَّرد والقصَّة والرِّواية، وابتعادها النِّسبي عن غيرها من انساق الإبداع.

5- توظيف الألفاظ العامّية: من الظواهر التي طبعت بها زهور ونيسي كتابتها هو استخدامها الفعَّال للأساليب والألفاظ العامية، دون أن يتأثر الأسلوب اللُّغوي العام، وهذا الاستخدام الفنِّي ممَّا يعر بالتعاقب اللُّغوي بين العامّي والفصيح في العربية، أسلوب أبدع فيه الإبراهيميُّ في مواطن السُّخرية وغيرها، وربَّما كان هذا الاستخدام على عاميته أبلغ من نقله على صيغته الفصيحة، وهو ما أخذت به زهور في مواضع من كتاباتها كقولها: "فأجَابتْني والدَّمعُ يتَناثر من عيْنيهَا: مسيد الرُّوميَّة يا بنتي" من المقال التَّاسع: من صميم الواقع: من الملوم؟" وقولها: اللي صقر يا شيبة النَّار" في المقال العاشر: "نتيجة مؤلمة" وقولها: "بالحرام والكفَّارة" وهو قسم بلغة شعبية دارجة في المقال الثَّاني عشر: "من صميم الواقع: جناية أب". وهذا ما يسمى بالتَّعاقُب

اللُّغوي الذي يعاقب فيه مستعمل اللُّغة بين لغتين مختلفتين أو أكثر، أو بين فصيح وعامّيٍّ كما هو الحال هنا. وهو أسلوب استعمال فنِّي لا يشبه الاستعمال العامّي الذي كانت تنادي به مدرسة الاحتلال، وتريد أن تجعله وسيلة إلى إحلال العامّية بدل الفصحى نهائيا.

أثر الكتابة الإحيائية في مقالتَيْ باية خليفة

لم تخرج الكتابة في المقالتين على ما شاع من أسلوب الفترة، وقد مسحت المقالتان مسحة من لغة خطاب دينيٍّ، قوامه تعليم القرآن الكريم والحديث النَّبوي الشّريف، والتَّأدب بهديهما والتَّمثُّل بأسلوبهما، وبلهجة تعليمية ظاهرة، وقد أيَّد ذلك وجود اقتباس من الحديث النَّبوي الشريف، وهو ما تجلَّى من قولها: "يا أهل الجاه والمال، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السّماء" مضمّنة دعوتها لمساعدة المحتاجين ألفاظ الحديث النَّبوي الشريف الذي أخرجه البيهقيُّ وغيره من أصحاب السُّنن. عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي اللهُ عنهما، أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «الرّاحمونَ يَرحَمُهم الرّحمن، ارحَمُوا من في الأرض يَرحَمْكُم من في السَّماء[1]» كما نجد تأثُّرا بألفاظ القرآن الكريم وهو قولها: أخرجوها من الظُّلمات وسيروا بها إلى نور العلم" وهو من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: 257]. كما عرفت استعمال بعض المحسنات اللَّفظية كالطِّباق في قولها: "البدوية والحضرية، و"تنعم وتشقى" وهي من بسيط الاستعمال البلاغي وقليله. لم تخرج الكتابة في المقالتين على ما شاع من أسلوب الفترة، وقد مسحت المقالتان مسحة من لغة خطاب دينيٍّ، قوامه تعليم القرآن الكريم والحديث النَّبوي الشّريف، والتَّأدب بهديهما والتَّمثُّل بأسلوبهما، وبلهجة تعليمية ظاهرة، وقد أيَّد ذلك وجود اقتباس من الحديث

[1]– أبو بكر البيهقي، السُّنن الكبرى، تح: محمَّد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ–2003م، ج9، ص71.

النَّبوي الشريف، وهو ما تجلَّى من قولها: "يا أهل الجاه والمال، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السّماء" مضمِّنة دعوتها لمساعدة المحتاجين ألفاظ الحديث النَّبوي الشريف الذي أخرجه البيهقيُّ وغيره من أصحاب السُّنن. عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي اللهُ عنهما، أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «الرّاحمونَ يَرحَمُهم الرّحمن، ارحَمُوا من في الأرض يَرحَمْكُم من في السَّماء[1]» كما نجد تأثُّرا بألفاظ القرآن الكريم وهو قولها: أخرجوها من الظُّلمات وسيروا بها إلى نور العلم" وهو من قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: 257]. كما عرفت استعمال بعض المحسنات اللَّفظية كالطِّباق في قولها: "البدوية والحضرية، و"تنعم وتشقى" وهي من بسيط الاستعمال البلاغي وقليله.

أثر الكتابة لإحيائية في مقال خديجة بوكثرة

نسجت الكاتبة تأبينيتها بلغة بسيطة وأسلوب سهل متداول، فتوجَّهت لعامة النَّاس مظهرة بصدق مشاعر الحزن والتَّأثر لفقد زميلتها في التَّعليم، ومستخدمة لغة مباشرة انتقت لها الفاظ تناسب مقام العزاء، فذكرت محاسن الفقيدة واصفة إياها بأوصاف يشعر السَّامع بصدقها، وكأنّها تصوِّرها لنا في صورة محسوسة، وقد اجتمعت ألفاظ التَّأبينية تحت سقف الحزن وهذا ما وضحته العديد منها: اللَّوعة، الأسى، الموت، الفقيدة، الحزن، العزاء...إلخ.

ولمَّا كانت المناسبة على هذه الخصوصية؛ فقد ناسب أنْ تكون لغتها خالية من كلِّ تكلُّف لفظيٍّ، وما كان منه من مثل قولها: "أرفَع تعزِيَّتي الحَارَّة التي تنبَعِث مِن قلبٍ مكلُوم في الصَّميم، راجِيةً للجَميع حُسن العَزاء، وللفقِيدَة حُسن الجزَاء" فقد كان من حسن الختام الكتابة في مثل هذا.

[1]– أبو بكر البيهقي، السُّنن الكبرى، تح: محمَّد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م، ج9، ص71.

أثر الكتابة الإحيائية على النَّصِ

رغم قصر النَّصِ الواضح فقد نقل تمكُّن صاحبته من لغة الكتابة، بما خرج عليه نصُّها من سلامة لغوية، وتأثُّر واضح بما عليه لغة الصِّحافة السَّيّارة يومئذ، وخاصَّة جريدة البصائر بما تركته من أثر على أساليب كتابها وقرائها، وهي التي أقرَّت الكاتبة واصفة شعورها إزاءها مستخدمة زخرفا لفظيا خفيفا قائلة: "أجدُ فيها أمنيَّتي الوحيدة وضالتي المنشودة" ومثل ذلك قولها عن مضامين الجريدة: "تحتَوي على توجيهاتٍ مفيدة، ونصائِح ثَمينة إلى شبَابنا الذي هجرَ العُلوم والفضيلةَ وانكبَّ على الرَّذيلة" وفيها: طباق بين هجر≠ انكب، وبين: الفضيلة≠ الرذيلة. ويفهم منه رغبة الكاتبة على إثارة المتلقي، وإضفاء جمالية لفظية ترفع من مستوى الكتابة، وتزيد من قوة الخطاب.

أثر الكتابة لإحيائية في مقالات العالية لعلي بوعلي

تشترك العالية مع زميلاتها من الكاتبات في مظاهر كتابية طبعتها خصوصية التَّكوين العلمي والأدبي في مدارس جمعية العلماء؛ والتي تشابهت عند كاتباتها أساليب الكتابة، وخاصَّة في الفترة التي بلغت فيها الكتابة في "البصائر" أوج قوَّتها منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، وخذ لذلك مثلا من قول العالية من مقالها الثَّالث: **هل المرأة متديّنة** الصَّادر في مارس 1956م: "إنَّهُ لَمنَ الوَاجب عَلى كُلّ امرَأة رَزَقها الله نصيبًا منَ التَّبصُّر والمَعرفَة، أنْ تَرشُدَ أختَهَا للتَّمسُّك بدينهَا والتّشبُّث بأهدابه، والوُقُوف عندَ حُدوده والامتثَال لأَوَامره وعَدَم الخُروج عَن قَوانينه، والعَمَل بمُقتَضَياته وتَعَاليمه" وحتَّى لا نقع في تَكرار المشاهد نفسها؛ سنكتفي هنا بالإشارة إلى ما ميَّز كتابات العالية بشكل واضح، وهذا لا يعني أنَّ ما ذكر عنها هنا لا يوجد عند غيرها، ولكنَّ الخاصية الواضحة التي طبعت كتابة العالية هو الاستناد إلى الشّاهد التَّاريخي والتُّراثي بكثرة، وهو ما يكشف لنا طبيعة تكوين الكاتبة وميولها الثقافية والفكرية، وما انعكس منه على لغة الكتابة عندها.

1- الشَّاهد التَّاريخي في كتابات العالية: يعتبر إيراد ذكر الشخصيات النِّسوية التَّاريخية العربية أثناء الكتابة ذو قيمة فنِّية، وله وقع كبير على نفسية المرأة كاتبة ومتلقِّية، فهي عبارة عن رموز مثلت النساء في القدم بما حمله من صفات وميزات فأصبحت شاهدا تاريخيا، وذكر أسمائهن يمثِّل بشكلٍ آخر حضورا معنويا داخل المقالات النّسوية، وذلك ما يكسب النَّصَّ جودة وهيبة، بحسب القيمة التَّاريخية أو المجتمعية للمرأة المستشهد بذكرها، وقد استعانت العالية لعلي في كتاباتها بشواهد تاريخيّة تمثلت في الشّخصيات النسوية العربية مثل، أسماء بنت أبي بكر الصِّدّيق، والتي تعتبر من بين أبرز الشَّخصيات التَّاريخية كيف لا، وأبوها صاحب أشرف خلق الله، كما أنَّ التاريخ يشهد على بسالتها وحضورها، وعلى غرار استحضار اسم أسماء بنت أبي بكر نجدها استدعت أسماء شخصيات تاريخيّة أخرى مثل: هند بنت عتبة وخولة، وعزة بنت عمر، وكلُّهن على درجة من الرَّمزية العاكسة لهيبة المرأة العربية وحضورها التَّاريخي، وهذا ما جعل العالية لعلي بوعلي تستعين بها في خطابها للمرأة الجزائرية مكتفية باختصار مسيرتهن بما أصبح معروفا عنهنَّ، فتزرع بذلك في نفوس المتلقِّيات من خصال الشَّجاعة والقوّة.

توظيف لغة الشَّاهد القرآنيّ: من استخدامات اللُّغوية عند العالية لعلى بوعلي ما طبعه اللَّفظ القرآنيُّ وأسلوبه وممَّا تجسَّد من ذلك في كتابته -مثلا- قولها في المقال الثَّاني: المرأة العربيّة بين عهدين "كأنّ قلوبهم – في قساوتها – حجارة أو حديد، فهي لا ترحم ولا تلين" وهو أخذ من قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ ﴾ [الإسراء: 50]، فالعالية لعلي هنا استعانت بهذا الشاهد القرآني بما يحمله من بلاغة في التَّعبير عما في نفسها، ومثل ذلك ما استخدمته في المقال الثَّاني: المرأة العربيّة بين عهدين من قولها: "لئلاّ تجد لنفسها متّسعا فيضيق صدرها وتقضي نحبها خنقا" وهو تركيب جمع بين استخدامين قرآنيين: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾ [الشعراء: 13]، ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ

نَّحۡبَهُۥ ﴾ [الأحزاب: 23]. أو مثل قولها في المقال نفسه: "والبَاطل مهما صال وجال لابدَّ أن يضمحلَّ ويزولَ ويحلَّ محلُّه الحقّ، ولن تجد لسنّة الله تحويلا" وهو من قوله تعالى:﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: 43] وهو استخدام صبغ الكتابة عند العالية باعتزازها حين تستند على نمط الكتابة العربية التُّراثي، دون تغييب لتقاليد هذه الكتابة عند أساتذة ذلك الجيل من علماء الجمعية وعلى رأسهم بلا منازع الإمام الإبراهيمي.

2- استثمار لغة الشَّاهد الشِّعريّ: ضمن الطريقة العامَّة التي رسمت معالم الكتابة عند هذه الكاتبة؛ استعانت لعلى بوعلي بشواهد شعرية زاد من جمال كتابتها، وربطتها بتراث كتابيٍّ أصبح إيراد الشِّعر فيه من اللَّوازم، كيف لا والشِّعر ديوان العرب في القديم وهو ناقل أخبارهم وأحوالهم، فكان استخدامها لهذا النَّوع من الشَّاهد إضافة ثقافية وتاريخية لكتابتها، من ذلك قولها: "ولكن اللَّيل مهما طال لا بدَّ أنْ يظهر صبحه" وهو مقتبس من شعر كعب بن زهير:

ولكن الليل مهما طال *** لابد من طلوع الفجر

3- حضور المثل العربي: غير بعيد عن استعمال الشّواهد القرآنية والحديثية وشعر العرب؛ أثبتت العالية وجهة مصادر ثقافتها، ونوعها، وحجمها، فها هي تستخدم مثلا عربيا غير شائع، وذا لغة غريبة ومضرب مثل عزيز، لا يمكن سوقه للاستشهاد إلا لمن له قسط وافر من الاطِّلاع على تراث العرب، ففي المقال الثَّالث: هل المرأة متديّنة، تقول: "على أنَّ المرأة في بلادنا – بصفة إجماليّةٍ – ليست متديّنةً، وليسَ الدّينُ في نَظرهَا إلاّ خرافةً قديمةً أخنى عليها الدّهرُ كمَا أخنى على

لُبَد" وهو أخذ من مثل العرب: «أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدٍ. أخْنى: أيْ أهلك، ولُبَد: آخر نُسُور لقمان[1]» وللمثل في مورده ومضربه قصَّة لا يتَّسع المقام لإيرادها.

وإذ تعدُّ الأمثال العربية ذات أثر نفسيٍّ يعكسه استحضار صورة سابقة مشابهة، وينيب مستعملُ المثلِ القائلَ الأوَّل في التَّعبير عنه، من خلال الاستشهاد بمَثَله، لموافقة بينهما في سياق ما، وذلك ما يَترُك في النُّفوس أثرا بليغا، إضافة لما يحمله المثل من أبعاد ورؤى تؤكِّد تشابُه الأحداث والوقائع، وتتشابه معها طريقة التَّعبير وأساليب الكلام، وهو ما استثمرته العالية لعلى فاستعانت بهذه الاستراتيجية وهي في ذلك على تأثُّر واضح بأستاذ الاقتباس التُّراثي العربيّ في زمنها الشَّيخ الإبراهيمي تحاول أنْ ترقى بكتابتها، ويكون لها ذوق رفيع يجذب القُرّاء، ويلتف نظرهم إلى كتابتها بما تجتهد فيه من تنويع الأساليب بين توجيهات مباشرة ودلالات عميقة، يكون للمتلقِّي دور استنباط المعاني القيِّمة المضمرة في النَّصّ ويعمل بها في حياته وبهذا يكون استشهادها بالأمثال العربية القديمة قد ساهم في إضفاء مسحة فنِّية جميلة، ونوَّع في البنية اللُّغوية لمقالاتها، فجمعت بين الفنّي الجميل والبنية المحكم.

4- الاستخدامات البلاغية: وأمَّا الاستعمالات البلاغية عند العالية، فقد ميَّزها الالتزام بالإرشادات الإبراهيمية في كتابة المقال، من الابتعاد عن الإسراف في حشد المحسِّنات، وعدم التَّركيز على التَّزويق اللَّفظي على حساب المعاني، واعتماد الجمع المتوازن بين الأساليب الأدبية الرَّاقية دون مبالغة، وعرض المعاني من خلال ذلك، ومن الأمثلة القليلة لتلك المحسِّنات ذلك هذا في كتابتها ما جاء من قولها: "قد استعادت سيادتها المغصوبة واستردَّت سلطتها المسلوبة"، لنرى استعمالها البلاغي بقيمته الفنِّية لكن من دون مبالغة أو تكلُّف.

---

[1]- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، د ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج1، ص243.

5- مسحة عامة:

المسحة الخطابية في المقالات النسوية: هناك العديد من العبارات الخطابية، وقد تجلت من خلال العديد من العبارات التي استعملتها الكاتبات الصحفيات، وتمثلت في العبارات التالية:

- ليلى ذياب، تعليم المرأة، أيها الوطن العزيز، وكذلك "أيتها الأمة إذا كنت تودين أن تكوني من الأمم الرّاقية، وأيضا "أيتها الجزائر العربية إذا متن تحبين أن تنالي درجة عالية من الرقي"، أما من خلال مختاراتها ورد، "يا أيتها النفس المحزونة لا تبكي".

- أما من خلال مقال العالية لعلي بوعلي، وظيفة المرأة في الحياة، عبارة "لا تعتقد أيها القارئ أن حديثي موجه لأي امرأة كانت".

- أما في مقال التلميذة كلثوم في الترحيب بالأستاذ نجد عبارة "إني أيها الآباء جد مسرورة".

- كما نجدهن قد استعملن العديد من الأساليب اللغوية والبلاغية المستخدمة في اللغة العربية، وهو النداء الذي يعد من الأساليب الإنشائية التي تزيد الأسلوب جمالا ورونقا، كتوظيفهن للعديد من العبارات، ويتمثل من خلال العبارات الآتية:

- مقال تعليم المرأة ليلى ذياب: ويا أيتَّها الجزائر العربية إذا كنت تحبين أن تنالي درجة عالية من الرقي، أما في مقال اخترت لكم ورد إخواني أخواتي!، وكذلك لي فيا أيتها النفس المحزونة لا تبكي إذا فقدت كل شيء، فالله حسبك وكافيك، وكذلك عبارة ويا بؤس للحياة، وعبارة "أيها الشرقي، "فيا رجال الجزائر الكرام"، وأيضا "يا أولي الهمم"، وكذلك "يا قومي"، أما في مقال باية خليفة، ونجد النداء في مقالها البدوية والحياة "يا أهل العلم والأدب".

- الأمر: كما أننا نجد عبارات تدل على الأمر والتي تبدأ بأفعال الأمر من خلال العديد من المقالات منها ما ورد في مقال زهور ونيسي" المرأة الجزائرية والتمدن، عبارة "أنظري إلى الحقيقة" وأيضا في مقالها فائدة العلم والعمل وردت عبارة" فلنعمل قدر طاقتنا في الأفراح والأقراح"، أما في

مقالها إلى الناقد جاءت عبارة" أنظر إليه"، أما في مقالات العالية لعلي بوعلي التي وردت فيها عبارات تدل على أفعال الأمر، عبارة " فلا تبرهني على وجودك" من خلال مقال وظيفة المرأة في الحياة، أما في مقالها المرأة العربية بين عهدين جاءت عبارة "انتبهي أيتها المرأة الجزائرية"، أما عبارات الأمر التي وردت في خطاب التلميذة كلثوم في الترحيب بالأستاذ، "ارجعوا إليها تسعدوا" وكذلك، "اعملوا على غرس محبة السلام" ، أما في مقال باية خليفة البدوية والحياة، جاءت عبارة" علموا البنت إن تعليم البنت هو الذي يرفع عن الأمة الجهل والأمية".

وكذلك وظفن الاستفهام: من خلال مقال ليلى ذياب تعليم المرأة، أليس المنزل هو المدرسة الأولى للطفل... والسجايا الحميدة؟، وكذلك عبارة "أليست الأم هي أستاذته وربته التي يرجع إليها الفضل في تنشئة أولادها تنشئة حسنة؟" وأيضا "أليست هذه الأعمال في حاجة إلى رجاحة عقل وحسن تفكير؟، أما في مقال اخترت لكم ورد، "كيف نسعد مادامت الحياة نظرك؟" وأيضا " أين هو مما يجب أن أبحث عنه؟، وكذلك "متى يعرف هذا الشعب قدر هؤلاء الأفذاذ؟"، وأيضا "متى نرى للعلم دورا وقصورا؟"، وأيضا "متى تعرف الجزائر عضال دائها؟"، أما في مقال زهور ونيسي، المرأة الجزائريَّة والتَّمدُّن وردت عبارة الاستفهام، "أبكلامك واقتدائك الإفرنجية الشهيرة تنالين التقدم والرقي؟".

المسحة القصصية: وقد وظفن العديد من القصص، مما زادت الكتابة أكثر تأثيرا على المتلقي، وقد تمثل ذلك من خلال العبارات التالية:

السرد:

- "أقيمت بمدرسة الصادقية بحي سلام باي العامر حفلتان" زهور ونيسي، سلام باي يحتفل بشهر الصّيام.

- "وإني أرد بفرحة مبتهجة على ما وجه لي من نقد هو في محله"– زهور ونيسي، فائدة العلم والعمل.
- زهور ونيسي، من صميم الواقع: الأمنية...!، " فتقدمت بضع خطوا بدافع غريزي"، زهور ونيسي، من صميم الواقع: الأمنية...!.
- " وقفت ما يدور من الكلام بينه وبين فتى آخر" زهور ونيسي، من صميم الواقع: الأمنية...!.

الوصف:

- "ما اشتملت عليه الحفلة رواية مدرسية قام بتمثيلها بعض تلاميذ المدرسة "، زهور ونيسي، سلام باي يحتفل بشهر الصّيام.
- "منذ رأت المسلمة غريمتها الفرنسية بزيها الزاهي ومشيتها وحركاتها"، زهور ونيسي، المرأة الجزائريَّة والتَّمدُّن.
- "ترى المرأة تتكلم بالفرنسية وفي إشارات يدها وحركاتها كبرياء"، زهور ونيسي، المرأة الجزائريَّة والتَّمدُّن،.
- زهور ونيسي، من صميم الواقع: الأمنية...!، "رأيته كما رآه المارون لكني استلفت نظري دونهم بحالته المحزنة الأليمة المفجرة للصخر".
- "جسم نحيل ضعيف، يقف على قارعة الطريق العام" من صميم الواقع: الأمنية...!
- "رجلين حافيتين وشعرا كثيفا مسترسلا على الأذنين لم تمسه يد الحلاق منذ زمن بعيد"، زهور ونيسي، من صميم الواقع: الأمنية...!
- "كانت تشمل عجوزا صفراء محدوبة الظهر يظهر أنها تعلني داء الشلل"، زهور ونيسي من صميم الواقع: من الملوم؟....

- "كانت الراكبة الثالثة شابة متأنقة في مقتبل العمر"، زهور ونيسي من صميم الواقع: من الملوم؟...
- "استدارت صاحبتنا غير مبالية"، زهور ونيسي من صميم الواقع: من الملوم؟...
- "رأيتها تبتسم ابتسامة غامضة فعرفت المراد منها"، [1]زهور ونيسي من صميم الواقع: من الملوم؟...
- "رفعت يديها إلى عينيها"، زهور ونيسي، من صميم الواقع: جناية أب، زهور ونيسي، من صميم الواقع: جناية أب.
- "فالمسكين لا يصحو يوما من السكر كلما وجد ذلك سبيلا"، زهور ونيسي، من صميم الواقع: جناية أب.
- "كانت المرأة في عصر الجهل والظلمات مهضومة الجانب، محرومة من كل عدل وعطف"، ليلى ذياب، اخترت لكم.

الغريب والوحشي: بدلا من هذا التَّعبير الرياضي الجاف: نلاحظ، نستنتج، حاولي استعمال أساليب أدبية تبدأ بالفعل

يعد الكلام الغريب والوحشي من مميزات الأدب العربي الجاهلي؛ الذي استخدمه الشعراء في أشعاهم والخطباء في خطاباتهم، كما نلاحظ أن الكاتبات المناضلات استخدمن في بعض الأحيان كلمات تتسم بالغرابة والوحشية يستعصي على متلقيها فهمها مباشرة بعد قراءتها، فهاته الأخيرة ليست متداولة لا في الواقع ولا حتى في الكتابات الصحفية إلا في مدونات العصر الجاهلي، إلا أن هذا لم يكن بالشيء الوفير فنادرا ما يصادف كلمة بتلك الغرابة والصنعة، فكما قلنا سابقا أنّ عباراتهم موجهة للعامة وذات غرض يخدم الواقع الجزائري وهو مستعمل بقلة. ومن الألفاظ الدالة على الغرابة في مقالاتهن:

- رضاب: المقال السادس اخترت لكم لليلى ذياب ص32.
- وشيجة: المقال السابع اخترت لكم ص 34.
- المورفة: المقال الثامن اخترت لكم ليلى ذياب ص 37.
- غير كز: المقال السابع اخترت لكم ص 34. إحالة على المقال (الكاتبة، العنوان، عدد البصائر، تاريخه، الصفحة)

الاستشهاد التراثي: كما أننا نجد بأن الكاتبات قد اطلعن على مدونات التراث القديم، ومثال ذلك خطاب التلميذة كلثوم حين اقتبست من وصية أمامة بنت الحارث لابنتها "عماد الحياة الزوجية"، وكذلك الاستشهاد بشعر كعب بن زهير وكذلك الاستشهاد بشعر المعري،

موقف الكاتبات من اللُّغة العربية: من خلال عبارات كثيرة ساقتها الكاتبات نقف على شعور هؤلاء الكاتبات إزاء اللُّغة العربية، متابعة العبارات التي تدعو إلى اللغة العربية أو الثناء عليها أو التشيع على استعمالها مثل ما ورد في مقال زهور ونيسي "العربية لغة آبائهن وأجدادهنّ" المقال السادس لزهور ونيسي " الى الناقد" لا تتخلل كلامه الإفرنجي كلمة عربية واحدة...، ومن منا لا يتمنى أن يكون للجزائر شباب يقدس لغته، أما في المقال التاسع من صميم الواقع، كانت تحرم ابنتها من تعلم لغتها مع اللغة.

أما فيما ورد في مقالات ليلى بن ذياب: المقال الثامن "اخترت لكم" وردت فيه عبارة: فجدير بأمة تعتنق الإسلام وقوم ينتمون إلى العربية، أما فريدة عباس ورد في مقالها "شكر وأمل": "هي التي جددت للغة العربية شبابها وعهدها الزاهر".

خاتمة

الخاتمة: في ختام هذا العمل الذي توخَّى جمع شتات الآثار الصُّحفية النّسويَّة الجزائريَّة، ولَمِّ مقالاتهنَّ المبثوثة في جريدة "البصائر" لسان حال جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريّين بسلسلتيها تبيَّن أنَّه من الضَّروري تقديم ذلك بإيراد ما رأيته ضروريا من استحضار السَّياقات التّاريخية والاجتماعية والثَّقافية التي سبقت هذه الظَّاهرة الكتابية، وما صحبها من مشاهد كانت سببا في نشأتها وتطوُّرها، وهو ا تضمَّنه الفصل الأوَّل، ليكون الفصل الثَّاني فضاء رتبت فيه المقالات المقصودة منسوبة إلى كاتباتها، ومرتَّبة حسب صدورها، وإحالتها على مصدرها بالتَّحديد، وذلك ما يعدُّ خلاصة عامة لهذا العمل، أمَّا نتائجه الجزئية فيمكن إيرادها بشيء من هذا التَّفصيل.

– كان من الضَّروري سوقُ بعض المظاهر صوَّرت الوضع المأساوي للبنت الجزائرية زمن الاحتلال حتَّى بداية العقد الرابع من القرن العشرين، وهو الوضع الذي لا يمكن الحديث فيه عن أيِّ مظهر علميٍّ يخصُّ البنت الجزائرية، وذلك لما سببته سيطرة الاحتلال بسياستها التجهيلية التي لم يسلم منها الرجال والنساء، وجعل التعليم أحد المحرمات على الفرد الجزائري.

– ارتبطت الكتابة الصُّحفية النِّسوية خلال العقدين الخامس والسَّادس من القرن العشرين بإسهامات جمعيَّة العلماء في تعليم الجزائريَّة؛ وقد كان للإمام عبد الحميد بن باديس الفضل الأوَّل في ذلك.

– يعدُّ مشروع التَّعليم العربي الحرِّ في الجزائر الرَّافد الأول لنشوء مشهد الكتابة الصُّحفية النِّسوية الجزائرية زمن الاحتلال، وكانت المدارس الحرَّة ثمَّ معهد ابن باديس الفضاء الأول الذي احتضنها ورعاها فنتج من هذا التعليم العربي الحر كتابات إصلاحية نسوية تنسج لعلاج قضايا اجتماعية، وتنوير فكر المرأة بفضل الكتابة الصحفية النسوية التي فتحت للمرأة الجزائرية أفقا عظيما.

– يعدُّ النَّشاط الصُّحفي الذي تبنَّته بعض خرِّيجات التَّعليم العربيِّ الحرّ أحد ثمرات المشروع الإصلاحي الذي تبنَّاه العلماء، في جانبه الذي تعلَّق بالمرأة الجزائرية إعدادا وتنفيذا.

– يحسب لهذا المشهد الصُّحفي إسهامه الواضح في الحفاظ على الحرف العربي في الجزائر المحتلَّة ودوره البارز في تسويق أدبيات المشروع الإصلاحي المتعلِّق بقضايا المرأة وانشغالاتها.

– تختصر هذه الكتابات في ظروفها ومواضيعها مظاهر تحوُّل البنت الجزائرية من كائن مهمل لا قيمة له ولا وظيفة إلى عنصر له أهمِّيته، وظيفته المنوطة به في إصلاح غيره، وهو ما أطلق عليه من مرأة محدودة المشاركة ومعطَّلة الوظيفة مبعدة، إلى مشاركة بإمدادات تعود على المجتمع بالخير والصلاح، وتنوير العقول والأذهان، بعد الجمود وقلة إدراك ما ينفعها وما يضرها.

– لا أخفي تأثُّري في هذا العمل بتقليد أعمال سابقة مثل آثار الإمام ابن باديس الذي تقدَّم بها الأستاذ عمَّار طالبي لنيل شهادة الدُّكتوراه، أو آثار الشّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي التي جمعا ابنه أحمد طالب الإبراهيمي، أو آثار الشيخ العربي التَّبسي التي جمعها الأستاذ أحمد عيساوي، ولكن مع اختلاف واضح في الحجم وطبيعة مضامين المواضيع.

– هذا ولئن اجتهدت في إخراج هذا العمل على صورة تليق بالجهد الذي بذلته الكاتبات المذكورات؛ فإنّي أردفت المقالات بمتابعة أبرز خصائص الكتابة الإحيائية، ويكفيني من هذا أنّي أسهمت في جمع هذا الشّتات في وثيقة واحدة يمكن الاستفادة منها حسب غرض الباحثين، فإن كان من توفيق فمن الله وحده، وما من تقصير أو خلل فهو طبيعة عمل البشر.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**
- **المراجع باللُّغة العربية:**

1. أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، د ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج1.

2. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3.

3. ــــــــــــــــ، تاريخ الجزائر الثَّقافي، عالم العرفة، الجزء الخامس 1830 - 1945، الجزائر.

4. أبو بكر البيهقي، السُّنن الكبرى، تح: محمَّد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م، ج9.

5. تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته في التربية والتعليم.

6. زهير بن علي، قضايا المرأة ضمن اهتمامات الحركة الاصلاحية الجزائرية (1925-1954)، مذكرة ماجستير في التَّاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية-جامعة الحاج لخضر باتنة، 2014-2015.

7. سعيد درويش، مشكلة المرأة في الفكر الجزائري الإسلامي المعاصر، علم الكتب الحديث، الجزائر، 2014.

8. سكينة مساعدي، روائيات الاستعمار والمرأة المستعمرة في الجزائر، تر: نادية الازرق بن جدة، موفم، الجزائر، 2012.

9. محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، شركة دار الأمَّة، الجزائر.

10.الشيخ عمر المختار بن محمود، مقر الجبهة الجديدة–جريدة لسان العرب–، عدد2، تونس، 18 جانفي 1947. كتب هذا المقال بمناسبة شراء الجمعية مقرا (مركزا) جديدا يقع بالساحة العربية بالعاصمة.

11.الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جريدة البصائر، العدد الاوَّل، العدد الثَّالث من السلسلة، السنة الثانية.

12.عبد الجليل مرتاض، جزائريات، دار هومة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

13.عبد الجواد سعيد ربيع، فن الخبر الصّحفي دراسة نظريّة وتطبيقية، دار الفجر للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2005.

14.عبد الحفيظ شريف، مشروع إحياء اللّغة العربيّة في الجزائر خلال القرن العشرين – مقاربة في المعالم والأبعاد– أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، 2019م، جامعة البويرة، إشراف: صالح بلعيد.

15.عبد الحميد بن باديس، "حُجَّة الإسلام السَّيِّد محمَّد رشيد رضا ج2" الشِّهاب، ج8، مج11، شعبان 1354هـ نفامبر 1935.

16.ـــــــــــــــــ، آثار ابن باديس، جمع: عمار طالبي، ط3، الشَّركة الجزائرية، الجزائر، 1997.

17.ـــــــــــــــــ، جمعيّة التربية والتعليم الإسلامية، مجلة الشهاب، ج2، م7، مارس 1931، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.

18.عبد الرّحمان بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيَّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر تاريخ ابن خلدون، بيت الأفكار الدولية، حجة الوداع.

19.عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، د م ج، دار الثقافة، بيروت، 1982.

20.عبد الغفور شريف، موقف جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريين من الثَّورة التَّحريريَّة من خلال جريدة البصائر"1954،1956"، مذكرة ماجستير جامعة الجزائر3، 2010-2012، د ص.

21.عبد الكريم أبو الصَّفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر.

22.ـــــــــــــــــــــ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945م دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ج2.

23.عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث 1830- 1974م، دار الكتاب العربي.

24.عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954م، جامعة وهران، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 198م.

25.عيسى عمراني، المدرسة الباديسيَّة ومناهجها الدّراسيّة، دار الهدى، الجزائر.

26.فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، ت: أبي بكر رحّال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

27.ـــــــــــــــ، حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، منشورات ANEP، الجزائر، 2005.

28.فريد حاجي، السِّياسة الثَّقافية الفرنسية في الجزائر، المنطلق السَّيرورة المآل، د ط، دار الخلدونية، الجزائر.

29.محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، ج3.

30.ـــــــــــــــــــــــ، سجل مؤتمر العلماء المسلمين الجزائريين، ط2، الجزائر، 1982.

31.محمد بن صالح العثيمين، كتاب العلم، من إصدارات مؤسسة الشّيخ محمد بن صالح العثيمين الخيريّة، ط9، 1435هـ، المملكة العربيّة السُّعوديَّة.

32.محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وأعلامها تطوّرها أعلامها من 1903 إلى 1931م، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، مج2.

33.محمَّد يوسف نجم، فن المقالة، دار الثقافة، بيروت.

- **المواقع الإلكترونية:**

1.مولود عويمر، نساء في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، على الموقع http//www.oulamadz.org، طلع عليه يوم 15 ماي 2023، على الساعة 02:00.

2. https://www.wikiwand.com، اطّلع عليه يوم 10 ماي 2023 على السَّاعة الثَّالثة مساء.

3. https://manhom.com، اطّلع عليه يوم 10 ماي 2023 على السَّاعة الثَّالثة مساء.

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
إهداء	**-**
شكر وعرفان	**-**
مقدمة	**أ – هـ**
الفصل التمهيدي: **حال المرأة قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبعده**	
1- حال المرأة قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبعده	**7**
1- المبحث الأول: أوضاع المرأة الجزائريَّة قبل تأسيس جمعيَّة العلماء المسلمين	**7**
2- المبحث الثاني: تعليم المرأة الجزائريّة ضمن مشروع الجمعيّة الإصلاحي	**10**
3- المبحث الثالث: التَّعليم العربي الحرُّ (وإنشاء معهد ابن باديس)	**14**
4- المبحث الرابع: موقف جمعية العلماء من قضيَّة تعليم المرأة	**19**
الفصل الأوّل: **المقالات النّسويّة الجزائريّة في جريدة "البصائر"**	
المقالات النّسويّة الجزائريّة في جريدة البصائر	**25**
آثار الكتابة الإحيائية على الصحافة النِّسوية	**25**
أوَّلا: التلميذة كلثوم	**26**
مقال: خطاب التِّلميذة كلثوم	**26**
ثانيا: بنت سيدي عيسى" ز. هـ. ر"	**28**
مقال: المرأة الجزائريَّة الحديثة والكتابة في الصُّحف	**28**
ثالثا: ف. كاهية	**30**
مقال: نداء في سبيل نهضة المرأة المسلمة	**30**
رابعا: زليخاء إبراهيم عثمان	**32**
المقال الأوَّل: نمُوذَج مِن إنشاء تلمِيذات السَّنة السَّادسة: التَّعليم وحظُّ المرأة منه	**32**
المقال الثَّاني: حفلةُ افتِتاح مدرَسة عَائشة الخاصَّة بالنِّساء في تِلمسان	**34**
خامسا: ليلى ذياب	**36**

المقال الأول: مقال تعليم المرأة	**37**
المقال الثاني: اخترت لكم	**39**
المقال الثَّالث: اخترت لكم	**41**
المقال الرَّابع: اخترت لكم	**43**
المقال الخامس: اخترت لكم	**47**
المقال السَّادس: اخترت لكم	**49**
المقال السَّابع: اخترت لكم	**51**
المقال الثَّامن: اخترت لكم	**53**
المقال التَّاسع: اخترت لكم	**55**
المقال العاشر: اخترت لكم	**57**
أثر الكتابة لإحيائية في مقالات ليلى بن ذياب	**60**
سادسا: مقال فتيحة لقورصو	**62**
مقال: حولَ تأسِيس مدرسَة عائشة بتلمسان	**62**
سابعا: زهور ونيسي	**64**
المقال الأوَّل: سلام باي يحتَفل بشهر رمضان	**64**
المقال الثَّاني: حول كارثة الأصنام "إلى التي استهانت بعذاب الله"	**66**
المقال الثَّالث: المرأة الجزائريّة والتَّمدُّن	**68**
المقال الرَّابع: إلى الشَّباب...	**70**
المقال الخامس: فائدة العِلم العمَل	**72**
المقال السَّادس: "إلى النَّاقد..."	**73**
المقال السَّابع: من صميم الواقع: الأمنيَّة...!	**75**
المقال الثَّامن: لنترك الثَّرثَرة!	**77**
المقال التَّاسع: من صميم الواقع: من الملوم؟...	**78**
المقال العاشر: نتيجة مؤلمة	**81**
المقال الحادي عشر: جلسة مع صديقات	**83**
المقال الثَّاني عشر: من صميم الواقع: جناية أب	**86**
المقال الثَّالث عشر: صوت المرأة	**89**
ثامنا: مليكة بن عامر	**92**
المقال الأوَّل: رسالة إلى روح فتاة	**92**

المقال الثَّاني: المرأة الجزائريّة بين الحاضر والمستقبل	**93**
تاسعا: باية خليفة	**95**
المقال الأوَّل: البدويَّة والحياة	**95**
المقال الثَّاني: قيمَة المرأة فِي المُجتمع	**97**
عاشرا: لويزة قلال	**98**
مقال: حول "المرأة الجزائريَّة"	**98**
الحادي عشر: خديجة بوكثرة	**100**
مقال: الوردة الذَّابلة	**100**
الثاني عشر: فريدة عباس	**101**
مقال: شكر وأمل	**101**
الثالث عشر: العالية لعلى بو علي	**102**
المقال الأوّل: وظيفة المرأة في الحياة	**102**
المقال الثَّاني: المرأة العربيّة بين عهدين	**105**
المقال الثَّالث: هل المرأة متديّنة	**108**
الفصل الثاني: **المقال النّسوي في جريدة البصائر وأثرهُ في الإحياء اللّغوي**	
1- المبحث الأول: الصّحافة في جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريّين	**111**
• **جريدة البصائر**	**111**
2- المبحث الثاني: المقال في جمعيَّة العلماء المسلمين	**113**
أ) المقال الأدبي الإصلاحي	**113**
ب) المقال الأدبي الفنّي الإصلاحي	**116**
ج) المقالة الصُّحفيَّة النِّسوية في صحافة جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريين	**118**
3- المبحث الثالث: المقال النّسوي الجزائري في صحيفة البصائر	**121**
4- المبحث الرابع: أثر الإحياء اللّغوي في المقالة النسويَّة الجزائريَّة	**123**
أثر الكتابة لإحيائية في مقال التِّلميذة كلثوم	**124**
النَّصُّ: خلافة النُّطق بين العرب في الحروف	**125**
أثر الكتابة الإحيائية على مقال: بنت سيدي عيسى	**125**
أثر الكتابة الإحيائية على مقال: ف. كاهية	**126**

أثر الكتابة لإحيائية في مقالات ليلى بن ذياب	127
أثر الكتابة الإحيائية في مقال: فتيحة لقورصو	129
أثر الكتابة لإحيائية في مقالات زهور ونيسي	129
أثر الكتابة الإحيائية في مقالتَيْ باية خليفة	133
أثر الكتابة لإحيائية في مقال خديجة بوكثرة	134
أثر الكتابة الإحيائية على النَّصِ	135
أثر الكتابة لإحيائية في مقالات العالية لعلي بوعلي	135
موقف الكاتبات من اللُّغة العربية	134
الخاتمة	145
قائمة المصادر والمراجع	148
الفهرس	153